العربية فى بلدان غير عربية

للدكتور

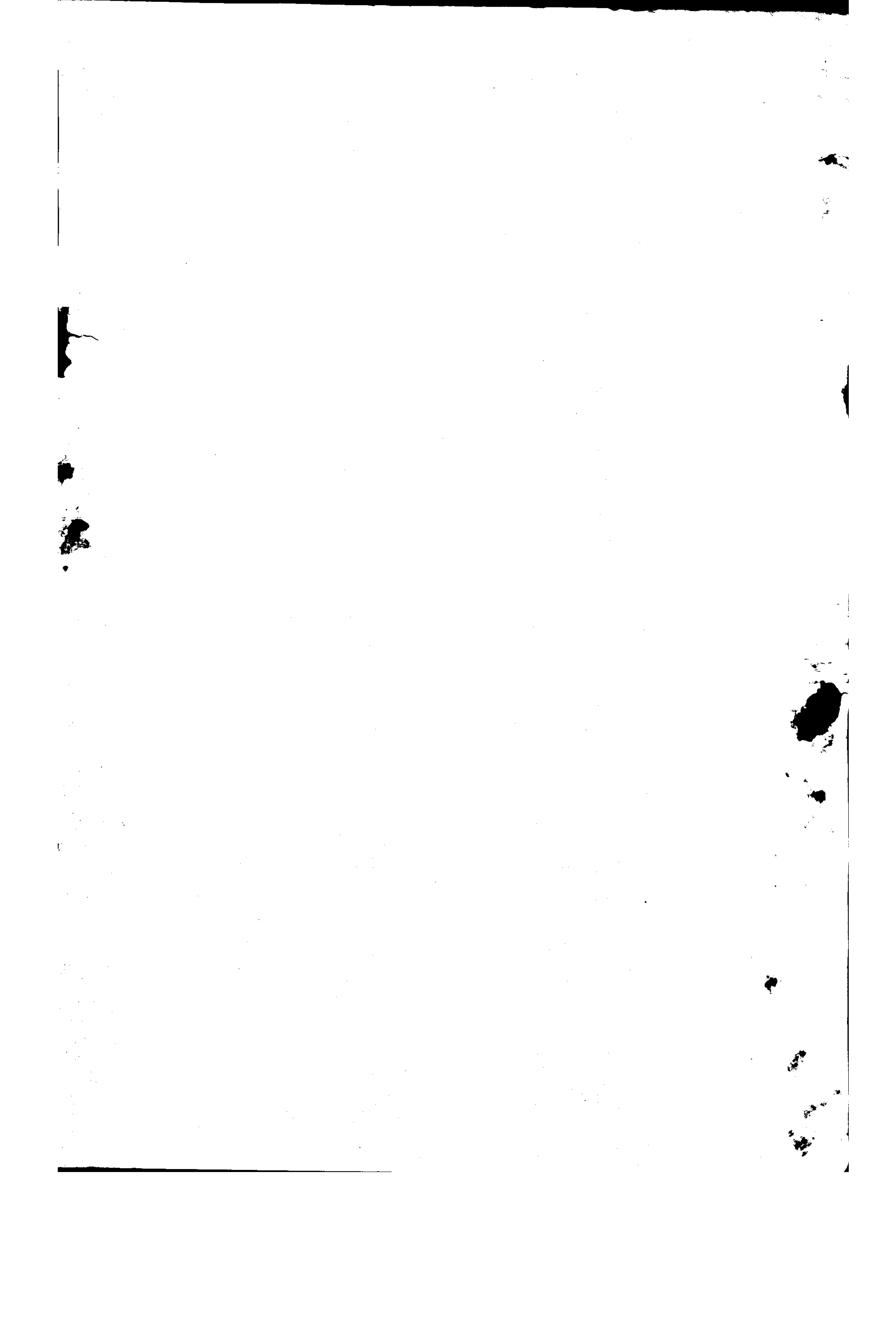
أحمد مصطفى أبو الخير

كلية التربية بدمياط الجديدة

الخبير السابق بوزارة الخارجية المصرية

١٤٢٠ هـ

٢٠٠٠ م



الإهداء

إلى الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث ... إحدى الآليات المتألقة للسياسة الخارجية المصرية ، مع أخلص التمنيات بمزيد من التقدم والازدهار .

د. أحمد مصطفى أبو الخير

هـــذا الكتـــاب

يتحدث عن العربية فى بلدان غير عربية ، هى على وجه الخصــوص أكرانيا وتايلاند وماليزيا ، وذلك ضمن القسم الأول والثانى ، أما القسم الثــالث فيتضمن بعض البحوث التى قدمت بالعربية إلى مؤتمرات خارج الوطن العربى (طريق الحرير) أو بحوث كتبتها فى العاصمة الأكرانية كييف ، أو الكيابة كمـا سماها أجدادنا العرب ، وهذا ما يتضمنه القسم الثالث فى بحوث حول عنــاصر اللغة العالمية المنشودة ، وعبقرية العربية ، ثم حديث عن العـــرب والعربيــة والتعريب .

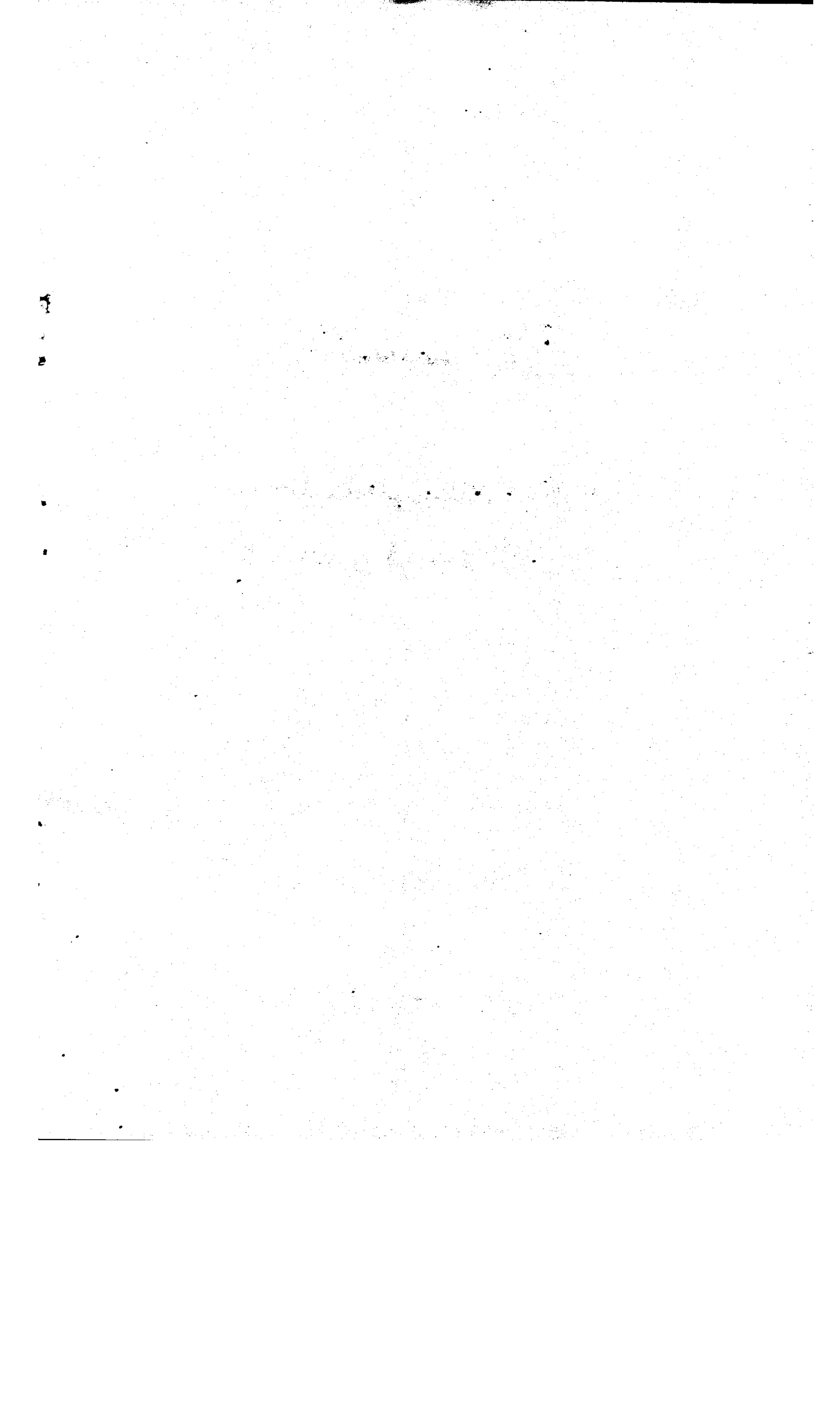
أحمد مصطفى أبو الخير

دمياط الجديدة

القســـم الأول

١- أيـــام فى بـــلاد الملايـــو

٢- عامان فى بلاد الأكـــــران



١ – أيام فى بلاد الملايو

بسم الله الرحمن الرحيم

سطور قرأتها فى أحد أعداد مجلة العالم اللندنية تتحدث عن ندوة دولية حول الدراسات الإسلامية فى منطقة الأسيان - جنوب شرق آسيا - وفى ذات اليوم كتبت لأصدقائى هناك د. إسماعيل على المشرف على كلية الدراسات الإسلامية - بمدينة فطانى - فى تايلاند الجنوبية جامعة أمير سنقلة ، الجهة المنظمة للمؤتمر أطلب منه دعوة لحضور الندوة ، وكذلك لبعض تلامذتى ومعارفى فى جنوب تايلاند .

وعلى الفور رحبت أمانة الندوة بحضورى ، وهنا بدأت أفكر فيما أكتب ليقدم هناك ، وبعد تفكُر وشيء من التأنى والتمهل ، رأيت أن أكتب عن طريق الحرير ، الذى خدم التجارة والحضارة والاستنارة ما يقرب من عشرين قرنا خاصة بعد سطوع شمس الإسلام على الدنيا .

لقد كان هذا الطريق - أو الطرق - يشق قارة آسيا من شرق الصين وسواحلها إلى أن يصل غرب القارة ، على سواحل المتوسط فى صور وأنطاكية ، ومنها ينطلق الناس برا أو بحرا إلى أوربة أو إفريقية ، وهكذا استقر الرأى على أن يكون عنوان البحث :

طريق الحرير وأثره فى ربط الأسيان بالعالم العربى والإسلامى

دراسة

فى جغرافيا العالم الإسلامى ودورها فى تكوين المتخصص فى الدراسات الإسلامية

وقد أرسل البحث إلى أمانة الندوة التى وافقت على تقديمه فى إحـــدى الجلسات العلمية ومن ثم بدأ العمل فى أخذ موافقة [1] كليتى والجامعة ، وعندما وافقت إدارة الجامعة بشكل نهائى كان السفر يـــوم الثلاثـــاء ٢٣ / ٦ / ١٩٩٨ على الطائرة المصرية إلى بانكوك عاصمة تايلاند والتى وصلت بسلام الله فـــى الساعة الأولى من صباح اليوم التالى .

وبعد سويعات ركبت الطائرة إلى مطار هتجاى فـــى جنـــوب تـــايلاند حيث وصلت السابعة والنصف صباحا بتوقيت تايلاند ، وكان بانتظارى ســيارة الندوة مع أحد تلامذتى السابقين فى الجامعة الإسلامية فى ماليزيـــا ، والـــذى يعمل مدرسا مساعدا فى كلية الدراسات الإسلامية فى فطانى.

ومن هنجاى انطلقنا إلى مقر الندوة حيث قابلنا المسئولين عـــن أمانـــة الندوة ، د. امتياز يوسف ، د. حسين مادمان المشرف على الكلية ، ومن الكلية ذهبنا إلى الفندق .

وفى المساء جاء الدكتور حسن [2] على المشرف السابق علـــى الكليـــة والذى عرفته فى زيارتى الأولى إلى فطانى ١٩٩٢م ، ومعه بعض الأســـاتذة والزملاء فى الكلية ، وتناولنا العشاء معا فى أحد مطاعم المدينة القريبـــة مـــن الفندق .

وفى اليوم التالى الخميس ٢٥ / ٦ بدأ العمل حيـــث قمـــت مـــع وفـــد أندونيسى إلى الندوة بزيارة بعض المدارس العربية القريبة من فطانى :

١- وكانت معركة ضارية استمرت ثلاثة أشهر .

٢- تخرج فى جامعة الرياض ، وكان والده أحد الفلكيين فى جنوب تايلاند ، الذى أسهم فـــى تحديد مواقيت الصلاة للمسلمين فى جنوب البلاد .

١- **المدرسة الرحمانية :** وهى تقع على بعد ثلاثين كيلو من فطانى ، التقينا بمدير المدرسة وبعض المدرسين ، والمدرسة تعمل بنظامين ، عربى يؤهل التلميذ للدراسات الإسلامية والعربية فقط ، ونظام تايلاندى يؤهل للتعليم الجامعى فى البلد وخارجه ، وذكر لنا المدير الأستاذ أحمد حسين أن بالمدرسة طلابا من كمبوديا وفيتنام وأندونيسيا وسنغافورة وماليزيا فضلا عن التايلانديين ، وذكر لنا أيضا أن التبشير نشط جدا فى شمال تايلاند وهذا ما يحتاج إلى مجهودات مماثلة من قبل المسلمين أيضا .

والمدرسة أهلية ، تعتمد على مصروفات التلاميذ ، ولكن الحكومة تساعد فى رواتب المدرسين ، وفى المدرسة سكن داخلى ، والتدريس هناك بالعربية إضافة إلى الملايو والتايلاندية ، اللغة الرسمية .

وقد سجلت كلمة فى سجل الزيارات ، كما تقابلنا مع وفد باكستانى جاء لزيارة المدرسة وأخذنا بعض مطبوعات المدرسة التى يقترب طلابها من ١٥٠٠ تلميذ .

٢- **مؤسسة الثقافة الإسلامية فى جالا :** فى هذه المدينة كثير من المدارس والمؤسسات العربية منها هذى المؤسسة العملاقة ، التى نتحدث عنها الآن إذ تتسع لخمسة آلاف تلميذ وتلميذة من تايلاند ، يسكن بعضهم فى المدرسة ومعظمهم يعود إلى بيته بعد انتهاء الدوام المدرسى.

٣- **معهد نهضة العلوم فى جالا :** التقينا بالمدرسين وإدارة المدرسة وأهديناهم بعض المصاحف وأشرطة التسجيل .

المعهد يبدأ من الحضانة إلى الإعدادى فالثانوى ، ويعمل هناك كثير من المدرسين الذين تخرجوا فى الأزهر ، أو غيره من الجامعات فى العالم العربى ، ومبعوث واحد من الأزهر الشريف .

المعهد مدعوم جزئيا من الحكومة ، وتستخدم اللغتان العربية والملايو فى المرحلة الابتدائية ، وفى الإعدادية والثانوية تكون الدراسة بالعربية بشكل مكثف ، والمعهد يتسع لأكثر من ألفى تلميذ وتلميذة ، وبعضهم من الدول المجاورة .

كانت هذه الزيارة الأولى لمدينة جالا التى تقع إلى جنوب من فطانى على ساعة وربع تقريبا بالسيارة ، هذه المدينة التى سوف نعود إليها مرة أخرى لزيارة الكلية الإسلامية بها ، هى أنظف مدينة على مستوى تايلاند ، فقد فازت بهذا اللقب بعد مسابقة على مستوى المملكة .

وفى جالا يبرز إلى جانب نظافتها البادية للعيان مسجدها الجامع ، على غرته لافتة عربية تسمى المسجد :

مسجد روضة الجنة ، جالا

ثم عدنا إلى الفندق فى فطانى ، وفى المساء التقى بالمؤتمرين نائب رئيس الجامعة المضيفة معربا عن سعادته باستقبال المشاركين والحضور من مختلف الأقطار ، لإعطاء الفرصة لمزيد من التفاهم بيننا ، وتمنى للجميع إقامة طيبة ، ثم أعلن عن برنامج الصباح الجمعة ٢٦ / ٦ / ١٩٩٨م .

حفل الافتتاح :

بدأ بتلاوة من آى الذكر الحكيم ، وبعد التلاوة جاءت كلمة مرحبة بالوفود والحضور ألقاها رئيس الجامعة ، ثم كلمة شيروهوندا ، ممثل

مؤسسة تويوتا ، هنأ الكلية على نجاحها فى إقامة هذه الندوة ، شاكرا من أداروها ، وأشرفوا عليها .

أما عميد الكلية المضيفة ، الدكتور حسن مادمان الذى تخرج فى جامعة الأزهر ، فقد ذكر أنه لأول مرة يعقد فى تايلاند مثل هذه الندوة ، متمنيا أن تسهم في دفع التفاهم بين المسلمين وبين غيرهم ، رغبة فى السلم والتوافق الاجتماعى .

وذكر أن الندوة ضمت وفودا من اثنى عشر بلدا ، من الآسيان ومن غيرها ، مثل اليابان والسعودية وأمريكا ومصر ، وأكثر من مائة مؤتمِر وجمهور غفير من أبناء تايلاند .

أما خطاب الافتتاح فقد ألقاه سعادة السيد / وان مأتها ، رئيس مجلس الأمة التايلاندى ، وقد ألقاه باللغة التايلاندية ، ثم وزعت ترجمة إنجليزية على الحضور ، وفى نهاية الافتتاح قدم سعادة السيد / وان مأتها تبرعا إلى صندوق المنح الدراسية بكلية الدراسات الإسلامية ، تسلمه مدير الكلية .

الجلسة العلمية الأولى : وموضوعها تاريخ الدراسات الإسلامية فى الأسيان ، رأسها الدكتور آثو مظهر ، مدير معهد العلوم الإسلامية فى جاكرتا وكان المقرر د. برابير تشوب من جامعة خون كين [1] فى تايلاند .

وقدم فى الجلسة ورقتان ، الأولى بعنوان : (تاريخ الدراسات الإسلامية فى ماليزيا) للدكتور إبراهيم أبو بكر ، من الجامعة الوطنية بماليزيا

١- تقع مدينة خون كَين شمال شرق العاصمة بانكوك .

وقدم الثانية الأستاذ الدكتور محمود سعيدان مستشار وزارة الشئون الدينية في بروناى – دار السلام – بعنوان : (تاريخ الدراسات الإسلامية في بروناى) .

وبعد إلقاء البحثين بدأت ملاحظات الحاضرين – وكانت كالبحوث باللغة الإنجليزية – ثم رد المتحدثين ، فتعقيبات من الحضور ، وأخيرا لخص الرئيس نتائج البحوث وسائر النقاشات وختم بشكر الجميع .

ثم قدمت الهدايا إلى إدارة الجلسة والمتحدثين لينادى للصلاة من يوم الجمعة ، فى قاعة مجاورة ، كانت الخطبة بالعربية ، عن وحدة أمة لا إله إلا الله ، كانت قوية مؤثرة ، بلسان عربى مبين ، برغم أن الخطيب كان تايلانديا وكان مما ذكر حديث : (وإن العربية ليست بأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هى لسان ، فمن تكلم بالعربية ، فهو عربى) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ١٥٢ .

الجلسة الثانية : الدراسات الإسلامية فى الأسيان ، رأس الجلسة د. تشايوت ساثا ، جامعة ثماثات ، بانكوك ، وكان المتحدثون :

١- واجا اسم الله ، من معهد الدراسات الإسلامية ، جامعة الفلبين ، تحدث عن: (تاريخ الدراسات الإسلامية فى الفلبين) .

٢- د. الزمخشرى [1] ظفير ، مدير معهد الدراسات الإسلامية الحكومى فى واليسونجو ، أندونيسيا ، قدم ورقة عن : (الدراسات الإسلامية فى

١- فسر المتحدث لماذا سمى بالزمخشرى ، فقال إن أباه كان يبحث عن اسم له ، وقد وجد ضالته بعد خمسة أيام من الولادة ، إذ وقع فى يده تفسير الكشاف للزمخشرى ، فاختار له هذا الاسم الجميل ، وقد أعطيت له مصحفا تقديرا لهذا الاسم العظيم .

أندونيسيا) وقد خلص د. الزمخشرى إلى: (انتهت كل الأجناس وكل التأثيرات ، وبقى فقط التأثير العربى فى أندونيسيا) .

٣- د. حسن مادمان عميد كلية الدراسات الإسلامية ، فى فطانى الكلية المضيفة للندوة ، حول (الدراسات الإسلامية فى تايلاند) فذكر بأن عددا كبيرا من التايلانديين درس فى مصر وفى الأزهر خاصة ، لا سيما فى الخمسينات والستينات ، وختم بأهمية دور المسلمين فى تايلاند .

٤- د. حكيمة الله صاحب ، من المجلس الإسلامى السنغافورى (التعليم الإسلامى فى سنغافورة إنجازات الماضى ومشكلات الحاضر ، وتطلعات المستقبل) .

وقد اتضح من خلال الأوراق دور العالم العربى ، وخاصة مصر فى دفع الدراسات الإسلامية فى منطقة جنوب شرق آسيا نحو الأمام .

ثم بدأت التعقيبات ، فقال أحد الأساتذة اليابانيين : ذهبت إلى القاهرة لدراسة أوجه الشبه بين التعليم الدينى فى مصر ، وفى ماليزيا ، فوجدت عددا كبيراً من الطلاب الماليزيين يدرسون فى الأزهر ؟ يتساءل المعقب اليابانى ؟ كثير من العائلات ترسل أبناءها إلى الأزهر لأسباب اقتصادية .

ولكن يبدو أن هذا الرأى لا يعجب د. حسن مادمان عميد الكلية المضيفة فيقول : (لولا الأزهر لما ارتقى دين الإسلام ، ولكن لماذا أرسل أبنائى إلى الأزهر ؟ ليقتفوا أثر أبيهم ، الأزهر هو المركز الذى ينطلق منه الناس ليروا العالم وهم متعطشون إلى العلم ، إننى أود أن يأتى الأزهر هنا ، إلى هذا المكان لا أن نذهب إليه فقط) .

ويذكّر أحد المعقبين من سنغافورة بحديث : (العلماء ورثة الأنبيـــاء)

ويعود الحديث مرة أخرى إلى الأزهر ، حيث كانت كلمة (الأزهـــر) أكـثر الكلمات ذكرا فى الندوة بكافة جلساتها ســواء كـــان الحديـــث بالإنجليزيـــة أو العربية.

وقد ظهر لى من خلال الأوراق المقدمة والأحاديث المعلقة نشاط الوفد الأندونيسى كمّا وكيفا ، فقد كان أوفر وفود الندوة عددا ، وأشدهم نشاطا ، بدءا من إدارة الجلسات والأوراق والتعقيبات وحتى المناقشات والنشـــاطات علـــى هامش الندوة ، قبلها وبعدها ، وفى أثنائها .

كما بدا حجم التعليم الإسلامى ضخما فخما واسع الأنحاء والأرجاء فى هاتيك المنطقة خاصة فى أندونيسيا وماليزيا وجنوب تايلاند وبروناى .

على أية حال فقد كان خاتمة التعقيبات تريد الإفادة من الحكمة المحليـــة فى فطانى ، وعلم الأزهر ، والمدينة المنورة .... إلخ ليصاغ من كل هذا علـــم وثقافة تخدم هذه المنطقة .

وفى نهاية الجلسة الثانية قدمت الهدايا إلى رئيسها والمتحدثين ،.عبـــارة عن سفينة داخل علبة زجاجية ، ثم عدنا إلى الفندق [١] .

جلسة مسائية :

رأس الجلسة – فى قاعة الفندق – الدكتور إسماعيل على العميـــد السابق للكلية [٢] والتى خصصت لحديث سعادة الدكتور عبد الله العبيدى حـــول:

١- قد لاحظت أن زوجة أحد الأساتذة اليابانيين الذى قال بأنه ذهب إلى مصر فى تعقيبـــات الجلسة قد خلعت طرحتها – الخمار – فور انتهاء الجلسات وارتدت قبعة سوداء .

٢- إذا ذكرت الكلية فقط بعد ذلك قصد بها الكلية المضيفة للندوة .

(الدراسات الإسلامية ، وأهميتها فى عصر العولمة) وذلك باللغة العربية وكذا كانت التعقيبات ، مثل [1] :

هذه الشعوب تميل إلى العلم والدين ، والإيثار والبذل ، فكثير من المعلمين يعيش بقوت يوم بيوم ، وكل مسجد هنا فيه دار للعلم ، ولكن لى ملاحظات ، لقد كانت الملايو بحروفها العربية لغة التعلم ، ولكن ظهور اللغات القومية قد حد من استعمال الحرف العربى .... المناهج ليست على المستوى المطلوب ، الكتب مختلفة وكثيرة ، وقد يؤتى ببعض أمهات الكتب - من التراث - لتدرس للطلاب هنا ، ولعلها لا تناسب مستواهم ... قلة المعاهد والكليات هنا ، أما دون ذلك فهناك ما لا يحصى ، لا توجد دراسات عليا، ومن هنا يلجأ الناس إلى الغرب ، ونحن نعرف أن الغرب لا يعطى العلم فقط .

ولكن أحد الماليزين يسأل : هل توجد أقسام للغة الملايو ، أو اللغات الإسلامية الأخرى فى مصر أو غيرها من ديار العرب ؟ سؤال إلى المتخصصين فى اللغات الشرقية والإسلامية ؟ بمعنى هل يهتم العرب بالشعوب المسلمة ولغاتها كما يهتم المسلمون بالعرب ولغاتهم ؟ اللهم نعم .

وعلى هامش هذى الجلسة سألنى أحد المعيدين بالكلية عن د. نصر أبو زيد والدكتور عبد الصبور شاهين [2] ، وعن د. محمد عمارة [3] ، مذكرا بفقد

١- أحد المصريين الذى حصل على الجنسية التايلاندية منذ الستينات ، وهو يجيد التايلاندية بطلاقة .

٢- اشتهرت هذه القضية فى مصر فى السنوات الأخيرة ، حيث رأى د. عبد الصبور أن إنتاج د. نصر لا يرقى به إلى درجة الأستاذية ، فقامت الدنيا ، ولم تقعد !! .

٣- مفكر إسلامى معاصر ، غزير الإنتاج .

وجوه فى جلة علماء الإسلام المصريين الشيخ عبد الحميد كشك ، الشيخ جاد الحق ، الشيخ محمد الغزالى ، الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمة الله عليهم أجمعين - فكأنما هذا المعيد الشاب يعيش معنا فى مصر ، ساعة بساعة ولحظة بلحظة .

وفى اليوم الثالث للندوة كانت مجموعة من الجلسات كما يلى :

أولا : الملامح المنهجية والموضوعية للدراسات الإسلامية فى منطقة الآسيان :

أدار الجلسة د. إبراهيم أبو بكر من ماليزيا ، وكان محرر اليوم د. شايرات سيريبوتانا من تايلاند وكانت الأوراق :

١- د. عثمان بكر من ماليزيا : نحو مدخل أكثر تكاملا وتركيبية وشمولا للدراسات الإسلامية من خلال تجربة جامعة الملايو ، بماليزيا .

٢- د. جهاد أبو النجا : الدراسات الإسلامية فى تايلاند ، وهو أول متحدث بالعربية بعد د. عبد الله العبيد ، أمين عام رابطة العالم الإسلامى ، على أية حال فقد اشار د. أبو النجا إلى محاولة فرض العولمة على الدول الصغيرة وأرجع أزمة دول الأسيان إلى العولمة والربا وذهب إلى أن العولمة الثقافية معناها وهدفها البعد عن الدين ، بل تطرق إلى العولمة السياسية والعسكرية.

٣- د. ميتسوانا كامورا : أثر المنح الدراسية اليابانية على الإسلام فى جنوب شرق آسيا .

٤- د. وان صبرى من ماليزيا : بعض الملاحظات على التطور التاريخى لتفسير القرآن الكريم فى جنوب شرق آسيا .

٥- د. عبد الرحمن ماسود ، لماذا ظلت الباسندران - المدارس الإسلامية التقليدية - مراكز قوية وموحدة للدراسات الإسلامية .

٦- د. إبراهيم زين ، سودانى يعمل فى ماليزيا : تدريس الفقه وأصول الديـــن من منظور معارف الوحى الإسلامية [١] .

٧- فيفيان أنجليز : أثر المنح الدراسية الأمريكية على الإسلام فى جنوب شرق آسيا ، نظرة من الخارج .

ويلاحظ هنا تواجد يابانى وأمريكي واضح ، أمـــا التعقيبـــات فكـــانت بالإنجليزية ، عدا تعقيب على د. أبى النجا : (منذ ٢٧ سنة قرأت أن جمعيـــة الصداقة الأمريكية تحاول القضاء على نظام الفنـــدق - المـــدارس الإســـلامية التقليدية أو الكتاتيب فى تايلاند وماليزيا - وقد تم هذا بعد ست عشرة ســـنة) ورد الدكتور جهاد بالعربية شاكرا من سأل ، ومـــن عقـــب ، وبعـــد انتـــهاء التعقيبات قام شيروهوندا ممثل مؤسسة تويوتا بتقديم الهدايا للمتحدثين السبعة .

ثانيا - ملامح الحوار الثقافى والدينى للدراسات الإسلامية فى أقطار الأسيان :

رئيس الجلسة د. الزمخشرى ظفير ، وكان الأوراق :

١- د. امتياز أحمد [٢]: (الدراسات الإسلامية فى معاهد التعليم العالى خـــارج العالم العربى وجدلية التدريس بالعربية ، أو بغيرها) وهـــو بحـــث مـــهم يخلص إلى ضرورة العربية للدراسات الإسلامية .

٢- د. جوهان مولمان [٣]: التقليد والتجديد من خلال الدراسات الإسلامية فـــى جنوب شرق آسيا معاهد الدراسات الإسلامية الحكومية فى أندونيسيا كمثال.

١- فى الجامعة الإسلامية بماليزيا كلية باسم معارف الوحى ، تشبه كليات الآداب عندنا .

٢- باكستانى يعمل فى بروناى ، وقد وعدت الرجل بترجمة ورقته إلى العربية لأهميتها الشديدة .

٣- هولندى يعمل فى أندونيسيا ، يعرف العربية لأنه عاش فى الجزائر خمس سنين ، مسلم متزوج من جزائرية.

٣- د. محمد نور مانوتى ، من ماليزيا : (الدراسات الإسلامية ومقارنة الأديان فى الأسيان ماليزيا كمثال) أشير فى التعقيبات إلى مقتل د. إسماعيل الفاروقى وزجته - رحمهما الله - الرئيس السابق للمعهد العالمى للفكر الإسلامى ، وأن الجريمة وقعت عقب الاتفاق على الالتقاء بغير المسلمين ومحاورتهم .

٤- د. محمد ماشاسين ، من أندونيسيا ، العلاقات الإسلامية المسيحية فى جنوب شرق آسيا من وجهة نظر دورية العالم الإسلامى .

٥- د. أحمد مصطفى أبو الخير : (طريق الحرير وأثره فى ربط الأسيان بالعالم الإسلامى دراسة فى جغرافية العالم الإسلامى ، ودورها فى تكوين المتخصص فى الدراسات الإسلامية) وكان ثالث بحث يلقى بالعربية ، وكان له صدى طيب ، وازدان بحيوية واضحة ، وعرض بعض الصور والخرائط أمام الحضور ، كما أثار بعض التعقيبات بالعربيمة ، وأيضا بالإنجليزية وعقب د. كمال حسن من ماليزيا بسعادته لمعرفة أصل كلمة (ملاكا) أحد الموانى المهمة فى بلاده بأنها ملقة ، أو : (الملقى) لأنه كان يتلقى السفن القادمة إلى الشرق الأقصى .

وبعد سلسلة من التعقيبات والرد عليها انتهت جلسات اليوم الثالث، وفى الفندق دعى المؤتمرون إلى واحدة من مجموعات العمل ، فى حِلَق نقاشية - كل حسب اهتمامه - مع الأساتذة التايلانديين :

المجموعة الأولى : تتحلق حول موضوع (الدراسات الإسلامية وبرنامج مركز [1] المثلث النامى إندونيسيا وماليزيا وتايلاند) .

المجموعة الثانية : أولويات البحث والكتابة فى الدراسات الإسلامية .

المجموعة الثالثة : الدراسات الإسلامية فى الأسيان ، كيف نجعل منها منظومة واحدة .

وقد دارت النقاشات باللغة الإنجليزية ، ورأيت أن أشارك فى المجموعة الأولى ، التى ذهبت إلى أن من التحديات أمام المسلمين :

١- استخدام التقنيات الحديثة ، وخاصة الذكاء الاصطناعى فى الدراسات الإسلامية .

٢- هل نعرف طريق الإسلام وحكم الإسلام .

٣- التفكير ومنهج البحث .

٤- عن أية منطقة نتحدث ؟ ففى كل ما يشغلها ، ولكل مشاكلها .

٥- الدراسات الإسلامية غير واقعية ، وليس فيها حيوية أحيانا .

٦- أزمة العملات الآسيوية .

٧- ما هى النظرية الاقتصادية فى الإسلام ؟

٨- كيف نبعد عن الربا وننجح فى نفس الوقت ؟

٩- ثقافة الزواج فى الإسلام .

١٠- لا تعارض فى الإسلام بين الثقافة والدين .

١١- التعليم أهم الأولويات فى المجتمع الإسلامى .

١- وهو مركز بحثى تابع لجامعة أمير سنتلة ، وقد أسهم إلى جانب مؤسسة تويوتا فى تمويل الندوة .

١٢- تباين النظرية عن التطبيق .

١٣- وأخيرا كيف نعالج مشكلاتنا من الناحية الشرعية ؟ [١]

وفى اليوم الرابع والأخير كانت الجلسات كالآتى :

أولا - القانون والعلوم السياسية والدراسات الإسلامية فى الأسيان : رأس الجلسة د. واجا اسم الله ، وحرر جلسات اليوم د. حكيمة الله صاحب

وقدمت إلى الجلسة الأولى الأوراق :

١- د. آنو مظهر [٢]: دراسة الشريعة الإسلامية فى المعاهد الإسلامية الأندونيسية .

٢- د. أرونج سونا ساستا [٣]: مقررات دراسات العالم الإسلامى فى الجامعات التايلاندية المشكلات والمنهج .

٣- أ. فوفان هان [٤]: المسلمون فى فيتنام ، ألقى كلمته باللغة الفيتنامية .

٤- د. روبرت ألبرتون : دراسة التنوع السياسى بين المسلمين فى جنوب تايلاند .

١- وكان فى حلقة النقاش باحثة بوذية ، كان لها نشاط واضح في النقاش ، وكذا بعض الأمريكان الذى تردد على لسانه اسم د. حسن حنفى - أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة - والمفكر محمد أركون ، كما لاحظت أنهم يستخدمون التعبير Language of the home لغة الوطن ، أو مسقط الرأس ، وليس Mother tongue لغة الأم .

٢- مدير معهد الدراسات الإسلامية الحكومى بجاكرتا .

٣- من معهد دراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامى ، جامعة تشولالونجورن فى تايلاند.

٤- من معهد العلوم الاجتماعية فى فيتنام .

٥- د. يسنى سابى : دور الزعامة الدينية فى مقاومة الاستعمار ، حالة أتشــى فى سومطرة [١] .

٦- د. ليك عارفين : التعليم الإسلامى - الحكومى والأهلى - فى بروناى .

وبعد عرض البحوث بدأت المناقشات والتعقيبات ، وقد سألنا د. يســنى باعتباره أندونيسيا عن دور المستشرق الهولندى سنوك ؟ فذكر أن جــاء إلــى بلادنا لبحث مشكلة المقاومة الإسلامية للاحتلال الهولندى فنصح حكومته بترك المسلمين لعبادتهم من الصلاة والزكاة ... إلخ ، لكن إن تعرضــوا للــهولنديين فاسحقوهم .

ثانيا - مستقبل الدراسات الإسلامية فى الأسيان ، رأس الجلسة د. امتياز أحمد

كانت الأوراق :

١- د. جوان فول [٢] : الدراسات الإسلامية بعد الاستشراق ودراسات المنطقة .

٢- د. إسماعيل على : (مستقبل الدراسات الإسلامية فى الأسيان) وكان رابع متحدث بالعربية وباقى البحــوث كــانت بالإنجليزيــة ، اللــهم إلا واحــدا بالفيتنامية.

٣- د. محمد كمال حسن : دراسة الإسلام فى الأرخبيل الأندونيسى المــاليزى المعاصر ، بعض الملاحظات العامة .

١- ركز على دور العلماء مذكر بالأحاديث الشريفة : (العلماء ورثة الأنبياء - علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل - يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء) فعلى علمــاء اليــوم التقــدم للتصدى للمشكلات المعاصرة وتأصيلها من الناحية الشرعية .

٢- من مركز التفاهم الإسلامى المسيحى ، جامعة جــورج تــاون ، الولايــات المتحــدة الأمريكية .

٤- سعادة الدكتور سورين بتسوان ، وزير الشئون الخارجية ، حكومة مملكة تايلاند : (الدراسات الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين) تحدث مرتجلا بلغة إنجليزية طليقة ، دون أن ينظر فى ورق ، أو منه يقرأ .

وقد بدأ حديثه مبسملا ، ومفتتحا بالعربية ، وذكر آية (يا أيها الذين آمنوا : إنا جعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم [1]) .

ثم فاجأ الحضور بترك مكان المنصة ، بل أخذ المنصة مقتربا من الجالسين قائلا : (إن السياسى يختلف عن المحاضر ، فى أن الأول يجب أن يكون قريبا من الناس) .

وبرغم أنه كان يتحدث بالإنجليزية إلا أن حديثه ازدان بألفاظ عربية عديدة ، مثل : (العلوم النقلية - أمة - مجتهد - ممنوع) .

تطرق إلى موضوعات من أهمها :

- دور الكتاتيب ، الفندق فى ماليزيا ، الباسندران فى أندونيسيا ، وفى الفليبين يسمى المدرسة وإن على عاتق هذه الكتاتيب - بشكلها الحديث - نقل الناس إلى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الهجرى [2] ، فقد تخرج كثير من الزعماء والساسة فى الفندق : وان مأتها - د. حسن مأتها - د. محاضر محمد - على العطاس [3] - سلطان بروناى .
- يقول : قرأت خطابا للدكتور محاضر محمد نقل فيه عبارة الإمام الغزالى : (أغلق باب الاجتهاد بعدى) كيف ؟ كل واحد فينا يمكن أن يكون مجتهدا.

١- ١٣ / الحجرات .

٢- يلاحظ أنه يشير إلى التاريخ الهجرى ، وليس الميلادى .

٣- وزير خارجية أندونيسيا .

- ألتمس منكم جميعا أن تساعدوا أبناءنا [1] الطلاب ، نريد أبحاثا جديدة وطرائق جديدة فى البحث ، فى الطب ، فى الحواسب فى شتى العلوم ، لقد قدم السفير اليابانى منحة لمدة سنة لدراسة اليابانية ، وسفير المغرب فتح الباب لدراسة الفرنسية ، لكن لم يذهب أحد ، مع أننا نردد: (اطلبوا العلم ولو فى الصين) .

ويعود مرة أخرى لآية : (يا أيها الناس إنا جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أى لتعارفوا فى العمل ، ومرة أخرى يعرج على الاجتهاد : (تعلم أن تكون وحدك مجتهدا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

وبدأت المناقشات والتعقيبات فأشار أحد الأساتذة اليابانيين إلى أهمية العربية ، فمن أراد أن يتعامل بجدية مع الدراسات الإسلامية فى جنوب شرق آسيا فعليه بإتقان العربية .

وأخيرا شكر الوزير الحضور باسمه ، وباسم الحكومة ، متمنيا أن تكون مثل هذى الندوة فى الحاضرة بانكوك ، وشكر مؤسسة تويوتا على رعايتها .

حفل الختام :

قدم د. حسن مادمان عميد الكلية تقريره النهائى حول أعمال الندوة وفعالياتها ، ثم كانت مراسم التوقيع على مذكرة التفاهم بين جامعة أمير سنقلة وجامعة الملايو ، وقعها نائبا رئيسى الجامعتين .

---

[1]- فى القاهرة ١٦٠٠ طالب من تايلاند .

وألقى د. عثمان أبو بكر نائب رئيس جامعة الملايو كلمة عن الوفــود ضيوف الندوة ، ثم هدايا لعميد الكلية ، ونائبى رئيسى جامعتى سنقلة والملايـو وأخيرا قدم نائب رئيس الجامعة تقريره النهائى عن الندوة .

ثم انصرفت الوفود إلى الفندق ، ليبدأ كلٌ فى العودة إلى وطنه ، أو إلى حيث يريد ويهوى .

ولم يقتصر الأمر على حضور الندوة وتلخيص أهم فعالياتها ومناقشاتها وأخذ الصور التذكارية ، بل قمت بتقديم عدد كبير من أشرطة القرآن الكريـــم ونسخ من المصحف المرتل وأسطوانات الحاسب والكتب العربية هدايا ، ســواء للزملاء فى الندوة ، أو مكتبات الكليات والمدارس ، من مؤلفاتى ، ومؤلفـــات غيرى ، مما كان له أطيب الأثر لدى الزملاء ، الذين أرسلوا بعضهم خطابــات شكر وشهادات تقدير بعد عودتى إلى مصر .

وفى ذات الوقت ناقشت مع العميد السابق د. إســـماعيل علـــى أهـــم احتياجات الكلية ومشكلاتها ، فاتفقنا على زيارتهم للإشراف على تعليم العربية للمبتدئين ، فهى مشكلتهم الرئيسة هنا .

وفى يوم الأحد ٢٨ / ٦ / ١٩٩٨ آخر أيام الندوة ، وحوالى الســـاعة السادسة مساء ، وبعد أن انفض الضيفان كان فى انتظارى مدير مدرسة الترقية الإسلامية فى ناراتيوات ، وأحد مدرسيها ، وكان تلميذى بالجامعة الإســـلامية العالمية فى ماليزيا - ١٩٩٠ : ١٩٩٢ - ومعهم سيارة المدرسة المكيفة التـــى انطلقت بنا - نحن الثلاثة - إلى مدينة ناراتيوات .

لقد كان هذا ما أمر به مؤسس المدرسة حيث كان فى أندونيســـيا فـــى زيارة عمل ، وقد نفذت إدارة المدرسة ما أمر به الصديق عمر الطيب ، الـــذى

عرفته عن طريق تلميذى فى الجامعة الإسلامية ، عندما زرت جنوب تـــايلاند أول مرة ١٩٩٢ وبصحبة هذا التلميذ ، والذى عرفنى سنتها أيضـــا بـــالصديق د.إسماعيل على .

على أية حال فإني فى الطريق إلى ناراتيوات تبادلت أطراف الحديـــث مع الرجلين، خاصة مع المدرس ، تلميذى السابق ، وأتطلع إلى هـــذا المطـــر والخضرة التى ترافقنا حيث نتجه، ولكنى فوجئت بحديث عن الجفـــاف وقلـــة الغيث والمطر ، فذكر لى أن ما رأيته لم يكن من مدة ، ليست بالوجيزة ، ولـــذا صلى المسلمون فى جنوب تايلاند صلاة الاستسقاء.

وتطرق الحديث إلى صدور كتاب هذا العام يرصد التأثير الإســـلامى الآتى من الشرق الأوسط مطالبا بالاهتمام باللغة الإنجليزية كى تتقـــدم البـــلاد بالإضافة إلى إنشاء جامعة عالمية فى حاضرة تايلاند .

كما ذكر لى أن رئيس البرلمان التايلاندى ، يسمى هنا بالرجل النظيـــف وهو ينتمى إلى حزب الأمل الجديد ، الذى حكم أحد عشر شهرا ، حتى ديسمبر ١٩٩٧ ، حيث سحبت منه الثقة بسبب الأزمـــة الاقتصاديـــة وانتقـــل رئيـــس البرلمان إلى المعارضة ، وهذا مما لم يحدث فـــى تـــاريخ البـــلاد أو غيرهـــا وبطبيعة الحال الحزب الحاكم غـــير مرتـــاح لـــهذا الوضـــع ولكـــن النـــاس – والبوذيون منهم خاصة – يثقون بالرجل ، ويسمونه بالرجل النظيف .

وبعد ثلاثة شهور من الآن – أى فى سبتمبر القادم ١٩٩٨ – ســـتجرى الانتخابات فى البلاد، حسب الدستور الجديد ، والذى صيغ ســـنة ١٩٩٧ فـــى عهد رئيس البرلمان ، وببركاته .

ومن إنجازات الرجل الكلية الإسلامية فى جالا - سيأتى الحديث عنها- ولذا يحظى بحب الشعب ، والملك أيضا ، فقد ورد فى مجلة تايلاندية مسلمة أن الملك طلب من رئيس البرلمان عدم السجود عند مقابلته ، كما يفعل البوذيون ، عند مقابلة الملك ، وأن يتصرف حسب شعائر دينه .

على أية حال فقد وصلنا إلى منزل تلميذى ، ثم صلينا المغرب والعشاء فى مسجد قريب بعدها انطلقنا ثلاثتنا إلى أحد المطاعم للعشاء ، وما أجمله من عشاء ، وما أطيبه من غذاء فى هذا البلد ، بعدها ذهبنا إلى الفندق - خمسة نجوم - لنقابل فى الصباح مؤسس المدرسة الذى جاء الساعة العاشرة من رحلته فى أندونيسيا ، وقد حضر من المطار إلى المدرسة مباشرة ، ثم استأذن عشر دقائق يذهب إلى المنزل يغير ملابسه ، فقد كان هذا دأبه دوما ، عندما يعود من سفر ، يعود إلى المدرسة أولا ، ثم إلى بيته بعد ذلك .

وبعد دقائق عشر عاد الرجل إلينا ، وكان معنا ضيف آخر من أندونيسيا ، من حضور الندوة ، وتناولنا طعام الإفطار فى مكتب مؤسس المدرسة .

مدرسة الترقية الإسلامية بها ٣٠٠٠ تلميذ ، ومن هيئة التدريس ٢٠٠ والمدرسة تؤهل إلى الالتحاق بالجامعات الحكومية ، بجانب الكليات العربية والإسلامية .

وقد جُلْنا بالمدرسة وفصولها ، وتحدثنا إلى التلاميذ والمعلمين، وعندما ضاقت الفصول اضطر مؤسس المدرسة إلى الاقتراض من الحكومة لبناء بعض الفصول مع التزامه شخصيا بالسداد .

ومن الأشياء التى ذكرت لى أنه سمح بالسروال والخمار فى المدارس الحكومية ، فى كل تايلاند ، كما سمح بحصتين أسبوعيا للدراسات الإسلامية .

أما عن الجفاف وقلة الغيث فصلى المسلمون صلاة الاستسقاء ، بعدها نزل المطر ، وأما عن علاج الأزمة الاقتصادية فقد نصح الشعب بما يلى :

١- الاعتماد على الزراعة المنزلية لتوفير الخضروات .

٢- شراء المصنوع محليا ، وليس المستورد .

٣- الدراجات البخارية كثيرة جدا فى تايلاند ، وقد وجه أصحابها إلى استخدام الوقود العادى الرخيص ، تاركين الوقود النقى جدا ، غالى الثمن للسيارات الجديدة الغالية .

وهم يكررون هذى النصائح فى وسائل الإعلام ، فمثلا نصحوا الناس بإطفاء مصباح واحد على الأقل فى البيت ، فى ساعة معينة ، فى وقت معين لتظهر مدى فائدة توفير الطاقة وقيمتها ، بالأرقام والإحصاء .

وبعد يومين فى ضيافة مدرسة الترقية ، توجهت إلى مدينة جالا بالسيارة وبصحبة تلميذى ، بعد ساعتين وصلنا فزرنا الكلية الإسلامية هناك مولود جديد من المؤسسات الإسلامية المهمة فى هذى المنطقة ، فقابلنا عميدها د. إسماعيل لطفى ، ووكيل الكلية ، وهيئة التدريس وكذا بعض الطلاب والطالبات فى قاعات الدرس ، وسط حفاوة بالغة من الجميع وأخذ العديد من الصور التذكارية ، كما حصلنا على بعض المطبوعات العربية التى تصدرها الكلية ، والتى تحكى تاريخ هذه الكلية ونشأتها ، نوجز منه ما يلى :

الكلية أول مؤسسة تعليمية جامعية إسلامية أهلية فى تايلاند ، أسهم فى رعايتها البنك الإسلامى للتنمية فى جدة ، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية

وبعد هذه الجولة طلب منى إلقاء كلمة عن تعليم العربية ، وذلك في معلمي العربية فبدأت الحديث بزيارتي الأولى للمدرسة ١٩٩٢ ثم كيف حضرت مرة أخرى لأقدم للندوة الدولية للدراسات الإسلامية ورقة عن طريق الحرير ، أعطيت فكرة سريعة عن هذا الطريق البرى الذى خدم البشرية في التجارة والحضارة قرونا ، وتحاول دول من غرب آسيا إحياءه مرة أخرى في نهاية القرن العشرين ، ثم تحدثت عن تعليم العربية ، وما الذى تحتاج إليه الساحة ؟ ودون أن أتَوّه الجالسين فى كلام كثير ، واسع فضفاض ، ركزت على ثلاث نقاط رئيسة :

- إخلاص المعلم لمهنته .
- إقناع التلميذ بالمادة التى يدرسها .
- وسائل بسيطة وفاعلة لممارسة العربية .

وهنا ذكر مؤسس المدرسة أنهم أقاموا أسبوعا عربيا بالمدرسة ، وفى رحلته إلى أندونيسيا رآهم يخصصون يوما للحديث بالعربية - فقط - وآخر للإنجليزية ، ويوما للأندونيسية ... وهكذا .

وفى الليل اجتمعنا مع مؤسس المدرسة والضيف الأندونيسى ومدير المدرسة ، ورجل آخر ذكر أنه يترجم للملك والأسرة الحاكمة عند حضورهم إلى هذه المنطقة ، فى جنوب البلاد .

فقد ذكروا لى أن الملك بومى بون يسكن فى قصر على هذا المرتفع الأخضر الذى يظهر أمامنا من الشرفة ، اشترى الملك هذا الجبل من المسلمين ليقيم قصرا ، ينزل فيه عند زيارته لهذا البلد فى الجنوب .

بالمنطقة الشرقية ، بالمملكة العربية السعودية ، ونظام الدراسة يعتمد على نظام الساعات المقررة ، ١٤٥ ساعة ، على الأقل موزعة كالآتى :

١- متطلبات ٣٥ ساعة (ست ساعات للعلوم الاجتماعية - سبع للعلوم الإنسانية - إحدى عشرة للعلوم والرياضيات - ومثلها للعلوم اللغوية).

٢- متطلبات خاصة ١٠٥ : (٤٤ ساعة متطلبات الكلية الأساسية - ٤٦ متطلبات القسم الإجبارية - ١٥ متطلبات التخصص الاختيارية) .

٣- وأخيرا متطلبات الاختيار الحر (خمس ساعات) على أن يكون حفظ القرآن الكريم ضمن المقررات الأساسية فى جميع الفصول الدراسة والبحث العلمى هو الآخر مقرر إجبارى يقدمه الطالب فى الفصل الأخير من الدراسة .

وقد تمثلت أهداف الكلية فيما يلى :

١- تحقيق آمال المسلمين - فى تايلاند عامة وفى الجنوب خاصة - فى أن تكون لهم مؤسسة تعليمية وتربوية بمثابة صرح إسلامى ، وحصن منيع ينازل تحيات العصر ، متمشيا مع سياسة الحكومة ورغبتها فى مشاركة القطاع الأهلى فى المجال التعليمى الجامعى ، الذى لا يستطيع القطاع الحكومى توفيره .

٢- تحقيق طموحات الطلاب فى المنطقة بإتاحة الفرصة لهم فى مواصلة دراستهم الجامعية وكذا المعلمون والعاملون فى حقل التعليم والتربية الراغبين فى رفع مستواهم العلمى .

٣- الدفاع عن الهوية الإسلامية ، والثقافة الإسلامية ، حيث انتشرت المؤسسات التعليمية والتربوية العالمية - غير الإسلامية - على طول

البلاد وعرضها ، التى تهدف إلى تذويب الهوية الإسلامية لأية مؤسسة إسلامية عالية .

٤- غرس الروح الإسلامية وتنميتها ، وتعميق التدين العملى فى حياة الفرد والمجتمع المبنى على إخلاص العبادة لله وحــده ، وتجريــد الاقتــداء برسول الله ﷺ .

٥- بناء الجيل الإسلامى الصالح القــادر علــى أداء الرســالة الإســلامية وتحقيق متطلبات المجتمع ليكون هذا الجيل قــادرا علــى مواجهــة التيارات المعادية ، والأفكار الهدامة .

٦- إعداد البحوث العلمية وترجمتها ونشرها وتشجيعها فى مجالات العلــوم الإسلامية والعربية خاصة ، وسائر العلوم ، وفروع المعرفة الإنســانية التى يحتاجها المجتمع الإسلامى عامة مــع العنايــة بجمــع الــتراث الإسلامى وحفظه وتحقيقه ونشره .

٧- إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والمؤسسات العلمية فى العــالم وتوثيقها لخدمة الإسلام ، وتحقيق أهدافه .

وقد بدأ العمل فى هذى المؤسسة العلمية من عشر سنوات خلت تقريبــا ولكن الدراسة بدأت فى العام ١٤١٧ هــــ - ١٩٩٦م ، ثــم حصلــت علــى الترخيص الرسمى من وزارة شئون الجامعات بتاريخ ٢٣ محرم ١٤١٩هــ - ٢٠ مايو ١٩٩٨ - وذلك فى احتفالية عظيمة بوزارة شئون الجامعــــات فــى الحاضرة بانكوك ، وبرعاية معالى رئيس البرلمان ، وحضــور العديــد مــن المسئولين الحكوميين ، والسفراء العرب والمسلمين ، ولفيف من الشــخصيات الإسلامية ، خاصة من جنوب البلاد .

وقد خصصت الكلية عددا من نشراتها الشهرية [1] (أخبار الكلية) لتغطية هذا الحدث المهم ، وعلى الغلاف بالخط الأحمر :

مرحبا بأول مؤسسة تعليمية جامعية إسلامية أهلية

فى تايلاند

وتحت العنوان صورة لوزير شئون الجامعات يسلم الترخيص لرئيس المؤسسة الخيرية الإسلامية للتعليم العالى ، التى تشرف على الكلية ، وترعى ممتلكاتها .

وبعد زيارة الكلية فى جالا توجهت مع مرافقى إلى مدينة هاتجاى لركوب الطائرة إلى الحاضرة الماليزية ، وفى غضون ساعة كنا ننزل أنا وزميل أندونيسى إلى المطار الجديد ، الذى افتتح هذا اليوم فقط ١٩٩٨/٧/١م.

على أية حال ، وفى الطريق إلى الحاضرة الماليزية شكا إلىَّ الزميل [2] الأندونيسى حاجتهم الملحة لمتخصصين فى الدراسات الإسلامية والعربية ومن العرب على وجه الخصوص ، قال ذهبنا إلى شيخ الأزهر: (نريد أساتذة من جامعة الأزهر ؟) قال فضيلته : (مرتب الأستاذ أربعة آلاف دولار) قلنا : (السلام عليكم ، لا قبل لنا بهذى الألوف) وإذا كنا نملك هذه المبالغ ، فلماذا نلجأ لكم ؟

١- العدد ١٢ ، بتاريخ ١ / ٦ / ١٩٩٨م .

٢- مدير إحدى المعاهد الحكومية الأندونيسية .

وفى الحقيقة فإن وجود الأزهر [1] بمعاهده ومبعوثيه فى العالم يقوم بدور مهم فى خدمة الدراسات العربية والإسلامية فى كثير من البلدان الإسلامية ، وفى سنة ١٩٨١ قام الصندوق المصرى للتعاون الفنى لخدمة القارة الإفريقية ، ثم فى سنة ١٩٩٣م بدأ نشاطه فى الاتحاد السوفيتى السابق وما جاورها فى آسيا ، وفى أوربة ، تحت مسمى (الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث والدول الإسلامية الأوربية والدول المستقلة حديثا) .

وذكر لى الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى أن مصر تنفق على الأمور الثقافية خارج الوطن خمسين مليون دولار ، فى حين تنفق إحدى دول النفط مليونى دولار فقط ، أى ١/٢٥ مما تنفق مصر .

ولكن هذا البلد – مصر – له جاذبية غريبة ، وسحر عجيب عند الآخرين ، من عرب وغيرهم ، من المسلمين ، ومن غيرهم ، وقد لمست هذا فى رحلاتى المتعددة ، فى قارة إفريقية أو فى الشرق الأقصى ، أو هنا فى أكرانيا .

وعندما قلت شيئا كهذا أمام السفير المصرى هنا قال : (وأنا أيضا أحب السفر إلى مصر) وكان على وشك الطيران إلى الوطن لقضاء إجازته السنوية .

إذن برغم إمكانيات البلد التى لا تقارن بغيرها فى عالم العرب ، أو العجم فإنها تطالب دائما بالبذل والعطاء ، تهفو إليها النفوس سواء للسياحة أو

١- سألت رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية : (هل مازلت بحاجة إلى الأزهر برغم مرور السنين وكسر الدهور ، واختلاف الأحوال؟) قال: (نعم ؛ لأنه لا توجد جهة أخرى تساعد غيره) .

لالتماس العلم ، ويتطلع الناس للأساتذة المصريين ، خاصة في الدراسات العربية والإسلامية .

ولذا فإن الحاجة تمس إلى آليات جديدة ، وغير تقليدية لتلبية مسئوليات مصرنا تجاه البلدان الصديقة ، وفى نفس الوقت تحافظ على موارد الوطن، ولا تهدره ، ولا تسخو فى غير موضع السخاء ، حيث الاقتصاد نصف المعيشة .

وهنا نقدم بعض المقترحات :

١- إن تقنيات الاتصال الحديثة ، الناسخ (الفاكس) والشبكة الأم (الإنترنت) والحاسبات ، كل هذا لمما يسهم فى مساعدة المتخصصين فى الدراسات العربية والإسلامية ، وذلك عندما تستغل إمكانياتها بالشكل المتاح الممكن.

وهذا مثال لا حصر ولا عدّ ، يمكن للأساتذة فى العالم العربى أو فى أى مكان الإشراف على رسائل الماجستير أو الدكتوراه بواسطة إرسال ما يكتب الطالب على قرص الحاسب وإرساله لمشرفه ، ثم يعيد الأستاذ القرص بعد التصويب ، وإعطاء ما يشاء من ملاحظات وتعقيبات ، وكذا الحال فى البحوث العلمية المراد تحكيمها ، هذه البحوث التى يمكن أن تصوب أو تقيم فى أى بلد ، ثم يعود القرص ليطبع على شكل دورية علمية ، أو بالشكل المطلوب .

٢- وهاك اقتراح ناقشناه مع بعض الزملاء فى الجامعة الإسلامية فى ماليزيا وهو يتلخص فى قضاء العطلات الصيفية ، أو الفصلية ، أو جزء منها فى إحدى الجامعات العربية ، فى وقت الدراسة فى الجامعة المضيفة يتحمل الضيف تكاليف سفره ، وتوفر له إحدى الجامعات فى العالم العربى السكن ، أو الإقامة الكاملة ، ولو بسعر رمزى ؛ إن هذا يتيح ربط هؤلاء

بعالم العرب ، والإفادة من أساتذته ومطبوعاته وعلمائه ... وفي نفس الوقت لا يكلف ، ولا يرهق بعض الميزانيات المرهقة من أصلها وأساسها.

ومن ناحية أخرى يمكن أن تفعل جامعاتنا وأساتذتنا الشيء نفسه بالسفر في العطلات إلى الجامعات المهتمة بالدراسات العربية والإسلامية ، وكذا من الممكن تخصيص جزء من المهمات العلمية - كما في الجامعات المصرية - للسفر إلى هاتيك الجامعات دون قصر المهمات العلمية على الجامعات الأوربية والأمريكية فقط .

٣- وإن عندنا في مصر وغيرها في العالم العربي شباب تخرجوا في الأقسام والكليات الإسلامية والعربية ، ولعلهم لما يوفقوا إلى العمل الذي يطمحون إليه ، فلم لا نفيد بهذي الكفاءات في تجنيدهم لخدمة الدراسات العربية والإسلامية خارج الوطن العربي ، بالتعاقد معهم لسنة واحدة يعطى الأجر الذي يستره ويغطي الضرورات ، إني على ثقة أن كثيرا من شبابنا سيقبل على هذه الفكرة .

ولكي يفهم القارئ هذا الكلام في إطار الواقع ، وليس الخيال الواسع أذكر هنا أن صاحب إحدى المدارس العربية في جنوب تايلاند طلب مني البحث عن مصري يعمل في تعليم العربية هناك، ويعطيه السكن مع راتب شهري في حدود مائتي دولار [1] ، هي في رأيي يمكن أن تغطي نفقات الأعزب في ذاك البلد وفي كثير غيره ، مثل أندونسيا ، ماليزيا ، وهنا في أكرانيا مثلا

١- وقد عرضت هذا على بعض الشباب ، فأبدوا حماسة شديدة للعمل في هاتيك المدرسة أو غيرها .

وإذا احتاج الأمر لدعم فى حدود المائة دولار أو المائتين ، فإن جهات فى مصر أو غيرها من بلدان العرب يمكن أن تمول هذا الدعم ، مثل الصندوق الاجتماعى للتنمية والصندوق المصرى للتعاون الفنى فى مصرنا - أو أضرابهما - يمكن أن يقوم ببحث إمكانية تنفيذ هذا المقترح ، أو على الأقل دراسته والنظر فيه .

إن هذا ليسهم فى جانب منه فى علاج مشاكل توظيف الشباب - ولو فى حدود جزئية منه - وفى ذات الوقت يقدم خدمة جليلة للغتنا وديننا وبلدننا على أن يقتصر على الشباب المتفوق ، شرط أن لا يكون قد حصل على وظيفة فى بلده .

إن هذه فكرة جديرة بالنظر فى عالمنا العربى الذى يؤمل عليه الناس - خاصة المسلمين- كثيراً ، ويرنون إلى إمكاناته وطاقته ، وعندما ألقيت ورقتى فى مؤتمر لسان العرب الخامس - نوفمبر ١٩٩٨ - حول اللغة العربية فى أكرانيا عقب رئيس الجلسة د. عيسى درويش سفير سوريا فى القاهرة : (نرجو من المؤتمر أن يكتب إلى جامعة الدول العربية يتبنى آلية لمساعدة أقسام اللغة العربية خارج الوطن) .

هذى الآليات والفِكَر لهى بحاجة إلى تفصيل ، ليس هذا مجاله ومكانه ولذا نرجة إلى مكانه ومجاله ، إن شاء الله تعالى .

على أية حال وصلنا مطار ماليزيا الجديد ، بالغ الرحابة والاتساع والضخامة ، وذلك فى اليوم الأول لافتتاحه - كما ذكر - وهو بعيد جدا جدا عن المدينة - ٦٠ ك م - أما المطار القديم الذى أعرفه ، لسفرى منه وإليه عدة مرات فالمسافة أقل من ١/٤ الساعة ، وبطبيعة الحال أصغر

كثيـــــــــرا من المطار الجديد الذى بدأ تشغيله ١ / ٧ / ١٩٩٨ م ، والـذى تصادف يوم وصولى ، وقد تكلف مليارات من الدولارات .

ومن المطار أخذت السيارة إلى المدينة ، وبرغم معرفتى بالمكان بشكل يومى – عندما كنت أعمل هناك – فإن الحاضرة الماليزية قد تغـــيرت كثــيرا كثيرا ، فبدا المكان مختلفا تماما عن السابق ، وخاصة أننا كنـــا وصلنـــا إلـــى منتصف الليل ، وأخيرا هاتف السائق صديقى الذى جاء مشيا لأن المكان قريب ورحنا بالسيارة ، وبت فى منزل صديقى ، القريب من المقر القديـــم للجامعـــة الإسلامية العالمية فى ضاحية بيتالنج جايا .

وعشت ثمانية أيام فى ضيافة زملائى وأصدقائى ، من العرب وغيرهم على حد سواء تميزت فيما تميزت به بشيئين مهمين ، هما المناقشات الممتعـــة والجادة لكثير من القضايا المهمة ، ثم بعض المشاريع الرائـــدة التـــى تنفذهـــا الجامعة الإسلامية لخدمة العربية ، وهاك التفصيل:

أولا : مختبر الكتابة العربية :

وقد حددت المطوية التى حصلنـــا علـــى عليـــها مجموعة من الأهداف لهذا المشروع الرائد فيما يلى :

١- مساعدة طلاب الجامعة - لا سيما المتخصص فى اللغة العربية - على تطوير مهارة الكتابة العربية ، وتجاوز الأخطاء الشائعة فى الكتابة والأخطاء بشكل عام .

٢- تقديم النصح والمشورة للطلاب من أجل تطوير أسلوبهم فى تحرير مقالاتهم وواجباتهم بلسان العرب .

٣- معاونة الأساتذة الذين يكتبون بالعربية فى مراجعة ما يكتبون وتصحيحه وتقديم المشورة بشكل عام .

٤- مراجعة الإعلانات الرسمية والنشرات التى تصدر فى الجامعة ، والعمل على تصحيحها وتصويبها .

وانطلاقا مما سبق من أهداف كانت هذى الفعاليات والنشاطات :

١- علاج مشكلات الكتابة للطلاب الذين يوجهُم أساتذتهم للمختبر .

٢- تنظيم دروس تقوية لمن يعانى مشكلات فى الكتابة ، أو للمهتمين بتعلم العربية لتطوير مهارة الكتابة لديهم .

٣- معاونة موظفى الجامعة الراغبين فى نشر أعمالهم بالعربية .

٤- مراجعة الرسائل العلمية والبحوث .

٥- تنظيم دورات مكثفة فى الكتابة الإبداعية .

٦- خدمات الهاتف الفصيح ، حيث تتوفر الاستشارة اللغوية لمن يطلبها مهاتفا فى أوقات مخصصة لذلك .

ولا يقتصر الأمر على ما سبق من فعاليات ، بل يفكر المسئولون عن المختبر فى أنشطة وفعاليات أخرى فى المستقبل .

ثانيا – تعريب الحرم الجامعى :

تجربة مهمة ، وخطوة مباركة نحو توسيع دائرة استخدام العربية فى حرم الجامعة الإسلامية ، تتبنى بعض الآليات والفعاليات المحددة فى هذا الشأن ، من خلال لجان ، تختص كل واحدة بنشاط محدد ، فكانت مثلا – لجنة المحاضرات والنشاطات الفنية برياسة أحد أساتذة قسم اللغة العربية ، وعضوية أستاذ من قسم التاريخ ، وآخر من قسم التربية إضافة إلى رؤساء :

- نادى اللغة العربية .
- جمعية لغة القرآن .
- جمعية الثقافة الإسلامية .

وقد خططت اللجنة المذكورة الأنشطة المختلفة :

١- أنشطة علمية : محاضرات وندوات ثقافية ، وكتابة بحوث .

٢- مسابقات أدبية : فى كتابة القصة القصيرة والخطابة والمناظرات الأدبية .

٣- أمسيات شعرية للطلاب ، والأساتذة ، ومسرحية هادفة وجادة يقدمها الطلاب .

٤- أنشطة دينية : خطبة الجمعة بالعربية ، وحديث العشاء فى مسجد الطلاب وبرنامج قيام الليل وصلاة التهجد ، وفى كل هذا لا يكون الكلام إلا بلسان العرب .

وفى كتابة البحوث اقترحت اللجنة أن يكتب الطالب فى واحد من :

- أهمية اللغة العربية فى حياة المسلم .

- دور اللغة العربية فى فهم الإسلام .

وقد اقترحت جائزة للفائز فى حدود مائة رنجت - أقل من مائة جنيه مصرى - فقدمت خمسين رنجت إضافية ، وجعلتها باسم جمعية لسان العرب بالقاهرة ، وقد أرسل لى بشهادة تقدير بعد عودتى إلى مصر .

وقد استمر البرنامج المذكور قرابة شهرين - من ١٠ / ٧ إلى ١٩٩٨/٨/٣١ ، حيث لا تستخدم إلا العربية فقط ، فى المحاضرات، واللافتات وأسماء الأساتذة على الحجرات والإعلانات ، والكلام - حتى فى سكن الطلاب- وفى أى مكان من الحرم الجامعى ، بل الأكلات والوجبات فى مطاعم الجامعة هى عربية أيضا .

وهذا البرنامج إذا نجح تحول الحرم الجامعى - بعد رحيل الجامعة كلها إلى المقر الجديد فى جومباك - إلى كلية للدراسات الإسلامية ، عربية اللسان ، فلا يسمع فيها ولا يستخدم غيره إضافة إلى كلية أخرى للغات .

وهذا النشاط التعريبى وغيره وراءه جهود عربية مخلصة ، ففى الجامعة ما يقرب من ثمانين من الأساتذة والمحاضرين العرب ، ومن جلست معهم أثلج صدرى بمعلومات كثيرة عن الاهتمام بالعربية فى ماليزيا ، خاصة لأغراض سياحية أو تصديرية للعالم العربى .

ولا ننسى قبل ختم حديثنا عن الأنشطة العربية فى الجامعة الإسلامية أن نشيد بمطبوعاتها العربية ، مثل :

١- مجلة إسلامية المعرفة ، ومجلة التجديد .

٢- القلم ، كتاب فى تعليم العربية كلغة ثانية من تأليف د. أكرم سعد الدين مدير مركز اللغات فى الجامعة .

ولم تقتصر زيارتى على مبانى الجامعة فى بيتالنج جايـا ، بـل زرت المركز الإعدادى التابع للجامعة أيضا ، والواقع على غير مقربة منها ، حيـث التقيت بزملائى وتلامذتى السابقين الذين أصبحوا مدرسين فى المركز ، وذلـك وسط حفاوة بالغة ، وضيافة دافئة .

ودخلت الفصول وحاولت الحديث مع الطلاب ، وقامت إحدى الطالبات تساؤلنى ، متى عرفت ماليزيا ، كم سنة أقمت بها ، كيف تغيرت ، كـم سـنة درست العربية ؟؟ إلخ إلخ .

نفس الملاحظة التى رأيتها فى جنوب تايلاند ، رايتها أيضا فى ماليزيـا عدد الإناث كبير نشاطهم أكبر ، عدد الذكران أقل ، مع خمول واضح وخمـود فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

نفس المشكلة عانيت منها فى مصر ، حضور الإناث أكثر ، نشـاطهن أوفر ، بمجرد أن أقف متهيئا للمحاضرة أجد البنات فتحن الكشاكيل ، وأمسـكن بالأقلام استعدادا لسماع ما أقول وكتابته ، فى حين حضور الذكران قليل ، مـع انصراف واضح عن المحاضرة ، بشكل عام .

بل وقرأت أن هذى المشكلة فى بريطانيا وأمريكا وغيرهما ، وعندمـا جئت إلى أكرانيا وجدت الشىء نفسه ، الفرقة الأولى طالب واحد مـع ثـلاث عشرة بنتا ، وكذا الفرقة الثانية ، الفرقة الثالثة طالبان مع ثمانى إناث ، وهكذا.

بل والشكوى مريرة فى كل بيت مصرى ، البنت ما شـاء الله عليـها والولد خايب (منشف ريق أهاليه) ويحار الأهل ويضطربون ، وفـى النهايـة لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا .

وكثيرا ما حدثت أبنائى الطلاب فى هذه المعضلة التى يمكن أن تقوض الأمة ، حتى هددتهم مرة بأننى لم أسمح لطالب على الإطلاق أن ينجح فى أية مادة من المواد التى أدرسها .

ففى نتائج الامتحانات مثلا تجد الأوائل من الطالبات ، فى إحدى السنوات أوائل الشعب العشرين ، ١٨ أنثى ، واثنان فقط من الذكران !! ولذا عند تعيين المعيدين لا نجد إلا البنات ، وهذى الوظيفة ومثلها وظائف كثيرة بحاجة إلى الرجال ، ولكن وا أسفاه !! وا خجلتاه !! يخذلنا الرجال ولا نجد إلا البنات ، وفى هذه الحال نجد البنت - إلا من عصم ربى - بمجرد أن تعين تبدأ مسلسل الإجازات ، زواج ، حمل ، رضاعة ، رعاية طفل ، مرافقة الزوج رعاية حماتها ... إلخ إلخ .

إن هذا ناقوس خطر ندقه ، حتى لا يأتى يوم نجد أبناءنا وليس فيهم رجل يعتمد عليه ، أو يطمأن إليه فى أى عمل أو وظيفة ، مع التوكيد على شىء نحترز عنه هنا ، وهو أننا لسنا ضد بناتنا أو تفوقهن ، ولكنا لا نقبل أن يغيب الرجال بهذا الشكل عن سوح التفوق والعمل .

نعود مرة أخرى إلى الحاضرة الماليزية كوالالمبور لنسجل تغيرات شاسعة بدت بعد ست سنوات من غيابى عنها ، هذى التغيرات التى نوجزها فيما يلى :

أ - انخفاض سعر الرنجت الماليزى ، إذ فقد ٤٠% من قيمته تقريبا .

ب- كثرة الجسور والأنفاق والمشروعات والإنشاءات ، وكان قطار المدينة - المترو - فى تجاربه النهائية تمهيدا لتشغيله ، فضلا عن المطار الجديد

وغير هذا من المشاريع والإنشاءات فقد بدت المدينة وقد تغـــيرت تمامـــا تماما عن سابق تمهيدها الذى كنت أعرفه .

جـ- اختفاء دار الأرقم تماما ، بكل أنشطتها ومؤسساتها .

د - بدا التحرر والتحلل واضحا على الشباب والشابات ، حتى من الملايو .

هـ- اتساع دائرة المدخنين .

و- حر شديد وأزمة مياه حادة بسبب انقطاع المطر .

ز- ومن أعجب ما سمعت ما حكاه لى بعض الزمـــلاء مـــن زلازل ، أو مـــا يشبهه أحس به سكان بعض العمارات فى العاصمة .

وأرى بعض ما سبق بحاجة إلى مناقشة وإيضاح :

أولا - الأزمة الاقتصادية والعملة :

كان الدولار سنة ١٩٩٢ ، فى أوج قمـــة العملة الماليزية = ٢,٥ رنجت ، وفى سنة ١٩٩٨ وصل إلى أكثر من أربعـــة رنجات ، وهو أمر لم يكن متوقعا على الإطلاق ، فقد كان الدولار يرتفع إلـــى ٢,٨ رنجت ، ثم يعود أدرجه إلى ٢,٥ مثلا ، ولكنه هذه المرة واصل ارتفاعـــه إلى أن تخطى ٣ رنجت ، وهنا تنبهت الحكومة لفاجعة العملة .

وتسمع روايات مختلفة وأسبابا وتحليلات متنوعة :

١- مضاربة سوروس على العملة الماليزية ، فبدأ برفع السعر من ٢,٦ إلـــى ٢,٧ ، وهنا دب الهلع فى الأسواق الماليزية ، بعدها ترك الكرة ، وألقاهـــا إلى السوق المحلى ، وكان هذا فى فترة إنشاءات ضخمة بلغت عشـــرات المليارات ، ومنها المطارَ .

٢- هذه الإنشاءات الضخمة والمبالغ فيها وربما لم تكن ثمة حاجة إليها في الحاضر على الأقل .

٣- الغرور الذى أودى بالأخضر واليابس ، حيث كانت الإنجازات التى أحرزها البلد قد لعبت بعقول بعض الناس ، فأوصلتهم إلى : إنما أوتينا هذا كله على علم وجدارة ، وهكذا .

٤- وتحت عنوان : (رؤية مصرية ، قطيع الذئاب والاقتصاد الآسيوى) كتب د. حسن رجب فى الأخبار القاهرية - ٢١ / ٧ / ١٩٩٨ - ملخصا القضية فيما يلى :

أ - لم يشهد العالم منذ الانهيار الاقتصادى ١٩٢٩ كارثة اقتصادية مثلما حدث فى آسيا فى العام الماضى .

ب- الذين قاموا بتنفيذ أكبر عملية سطو أو قرصنة فى التاريخ ، هم قطيع من الذئاب ، يقف أعلى الجبل ، فى انتظار ظهور الحملان لينقضوا عليها ويمزقوها إربا إربا ، وحتتا حتتا أما الذئاب فهى - فى الأساس - صناديق استثمار تضم مليارات الدولارات ، بالإضافة إلى ذئاب تعمل لحسابها مثل الملياردير اليهودى سوروس .

ويتم التخطيط للهجوم على عملة من العملات فى وقت مبكر وبالتنسيق مع مافيا المال الجديدة ، ومراكزها الرئيسة فى أمريكا وبريطانيا حيث تبدأ الحملة باقتراض مبالغ هائلة من النقد المحلى فيرتفع سعرها ، وكان قد تم اختيار البات التايلاندى لبدء الهجوم على النمور ، وعند اكتمال عملية تكدس البات فى فبراير ١٩٩٧ بدأت حملة إشاعات وتقارير اقتصادية تؤكد كلها على ضعف الاقتصاد ، وانتشار الفساد وسوء الإدارة بالدولة ، وقرب

انهيارها ، ولكن الهجوم الحقيقى كان فى ١٣ / ٥ / ١٩٩٧ والذى كان يوما أسود فى تاريخ شرق آسيا ، ويوما ذهبيا للصوص الغرب ... فجأة بدأت عروض الباث بالمليارات تظهر على شاشات الحواسب من لندن ونيويورك .

وقذف البنك المركزى بضعة مليارات من الدولارات فى الأسواق المالية ، ولكن مع تكثيف الحملة الإعلامية عن قرب انهيار البات ، تكأكأت الذئاب على أرصدته ، بما لا قبل له على مقاومته ، التى انهارت ، فأعلن عن تخفيض العملة بعد أن كان قد قذف بثلاثين مليار دولار - هى أغلب رصيده من العملات الصعبة - فى بالوعة المضاربين .

كانت تايلاند هى تجربة البداية ، تبعها هجوم على أندونيسيا [١] ، ثم ماليزيا ، بنتائج مروعة لاقتصاديات هذه الدول ، ومكاسب جنونية للقراصنة الجدد ، والذين اجتمعوا من كل حدب وصوب ليشاركوا فى نهش الفريسة وهو ما شبهه أحد المحللين بأنه كان مثل إلقاء ذبيحة فى حوض ملىء بالقروش المتوحشة .

٥- وهناك من يرى أن هذى الضربات الموجعة كانت لضرب قيادات شابة شقت طريقها إلى القمة ، على سبيل المثال ، وان مأتا فى تايلاند ، وأنور إبراهيم فى ماليزيا .

وبالفعل سقطت الحكومة فى تايلاند فى نهاية ١٩٩٧ ، بعد أحد عشر شهرا فقط من حكمها ، فقد سحبت الثقة من حزب الأمل الجديد - كما ذكر - فانتقل إلى المعارضة ، وإن بقى رئيس البرلمان ، كما هو .

١- أعتقد أن المشكلة فى أندونيسيا ليست اقتصادية بقدر ما هى سياسية فى المقام الأول .

أما فى ماليزيا فإن الأزمة المالية لم تسقط وزير المالية ، ونائب رئيس الوزراء ، ولكن الرجل اختلف مع نائبه - الذى كان قائدا لانتفاضة ١٩٦٩ - وبدأ مسلسل المحاكمة [1] والاتهام بأشياء خلقية نسبت إلى وزير المالية ، والذى كان مرشحا لخلافة د. محاضر محمد الذى يقضى الفترة الثالثة من حكمه .

وأيا كان الهدف ، وما آل إليه الحال فإن ما حدث قد تكرر وتكرر فلدغت الشعوب من نفس الجحر وفى كل مرة ، لقد انهارت قبل ذلك عملات لبنان ونيجيريا والعراق والسودان مثال ، لا حصر .

وهنا فى أكرانيا كان الدولار = ١,٨ جريفنة ، الآن = ٤ فى المتوسط والبقية تأتى ، أى من الممكن أن يتكرر الأمر فى أى بلد ، مع ملاحظة أن الجريفنة الأكرانية تراجعت بهذا الشكل الأخطر ، دون ضجيج إعلامى ، كما حدث فى الشرق الأقصى .

فكيف تعصم الحكومات والأفراد ، الفقراء الضعاف من هؤلاء الذين يمتصون دماءهم ؟ سؤال نتوجه به إلى أساتذة الاقتصاد والعلماء المختصين بهذى المسائل والمشكلات ، وكيف نحمى بلادنا من هؤلاء الوحوش ؟ وما يصنع رب الأسرة الفقير عندما يدهمه خطر انهيار عملته ؟ كل هذا يجب أن يتأمله وأن يفكر فيه كل بلد غير متوهم أن عملته منيعة حصينة ، عصية على اللصوص والمحترفين ، وإن سعر العملات فى العالم لشىء عجب عجاب، هذه العملة ترتفع إلى سدرة المنتهى !؟ هذى العملة المسكينة تنحط إلى الحضيض والأرضين !؟ فمن يا ترى يحرك خيوط الصعود والهبوط ، من يا ترى ؟

١- انتهى الأمر إلى السجن .

ولماذا يتحرك المصرف المركزى فى أمريكا مثلا لدعم الين ؟ وفى أزمة النمور وغيرها من الأزمات لا يحرك ساكنا ؟ إن أحدا لن يتحرك لإنقاذ عملاتنا من القروش المفترسة غيرنا نحن - نحن أصحاب المصلحة والمضرة - فما حك جلدنا مثل ظفرنا ، فلنتول يا قوم جميع أمورنا .

ثانيا - اختفاء دار الأرقم:

أسس دار الأرقم فى ماليزيا رجل ماليزى يسمى أشعرى محمد ١٩٦٨ وبدأت هذه المؤسسة تعمل لخدمة المسلمين فى ماليزيا أولا ، ثم ما جاورها ، تايلاند وأندونيسيا وبروناى والفلبين وسنغافورة ، ثم تجاوزتها إلى بلدان أخرى ، فى آسيا وإفريقية ، أو أوربة واستراليا ... إلخ .

وقد انطلق العمل لخدمة المسلمين فى جميع المجالات ، التجارة الصناعة الزراعة الإعلام الصحة ، التربية والتعليم ، وقيام مؤسسات ذات فاعلية فى المجتمع ، معامل ، مزارع صحف ومجلات ، وأشرطة مسموعة ومرئية ، ومستشفيات ومدارس .... إلخ .

وكل من زار ماليزيا على وجه الخصوص لابد أنه رأى شيئا من المؤسسات بسياراتها التى يكتب عليها بالعربية ، ورجالها الذين يتميزون بالثوب العربى والعمامة الكبيرة ، والنساء بالثياب السوداء والنقاب .

وإذا رأوا أحدا فعرفوا أنه غريب استضافوه ، حتى يجد عملا ، أو يعرف طريقه فى البلد ، أو ساعدوه على قضاء مصلحته ، وذلك لافت للنظر على عكس الشخصية الماليزية التى لا تتفاعل بسرعة مع الأجانب عنها .

وبرغم أن دار الرقم تُعلن دائما أنه لا صلة لها بالسياسة ، فإن الحركة حوربت من الحكومة ، على استحياء أولا ، ثم كانت المواجهة التى أسفرت

عن إزالة كل ما يتعلق بدار الأرقم ، بل إن الحكومة لم تترك أشعرى محمد فى منفاه فى تايلاند ، سعت إلى حكومة تايلاند لسحب تصريح الإقامة ليعود الرجل إلى بلده ، أو قل إلى من يتولى التعامل معه بما يريد من حزم وعقاب .

وقد شهدت دار الأرقم فى نهاية الثمانينات وهى فى قمة ازدهارها وعطائها ، ثم بداية المواجهة من مفتتح التسعينات ، وعندما ذهبت هذا العام ١٩٩٨ وجدتها أثرا بعد عين ، أو قل لا أثر ولا رسم ولا اسم ، ولا شيء من هذا .

وفى جلسة طويلة فى الحاضرة الماليزية [١] ناقشنا هذى المعضلة، لماذا تحرم الشعوب من بعض مؤسساتها التى ترقى بها ؟ ولماذا تصطدم هاتيك المؤسسات بحكوماتها ، أو العكس ؟ أين يكمن العيب ، أين يقع الخلل ، وهل من صالح الأمة أن يصدم بعضها بعضا ، أو يصفى بعضها بعضا ، هل هذا خط وطريق لابد منه فى بلادنا .

وذكر أحد الجالسين يومها أن طفله الذى لم يبلغ الحلم قصَّ رؤيا قائلا: يا أبى رأيت أن ماليزيا تطلق قمرا صناعيا للاتصالات ، ولكنه يسقط فى مكان غير نظيف ، تنتشر فيه الأمراض ويسأل الولد – فى المنام – أباه عن السبب ؟ فيجيب الأب : لأن دار الأرقم (مش متغطية) .

فإن كان ثم خطأ من أى نوع فلم لا يصحح الخطأ وتبقى المؤسسات تخدم الناس ؟ وإذا كان هناك من قيادات هذه المؤسسة أو تلك من أخطأ فلماذا لا يعاقب هو وتبقى المؤسسة ، ويرشد طريقها وتسدد خطاها ؟ قال لى أحد

١- يوليو ١٩٩٨م .

المذيعين : فى إذاعتنا إذا أخطأ المذيع يلغى البرنامج الذى حدث فيه الخطـــأ ؟ لماذا لا يعاقب المذيع ويبقى البرنامج ؟ منطق ما أنزل الله به من سلطان، ولـــم تمر سنوات حتى كانت الأزمة الاقتصادية ، وانهيار العملة ، ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل رأيت موجة انحلال ، لم أر مثلها هنا فى الحاضرة الأكرانية .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل تخطاه إلى انقطاع تـــام للمطـــر وهذا من العجب العجاب ، لقد عشت فى الحاضرة الماليزية قرابـــة العـــامين ١٩٩٠ - ١٩٩٢ كان المطر على سبيل الحقيقة ، بعيدا عن المجاز والمبالغـــة يستمر أربعا وعشرين ساعة ، وعندما زرت البلد هذا العام لم ينزل مطر ، أى مطر فى ثمانية الأيام التى مكثتها ، اللهم إلا فى يـــوم ميـــلاد النبـــى الأكـــرم - ﷺ - ثم عاد انقطاع المطر سيرته الأولى ، كما كان .

أزمة مياه حادة فى البلد ، تنقطع المياه لثلاثة أيام بلياليـــهن ، أو أكـــثر من البيوت ، وتقف سيارات الماء أمام المساكن ليأخذ كل مواطن حاجته مـــن الماء ، وقد تعود القوم على استهلاك الماء غير متوقعين ألبتة أنه سيأتى يـــوم تنقطع فيه المياه ليخرج الناس بالأطباق والدلاء والمواعين ، وحمل المياه إلـــى الطوابق التى لا تصلح لها إلا المصاعد لشدة ارتفاعها .

ويرى الكفار فى ماليزيا أن هذه مسئولية الحكومة ، وأنها إذا لم تستطع توفير الماء للناس فعليها أن تستقيل ، لتأتى حكومة أخرى تستطيع توفير المـــاء للماليز ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل إن ماليزيا ملزمة بحكم اتفاقيـــات مبرمة وشروط جزائية بالطبع على مد سنغافورة بالماء ، ولسنوات طويلة، فما الحل ؟ وكيف العمل ؟ .

وهناك تذكرت الآيات الكريمات من سورة الواقعة : (أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن ، أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) بدأت أقرأ الآيات ، لكأنما لأول مرة ، فهذا الذى نشربه إن لم ينزل من السماء ، إن منعه الخالق لأى سبب فماذا نصنع ؟ لقد علمنا الإسلام أنه إذا انقطع الغيث صلينا صلاة الاستسقاء ، حتى نعرف أن المانع للمطر هو الخالق ، وليس غيره أحد بقادر على أن يغيث فينزل الماء .

ولكن انظر إلى الآيات ، إن الله يقول " لو نشاء جعلناه أجاجا " أى شديد الملوحة ، وكأن القرآن يشير إلى نعمة أخرى ، وتفضل آخر ، إن الله لن يقطع عنا الماء ، بل يمكن فقط أن يجعله غير صالح للشرب ، لا يطيق شربه أحد لملوحته ، ولن يمنعه عنا .

وفى الفاتح من سبتمبر ١٩٩٨ فاجأتنا وسائل الإعلام بإقالة أنور إبراهيم وزير المالية ونائب رئيس الوزراء ، من كل مناصبه ، مع تقديمه للمحاكمة ، وبعد ذلك تم القبض عليه بعد خطبته فى جمع حاشد بالمسجد الجامع فى كوالالمبور ، وقيادته لمظاهرة ضخمة انطلقت من المسجد.

وفى غضون ذلك - ١٩٩٨/٩/٩ - حكم على شقيق أنور إبراهيم - بالتبنى ومستشاره بستة أشهر بتهمة ارتكاب أفعال فاضحة مع أنور إبراهيم الذى كان يجول - آنذاك - فى ماليزيا للتنديد بالفساد السياسى ، بينما كان يستعد أنصاره للمسيرة السابقة .

وهكذا انهار تحالف مهم بين رئيس الوزراء ونائبه ، الرجل الثانى فى الحكم ، هذا الانهيار هو شر كله ، لاشبه فيه ، فلا شك أن كلا من المتخاصمين يبوح بما عنده من أسرار كانت مطوية ، مما يضر بكليهما، وكان

من التهم التى لاكتها وسائل الإعلام ارتكاب أفعال فاضحة أو شيء من هذا القبيل ، ويبدو أن فضيحة مونيكا في أمريكا قد ألهبت خيالات، وألهمت بهذا الاتهامات الغربية فى هذى المنطقة من جنوب شرق آسيا ، ولكن لله الأمر من قبل ومن بعد.

وفى ماليزيا يعمل عدد من أبناء القارة الحبيبة إفريقية ، القارة المظلومة ، وكثير من أبناء القارة يعمل فى الجامعة الإسلامية ، ومن ثم تطرقت المناقشات إلى هموم القارة وشجونها وعلمائها ، خاصة من يكتب بالعربية ، ومنهم العلامة آدم الإلورى ، فقد تأكد لى أنه توفى وبالتحديد فى مايو ١٩٩٢ ، فقد تخرجت على يديه وفى معهده كثير من العلماء والأساتذة ترك العديد من المؤلفات بلسان العرب ، نشرت كلها أوجلها فى مصرنا ، بل قال بعض تلامذته : (كان لا يستريح إلا فى مصر) كيف ؟ (كان يقضى حياته فى بلده ، لا يكف عن العمل والعطاء ، هذا يسأله يستفتيه ، وهذا يطلب العلم أو النصح ، وهكذا) فرحمة الله عليه ، وعلى علمائنا وشهدائنا جميعا ومن مات على الملة والدين .

أما مركز الشيخ الألورى فيديره الآن تلميذه الشيخ مسعود جبريل رمضان ، وهو من أبناء بنين ، جاء منها ليتلقى العلم على يد الشيخ ، ثم سافر إلى الأزهر ، فتخرج فيه أيضا .

كما تطرقت مناقشاتنا إلى افتراءات الكافرين على القرآن ، والذى يظهر من حين لآخر على الشبكة الأم (الإنترنت) وضرورة تصدى العلماء العرب ، فالعرب – كما قال العلامة الإلورى رحمه الله – هم قاطرة الإسلام وطلبت من أصدقائى إرسال هذى الافتراءات للرد عليها .

وكم كنت سعيدا غاية السعادة عندما طالعت أهرام ٢٧ / ٦ / ٩٨ في مكتبة الجامعة فوجدت خبرا يفيد بمطالبة الأزهر بمحاكمة الشركات المتهمة بتحريف القرآن الكريم أو المساس به على الشبكة الأم ، فصورت القصاصة وذهبت بها إلى أصدقائي في قسم اللغة العربية، هكذا مصر الأزهر ترفع الرأس دائما .

ولكن الأمر بحاجة إلى تعاضد كل الجهود لدفع هؤلاء الصادين عن سبيل الله ، الذين يقفون حجر عثرة ضد تعرف الآخرين الذين يريدون التعرف على الصورة الصحيحة الحقيقية لديننا ، وخاصة من درس هذا الدين وتفقه في لغته .

وعندما عدت إلى مصر كتبت تقريرا عن الندوة وما رافقها من فعاليات ونشاطات ، قدم إلى جمعية لسان العرب بالقاهرة ، وكذا إلى بعض وسائل الإعلام ، فضلا عن العديد من الصور والوثائق التي حصلنا عليها وكل هاتيك المعلومات أفدت منها كثيرا عند تقديمي ورقتي حول اللغة العربية في الشرق الأقصى .

وفي النهاية أقول : لقد قضيت أياما ممتعة ، سعيدة ورضية ، مشى في المناكب ، وأكل من رزق الله ، من الحلال والطيبات ، هذه السعادة الهانئة التي عوضت - أو قل مسحت - ما عانيت من مشقة وكبد وعناء استعداد لهذى الرحلة المباركة ، فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لو أن هدانا الله .

والصلاة والسلام على سيد الخلق وآله ، والصحب الكرام
والسلام عليكم ورحمة الله .

الكيابة في ٣١ / ١٢ / ١٩٩٨
حي السالوت

ملاحق :

- كلمــة ممثل شــركة تويوتا الراعيــة للندوة
- خطاب رئيس مجلس الأمة مفتتحا النــدوة



كلمة شيروهوندا ممثل مؤسسة تويوتا اليابانية الراعية للندوة بعنوان

ملاحظات يقدمها شيروهوندا ممثل مؤسسة تويوتا في اليابان

أصحاب السعادة ، أيها السادة المشاركون المتميزون في الندوة الضيوف الكرام ، أيتها السادة والسيدات :

باسم مؤسسة تويوتا أهنئ الندوة الدولية حول الدراسات الإسلامية في منطقة الأسيان ، إنى لفخور بأن أكون بصحبة دارسين مسلمين بارزين ، ليس من الأسيان فقط ، ولكن من كل أنحاء العالم ، إن تجمعكم هذا هو تاريخى فى حد ذاته .

لقد جمعتكم هذى الندوة كى تقدموا معرفتكم وحكمتكم ، وتتبادلوهما فيما بينكم ، إن تاريخ البشرية ليثبت دائما أن الدين مصدر إلهام لحياة الإنسان.

ومن الواضح أن الإسلام فى جنوب شرق آسيا يمكن أن يلعب دورا بناء جدا فى تصور مجتمع ذى صبغة إنسانية فى القرن القادم ، وبهذا الخصوص فإن من دواعى السرور أن الندوة قد أكدت على أهمية سمات التنوع للتنمية الحديثة الخاصة بالتجمعات الإسلامية فى هذا الإقليم من الناحية التاريخية والاقتصادية والسياسية ، وكذا الثقافة والتربية .

وكما يعرف معظم المؤتمرين هنا ويعون أن جنوب شرق آسيا تعرض فى الآونة الأخيرة لكثير من الاضطرابات والبلبلة ، وكلنا يود أن يعرف كيف يكون مستقبلنا .

إن الأمل يحدونا أن تعزز هذه الندوة الحوار بين الدارسين المسلمين في هذه المنطقة وخارجها ، ونستطيع أن نتعلم الكثير من هذا الحوار لبناء إقليمنا بالحرية والاستقرار والتنوع والمساواة .

وقبل أن أنهى ملاحظاتى أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن خالص الامتنان للزملاء فى كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة أمير سنقلة ، وأخص بالذكر الدكتور حسن مادمان والسيد يوسف تالق ، والدكتور امتياز يوسف ، هؤلاء الذين جعلوا هذا الحدث ممكنا وواقعا بتفانيهم وإخلاصهم.

إنه ليشرفنى أن آمل لكل المؤتمرين كل النجاح فى مناقشاتهم ومداولاتهم .

خطاب الافتتاح الذى ألقاه رئيس مجلس الأمة التايلاندى فى الندوة

السادة المؤتمرون المتميزون ، الضيوف الكرام ، السيدات والسادة إنها لسعادة ما بعدها سعادة أن أحيى كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة أمير سنقلة على نجاحها على عقد هذه الندوة الدولية للدراسات الإسلامية فى منطقة الآسيان .

وكما قرر عميد الكلية الآن ، فإننا على قناعة تامة أن هذه الندوة سوف تعيد صياغة الدراسات الإسلامية فى الآسيان – إن شاء الله – وقد برهن على هذا حضور دارسون متميزون من اثنى عشر قطرا من جنوب شرق آسيا ومن غيرهم من أرجاء العالم ، فحضورهم ليقدموا خلاصة بحوثهم، وليتناقشوا حول المشكلات الراهنة للدراسات الإسلامية ، هى جهود مهمة تمس الحاجة إليها ، فى هذه الفترة الفاصلة الحرجة من تاريخ جنوب شرق آسيا .

فكما هو المعروف جيدا ، فإن الدراسات الإسلامية فى هذه المنطقة قد طورت منذ قدوم الإسلام إلى هنا من قرون خلت ، إن الدراسات الإسلامية لا تلعب دورا ذا مغزى فقط فى غرس المعرفة فى الذهن ، ولكن فى خلق شعور بالإخاء ، وفوق كل هذا تلعب دورا رئيسا فى المساعدة على تطوير التربية والاقتصاد والمجتمع والسياسة ، فى هذه المنطقة التى تعرف بالأسيان.

إن التغيرات السريعة فى كل بوصة من هذه الدنيا ، فى الاقتصاد والسياسة والثقافة لتدفع الدارسين وأساتذة الجامعات والتربويين ليصبحوا على وعى بأهمية الدراسات الإسلامية خاصة فى الأسيان التى تواجه تحديا لا مثيل له .

إن هذه الندوة الدولية التى تنظمها كلية الدراسات الإسلامية هى طريق ليس إلى النهوض بحال الدراسات الإسلامية من المحلية إلى المستوى العالمي

فقط ، ولكنها أيضا السبيل إلى النهوض بالتحديات التى تواجه أقطار الأسيان هذه الأيام .

من صميم قلبى أعبر عن شكرى لمؤسسة تويوتا فى اليابان وجامعة أمير سنقلة الذين قدما الدعم المالى لهذى الندوة المباركة .

وأود أيضا أن أعبر عن امتنانى لكل المشاركين ، وأتوقع أن تكون هذه الندوة مثمرة ، وأن تحقق أهدافها بالشكل الذى يأمله الجميع .

والآن حان الوقت لأن أفتتح هذه الندوة باسم الله تعالى :

وبعد الافتتاح كانت الكلمة الآتية لرئيس مجلس الأمة – الخطاب الافتتاحى للندوة – جاء فيه :

تغطى الدراسات الإسلامية كل أنواع المعرفة ، وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الدراسات الإسلامية هى عالمية ، إن الإسلام لا يعاون فى البحث عن المعرفة للمسلمين فقط بل للبشرية جمعاء ؛ كى يكونوا قادرين أيضا على التعلم وعلى تعميق معرفتهم عن الإسلام كطريقة حياة تشكل الشخصية الإنسانية كى تكون متوازنة فى أبعادها الروحية والعقلية والمادية .

فإذا نظرنا إلى الماضى ، فإن فطانى كان مهد التعليم والحضارة الإسلامية فى هذا الجزء من العالم ، وهو فى هذه الأيام يسطر صفحات فى تاريخنا الخاص بالدراسات الإسلامية ، لعله يذكر بالفخار من قبل شعب فطانى فقد استطاعت كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأمير سنقلة أن تجتذب هؤلاء الدارسين المتميزين ، من بلدنا ، ومن العالم لحضور هذه الندوة ، والمشاركة فى ثمرة معارفهم ، وتقديم توصيات ترقى بالدراسات الإسلامية فى منطقة الآسيان .

إن ذكر فطانى ليقود إلى الإعجاب بدورها فى العالم الإسلامى ، فقد أنجبت بعض العلماء المشهورين والدارسين الذين يصنفون بين الطبقة الأولى من دارسى العالم وعلمائه ، مثل :

- الشيخ داود بن عبد الله بن إدريس الفطانى ، الذى كانت مصنفاته محترمة ويرجع إليها حتى هذه الأيام .
- الشيخ محمود بن إسماعيل ، داود الفطانى .
- الشيخ تونكو محمود بن شهدى بن عبد الرحمن الفطانى .
- الشيخ أحمد بن محمد زين بن مصطفى الفطانى .

هؤلاء العلماء والباحثون تركوا أعمالا علمية عظيمة ، تعالج ليس فقط علوم الدين ، ولكنها أيضا تغطى فروعا أخرى من المعرفة ، مثل : القانون والفلسفة والسياسة والتاريخ والاقتصاد والفلك وعلم النفس والاجتماع واللغة العربية ، وهلم جرا .

بالإضافة إلى أن فطانى قد عرفت فى الأقطار الإسلامية فى جنوب شرق آسيا بأنها مركز للتعليم الإسلامى ، فالفندق الفطانى قد لعب الدور الصعب فى ترسيخ المعرفة الإسلامية لإنتاج زعامات التجمعات المختلفة وحفظ التراث واللغة والثقافة ؛ حتى بقيت تجمعات المسلمين الملايو تنبض بالحياة حتى الوقت الحاضر .

إن الإسلام أحد الأديان الرئيسة فى جنوب شرق آسيا خاصة فى الأقطار الإسلامية ، مثل ماليزيا وبروناى وأندونيسيا .

وقد لعبت الدراسات الإسلامية الدور المهم فى صنع الحضارة الإسلامية ، التى امتدت عبر منطقة الأسيان لعدة قرون ، وهذه الجهود الدعوب هى معلم مهم للمسلمين فى هذه المنطقة وقد تم هذا عبر شكلين من الدراسات الإسلامية ، هما :

١-التقليدي : وفى هذا النظام نجـد الفنـدق أو الباسـندران - الكتـاتيب - المؤسسة الرئيسة التى تخرج العلمـاء ، وأسـاتذة الجامعـات والمفكريـن وطريقة التعليم فى الفندق تتركز حول الحفظ والاستظهار ، وتعتمـد علـى مجرد نقل المعرفة .

٢-الحديث : وهذا الشكل من الدراسات الإسلامية يقدم فى المؤسسات الحديثـة مثل الكليات والجامعات ، سواء الحكومية أو الخاصة ، وطرائقها فى التعليم تؤكد على إجراءات التعلم وهذا النظام يعطى فرصا فى البحث فى الإسلام والتجمعات الإسلامية ، ويحتوى أيضا كل من الطريقتين التقليدية والحديثة .

ونموذج التعليم فى هذا النظام قد خرج من الفندق إلى المدرسة والكليـة والجامعة ، وفى المستقبل فإن هذا النموذج قد يستمر فى التغير ، وعليه فـإن مسئولية أساتذة الجامعات جميعا هى طرح أفكار مبدعة ، وإصـلاح طريقـة تعليم الدراسات الإسلامية فى المستقبل ، واليوم فإن الإعداد الجيد والمعلومـات التجريبية سوف تكون مفيدة وكافية للتعا ـ مع التغيرات والتحديات التى سوف تجابه الدراسات الإسلامية فى المستقبل .

وأخيرا فإننى أطلب من كل منكم ، خاصة مـن أقطـار الآسـيان أن تتعاونوا ، وأن تعملوا جنبا إلى جنب بروح الأخوة ، ومن المؤكد أن التعـاون المشترك فى كل تجربة سوف يكون مفيدا لأقطار الآسيان خاصـة ، وللأمـة على مستوى العالم عامة ، إنه سوف يعزز حقيقة وضع الدراسات الإسـلامية فى هذه المنطقة فى المستقبل .

ترجمها عن الإنجليزية
الدكتور أحمد مصطفى أبو الخير

٢- عامان فى بلاد الأكران

فى أحد أيام صيف ١٩٩٧ جلست أفتش فى أهرامنا القاهرية، وإذا العين تلمح إعلاناً صغيراً مقتضباً حول حاجة الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع إفريقية عن محاضر لقواعد اللغة العربية وآدابها ، وعلى الفـــور اتصلـت بالهاتف فى ذيل الإعلان الصغير ، وفى اليوم التالى كنت فـــى مبنـــى وزارة الخارجية بكورنيش النيل الذى أدخله لأول مرة ، وملأت الاستمارة المطلوبـــة وحدد موعد المقابلة ، عرفت بعدها أنهم يريدون منى الذهاب إلى جامعة أكـــرا فى الحاضرة الغانية .

لا بأس ، فقد ذهبت فعلاً - ١٩٨٣ - ١٩٨٤ - إلى هذه المنطقة مـــن غرب قارتنا الإفريقية ، وبالتحديد فى مدينة كَنو التى تقع شمال نيجيريا ، حيث عملت فى جامعة بايرو ، إذن هى إفريقية مرة أخرى .

ثم طلب منى إحضار أوراق أخرى بالإنجليزية والعربيـــة ، وذهبـت - أو قل عدت - إلى دمياط لإحضار ما يطلبون ، وفى هذه المرة الثالثة التـــى قدمت فيها باقى الأوراق وجدت إعلاناً على باب مبنى وزارة الخارجية ، إنــه يطلب خبراء فى شتى المجالات والاختصاصات ومنها اللغة العربية .

وقد سررت كثيراً لأنهم طلبوا إرسال الأوراق بالبريد إلى الصنـــدوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث ... إن السفر من دمياط الجديدة إلى قاهرة المعز صعب وممل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فـــإن الأوراق عندما تأتى بالبريد فإن استلامها وفرزها ، ثم انتقاء من يرسل له أفضـل مـــن جميع النواحى من حضور أصحاب الأوراق لاســتقبال كـل واحـد ، وأخـذ الأوراق من صاحبها .

المهم أنه بعد فترة ، وبالتحديد فى نوفمـــبر ١٩٩٧ أرسـل صنـدوق الكومنولث للمقابلة الأولى ، ثم الثانية مع السـفير د. محمـود السـعيد أميـن

الصندوق – آنذاك – ثم بقيت أنتظر ، أذكر مرة ، وأنسى أخرى إلى أن اتصل بى الصندوق فى أغسطس ١٩٩٨ يريدون منى السفر إلى أكرانيا ، فى جامعة كييف الحكومية للغات .

وقبل هذا التاريخ بشهرين تقريباً وصلتنى رسالة – عن طريق أحد المصريين – من المستشرق ألكسى فولوفيتش محاضر اللغة العربية بمعهد العلاقات الدولية جامعة أودسا ، جنوب أكرانيا ، على البحر الأسود ، ذكر أننى سوف أعمل معه ، وذكر طرفاً من المعلومات حول العمل والسكن فى جامعته كما أعطى فكرة عن طلابه الذين يدرسون العربية بغية العمل فى السلك الدبلوماسى ، فضلاً عن المعلومات عن بلده أكرانيا وأرفق سيرته الذاتية ونشرة معهده ، وهما بالإنجليزية ، أما رسالته فكانت عربية بخط يده .

ولكنهم ذكروا لى فى الصندوق أننى سأعمل فى جامعة كييف الحكومية للغات وليس فى أودسا ، وبالفعل سافرت بعد أخذ موافقة جامعتى ، والتعاقد مع الصندوق ، فى ٢١ / ٩ / ١٩٩٨ من القاهرة إلى الحاضرة الأكرانية ، حطت الطائرة المصرية بعد أقل من ثلاث ساعات ونصف ، كانت مفاجأة تامة، لأننى منذ أسابيع كنت فى الشرق الأقصى [١] ، طرت خلال الرحلة إليه خمسا وعشرين ساعة تقريباً ، حوالى تسع ساعات بين الحاضرتين المصرية والتايلاندية .

مطار كييف أيضاً صغيرٌ جداً مقارنة بمطار بانكوك الضخم ، ناهيك عن المطار الجديد بالقرب من العاصمة الماليزية ، ولكنه قيل لى فيما بعد إن هذا المطار الصغير قد تحسن كثيراً كثيراً عن حاله السابقة قبل الاستقلال .

---

(١) عرفت فيما بعد أن تعبير الشرق الأقصى عند من يعرف الروسية معناه أقصى الشرق من روسيا ، وليس أقصى الشرق من قارة آسيا ، كما نقصد فى العربية مثلاً .

نزلت فى حالة اطمئنان كامل إلى وجود من ينتظرنى فى المطار وعبثا حاولت البحث عمن ينتظرنى ، وفى النهار يئست من رؤية أحد ، قلت لنفسى المسألة سهلة ، سأذهب لاستئجار سيارة من المطار إلى مقر السفارة المصرية ودفعت لهم الأجرة بالدولار ، وأفهمونى أن كل شىء على ما يرام وأن السائق عرف العنوان ، وسار السائق ، وبعد نصف ساعة ظهرت تباشير المدينة .

وهنا اكتشفت الورطة التى هوينا إلى قاعها ، إن السائق لا يعرف العنوان وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، فإن السؤال عن السفارة المصرية أو إحدى السفارات فى بلد ما ليس مشكلة ، إنما الطامة الكبرى أن سائقى لا يعرف غير اللغة الروسية ، عبثا حاولت التفاهم معه بأية لغة من اللغات الست التى أعرفها بلا جدوى من أية ناحية ، وجعلنا نلف وندور نحاول سؤال أحد لكن ، لا أحد يعرف غير الروسية ، وكانت هذه مفاجأة تامة ومفزعة فى ذلك الوقت .

وبعد ساعة وقفنا أمام السفارة المصرية نسأل بعض الشباب الفلسطينى الذى كان يطرق بابها ومعهم فتاة قالوا : إنها مصرية ، وأن لها مشكلة يريدون المساعدة فى حلها ، سألتهم : هذه هى السفارة المصرية ؟ نعم هى ، فكنت كالغريق الذى بلغ شاطئ أمانه ، أخيرا وجدنا من يعرف العربية .

وكانت الساعة حوالى السادسة قبل المغرب ، دلفت إلى السفارة المصرية فكان أول وجه مصرى طالعته فى هاتيك البلاد حارس السفارة الذى ذكر لى أن وقت العمل انتهى ، وأنه سيخبر السفير بقدومى ، وخلال دقائق كنت أجمع الظهر والعصر ، ركعتين ركعتين ، أول شىء فعلته قبل أن ألتقط أنفاسى وهنا أحسست بأن كل ما كان بى من تعب ومن قلق قد راح وانزاح

فإن أمتع شيء في السفر هو الوضوء والصلاة ، فحلاوة الصلاة في السفر والراحة التي يحس بها الإنسان بعدها مما لا حد له ، ولا وصف .

ولذا يعجب المرء حين يعلم أن بعض الفقهاء يرى أن قصر الصلاة في السفر واجب ، ليس رخصة ، فإن صليت تامة لا تقبل - في نظرهم - لماذا أيها السادة ؟ يقولون : إن الصلاة فرضت مقصورة في السفر ، وأتمت في الحضر ، فالأصل فيها القصر ، وليس العكس ، إن ما أحس به من سعادة وراحة عند الصلاة في السفر جعلني أتفهم تماماً هذا الرأي الفقهي .

وما إن جلست حتى جاء الابن الأكبر للسفير ، ولد بادي الذكاء والألمعية ، جلس يسامرني بأحاديثه الشائقة الرائعة ، ثم جاء المستشار الإداري للسفارة ، وصحبني بسيارته إلى فندق فخم من فنادق العاصمة ، بت أول ليلة في كييف ، وفي الصباح جاء عميد معهد الشرق والغرب ، التابع لجامعة كييف الحكومية للغات ، ورئيس قسم اللغة العربية بالمعهد ، شاب عربي ، من مواليد بيت المقدس ، وقد عاش في أكرانيا فوق العشرين سنة ، متزوج من أكرانية له منها بنت وصبيان .

في الطريق إلى القسم تناولنا أطراف الحديث مع العميد ، يترجم لنا رئيس القسم الذي يجيد الروسية ، ويتذوقها كما يعرف الإنجليزية وشيئاً من الأكرانية .

ومن القسم ذهبنا إلى السكن ، فندق طلابي ، وفي جناح خاص بالأساتذة أعطوني حجرة مفروشة بها ثلاجة صغيرة ، وأثاث بسيط ، أما المطبخ والحمامات فهي مشتركة مع نزلاء الحجر الأخرى الثمانية ، ذكراناً أو إناثاً ، خبير تركي في قسم اللغة التركية ، مبعوث من وزارة الخارجية التركية مدرستان من ألمانيا ، واحدة من فرنسا ، وآخر من بني قومها ، إيطالي واحد في قسم اللغة الإيطالية ، هكذا كان القوم عندما حططت الرحال في هذا السكن.

وقد وجدت أن المطبخ المشترك والحمامات مما لا يريح ، فكان علـيّ التفكير في سكن آخر ، إلا أنني صرفت النظر عن هذه الفكرة لعدة أسباب :

١- التفكير في السفر إلى مصر لحضور مؤتمر لسـان العـرب ، منتصـف نوفمبر ١٩٩٨ ، أي بعد خمسين يوماً تقريباً من وصولي .

٢- السكن فيه نوع من الأمان ، إذ لا يدخل زائر إلى السـكن – مـن غـير نزلائه – إلا بعد التحقق من شخصيته ، وترك جوازه أو تحقيق شـخصيته مع موظفة الاستقبال .

٣- كان في السكن مجموعة كبيرة من العرب ، فوق العشرين ، كنت آنس إلى الكثير منهم ، وأستعين بهم في كثير من الأحايين ، حيث لا يمكن التفـاهم مع أحد إلا بالروسية فقط .

٤- وجود هاتف – مجاني – في الجناح ، فضلاً عن معرفة زمـلاء الجنـاح للإنجليزية – في معظمهم – مما يجعل المرء يجد من يتحدث إليـه ، أيـاً كان من تتحدث إليه ، وهذا ما لا يستغني عنه في الغربة ، واسأل المجرب ولا ينبئك مثل خبير .

وهكذا رأيت البقاء في هذا السكن ، برغم عيوبه سالفة الذكـر ، وأنـا عود إلى زملاء السكن فيما بعد .

بدء العمل :

على أية حال فإن أول شيء فعلته بمجرد أن وصلت بحقـائبي إلى الحجرة ٢١٢ هو إفراغ الحقائب من الكتب والملابس ... إلخ حيث حملـت العديد من المراجع والمصادر والمطبوعات العربية ، وهي وزناً تزيـد عـن ٨٠ك ، بعضها أهدى القسم ، وما بقي كان للاستعانة به في التدريس والبحـث

فقد وطنت نفسى وهيأتها على أنه لا كتب عربية يعتمد عليها فى هذه البلــــدان والأصقاع .

كنت بدأت بعض البحوث فى مصر ، ونويت إكمالها فى أكرانيا ، منها بحث عن " الدراسات التقابلية فى خدمة العربية " وكان معى مادته كاملة، غير منقوصة ، وسرعان ما انتهى ، وجاء دور الثانى " اللغة العربية فــى الشــرق الأقصى ، الجناح الشرقى للأمة الإسلامية " فقد بدأت كتابته فى مصر بإشـــارة من مؤتمر لسان العرب الخامس ، الذى تقرر انعقاده منتصف نوفمبر ١٩٩٨ .

وقد كنت قطعت شوطاً فى هذا البحث لأننى ســـافرت إلــى الشــرق الأقصى فى يونيه ويوليو ١٩٩٨ لحضور ندوة تايلاند ، فأرجأت العمــل إلـــى حين عودتى تحسباً لمعلومات ومصادر ووثائق جديدة ، أجلبها معـــــى ، ممـــا يمكن أن يثرى البحث ، وهكذا انتهى البحث الثانى .

وبعدها بدأت فى كتابة الثالث ، وكان بعنوان " اللغة العربية فى الاتحاد السوفيتى ، أكرانيا كمثال " .

ولم أكتف بما سبق ، بل بدأت أدرس تاريخ أكرانيا والجغرافيـــا مـــن خلال بعض الكتب التى جلبتها من مصر ، وفور الانتهاء من قراءة هذه الكتــب واستخلاص المادة المطلوبة لكتابة بحث عن تاريخ المنطقة رغبت أن يكتب فى مصر ، فانتقلت إلى عمل آخر ، هو إعادة قراءة الصرف العربى ، والنحو، ثم البلاغة .

وقد بدأت بالصرف ، فكتبته من أوله إلى آخر ، فى حــــدود أربعيـــن صفحة ، ثم ثنيت بالنحو ، فكتبت جزءاً منه ، ثم انتقلت إلى البحوث مرة أخرى فكتبت من وحى التجربة والمعاناة فى التعامل مع اللغة الروسية : (عنـــــاصر اللغة العالمية المنشودة وتعليم اللغات الأجنبية) .

ومن خلال كتابة الصرف العربى كتبت عن عبقرية اللغة العربية فـــى مسألة من مسائل الصرف العربى ، وهى إسناد الفعل الناقص إلـــى ضمـــائر الرفع ، حيث نجد العربية تسير على قـــانون لا تغـــادره إلا لسـبب ، هكـذا كالإنسان الذكى ، الذى يختلف عن الآلة ، فالإنسان يسير فى طريقه ، فإن رأى خطرا حاول تفاديه وتجاوزه ، إلا أن الآلة لا تملك شيئا من هذا ، إذن العربيـة ليست لغة نمطية ، بل فيها مرونة تستجيب الحاجات والسياقات .

على أية حال فإن كل هذى البحوث سوف تنشر فى كتاب ، وكذا كتاب الصرف ، وما كتبناه فى النحو .

التحرك فى كييف :

كان على بعد أن حططت الرحال ، وبدأت العمل فـــى الحجرة ٢١٢ ، والذى كان فى أكثره كتابة أولا ، ثم القـــراءات والمطالعـات فضلا عن جلسات مع بعض الضيفان ، بعد هذا كله كان على أن أتعلم كيـــف أتحرك فى المدينة ، من المنزل إلى الجامعة ، وإلى السفارة ، وإلـــى الســوق لشراء احتياجاتى ، خاصة من الطعام والشراب ، أى الحلال ، ليس غير .

وكانت المشكلة المهمة التى واجهتها أول مرة فى حيـــاتى هنـا فـــى الحضرة الأكرانية هى (التوهان) وعدم التمييز بين الأماكن ، إذ هى متشابهة إلى حد كبير ، أو هكذا بدا لى فى البداية على الأقل ، ولا أستطيع سؤال أحــد لأننى لا أعرف الروسية .

أما أسباب " التوهان " فسريعا ما حصرتها فيما يلى :

- عدم معرفة الروسية أو الأكرانية ، وأهم من ذلك جهل الحـــرف الروســى تماما ، فلا عهد لى به ألبتة ، إننى أطالعه أول مرة فى حياتى .

- التشابه الشديد الذى يصل حد النمطية للمبانى ، الحكومية وغير الحكومية وكذا الشوارع والطرق .
- لم يكن لدى خرائط للمدينة أستعين بها فى تحركاتى داخلها .

بالنسبة لمعرفة الروسية بدأت أتعلم أهم الكلمات التى يمكن أن أتعامل بها ، وإن فى نطاق ضيق ، كما بدأت التعرف على الحرف الروسى ، وكذا حاولت التدقيق فى المبانى وتمييزها ، فضلاً عن الركون إلى الأرقام ، لا سيما فى التعرف على الحافلات المختلفة التى أركبها .

كما كتبت عناوين الأماكن المهمة التى أتردد عليها بالروسية ، كل عنوان فى بطاقة خاصة به ، فإذا أردت منها واحداً أخرجت بطاقته وأريتها للسائق ، الأجرة أو الملاكى ، يقرؤها بلغته فيعرف المكان ، فينطلق إليه ، ومع هذا كان بعضهم سيما الملاكى لا يعرف بعض هذى العناوين إلا بصعوبة وبعد سؤال كثير من المارة ، وأكثر من مرة .

وتستطيع أن تشير إلى أية سيارة خاصة توصلك إلى المكان الذى تريد وتتفق معه على الأجرة ، لأنه بدون عداد ، كما فى الأجرة ، وهذا ما كان ييسر إلى حد كبير سبل التحرك من مكان إلى آخر ، داخل العاصمة ، أو خارجها .

ثم حصلنا بعد ذلك على خرائط للمدينة ، وعرفت كيف أركب قطار المدينة (المترو) وله ثلاثة خطوط ، لها خريطة موضحة ، إضافة إلى أننى تعرفت على المعالم الرئيسة فى المدينة ، بحيث إذا كنت فى أى مكان تحركت إلى أحد هذى المعالم ، وهكذا [1] ..

---

(١) وكان شكلى هناك وطريقة ملابسى تؤكد أننى أكرانى ، لذا كثيراً ما كان الناس يسألونى: أين الطريق ؟ وفى بعض الأحيان كنت أجيبهم ، وأفهم مقصدهم .

وبرغم هذا كله فقد كنت أتحرك داخل المدينة بشكل مستمر ، لا أعبأ بما سبق ، وكان هذا موضع إشادة من الآخرين ، فقد كان بعض الزملاء لا يتحرك من مكان إلا مع مترجم وسيارة خاصة ، أو أجرة ، فقد جرب الانتقال فى وسائل المواصلات العامة مرة واحدة ، لا ثانى لها ، لقد تاه حتى شبع أو قل حتى ثمل ، ومن يومها عزم على أن لا يعود إلى المواصلات العامة ما بقى فى الحاضرة الأكرانية .

قسم اللغة العربية :

كان من المهم أولاً وقبل كل شىء أن أعرف كيف أنتقل من السكن إلى القسم ، حيث العمل ، ولا سيما فى المواصلات العامة أولاً، ثم بعد ذلك مشياً على قدمى من السكن إلى القسم ، أو العكس المسافة ليست بعيدة ، حوالى ٦ ك م ، وفى سيارات الأجرة أقل من عشر دقائق .

وبطبيعة الحال المواصلات العامة رُخيصة جداً ، أجرة موحدة فى كل أقل من ثلاثين قرشاً ، وبالتحديد ثلاثون كَبِيك = ٣٠% من الجرفنة [1] ، وهى العملة الأكرانية منذ ١٩٩٦ فقط ، وقبلها كان الروبل – العملة الروسية – أو عملة الاتحاد السوفيتى سابقاً .

---

(١) الجرفنة قطعة نقد روسية قديمة فى زمن دولة روسيا الكييفية ، وكانت الجرفنة عبارة عن سبيكة من الفضة ، وزنها حوالى ٢٠٠ جرام ، ومنذ القرن العاشر سُكت فى روسيا القديمة قطعة نقد تشبه الدرهم العربى والنقود البيزنطية ، واعتبارا من النصف الثانى للقرن الثالث عشر ظهرت سبيكة بقيمة نصف جرفنة ، حلت محل الجرفنة نهائياً فى القرن الخامس عشر ، انظر : بيبانوف ، فيدوسوف – تاريخ الاتحاد السوفيتى ص ٢٧ .

وفى سنة ١٩٩٦ كان الدولار = ١,٨ من الجرفنة ، وقد وصل الأمـــر إلى أكثر من أربع جرفنات للدولار الواحد ، وذلك قبل عودتى إلى مصر فـــى بداية يونيه ١٩٩٩ .

نضيف إلى ما قلنا عن المواصلات العامة فى الحاضرة الأكرانيـــة أن الترام والحافلة الكهربية (الترولى) يعملان فى الغالب ، أما الحافلات العاديـة (الأتوبيسات) فهى نادرة جداً جداً ، كما أن هناك ثلاثة خطوط لقطار المدينـة (المترو) تعمل بكفاءة شديدة ، وتمتص معظم الحركة تحت الأرض .

إذن لم تعد هناك مشكلة على الإطلاق فى التحـــرك إلـــى أي مكـــان لاسيما القسم ، سواء فى المواصلات العامة ، أو الخاصـــة ، أو الأجـــرة ، أو حتى على الأقدام والأكعاب .

بدأت العمل بالاجتماع بأعضاء القسم من العرب والأكران ، ورئيـــس القسم ورئيس كرسى الدراسات الشرقية لبحث احتياجات القسم التى انحصـــرت فيما يلى :

- وصل القسم بالعالم العربى ، لاسيما مصر المحروسة .
- تدريب الطلاب فى مصر .
- رفع الكفاءة العلمية للمدرسين .
- دعم مرتبات المدرسين العرب ، لأنها هزيلة ، لا تغنى ولا تســمن من أى شىء .

وبالفعل بدأنا فى بحث مسألة إيفاد الطلاب من القسم فى دورة مكثفـــة نظمتها لهم جامعة القاهرة فى العام الماضى ، وقبل أن نفصل الحديث عن سفر الطلاب إلى مصر نثبت هنا تقريرنا الذى كتبناه فى نهاية عملنا فـــى جامعـة كييف ، والذى جاء تحت عنوان :



قسم اللغة العربية بمعهد الشرق والغرب

جامعة كييف الحكومية للغات

فى العام الجامعى ٩٨ - ١٩٩٩ م

أنشئ القسم فى العام الدراسى ١٩٩٥ - ١٩٩٦ فهو الآن فـــى ســنته الرابعة ، وقد كان صاحب الفكرة عميد المعهد آنذاك - سيدنف - لينضم القسم إلى قسمى اللغة التركية واللغة الفارسية فى كرسى اللغات الشرقية الذى يرأسـه الآن المستشرق ألكسندر بوجومولوف :

أولا - المدرسون : اثنان من فلسطين ، د. إسماعيل عمران ، مؤســس القسم ورئيسه ، والآخر شاب يعد للدكتوراه فى علم النفس بالجامعة ، ولم يكـن له بالعربية صلة قبل أن يعين بالقسم ، وكذا رئيس القسم ، ولكنهما - على أيـة حال - يجتهدان ويجدان ، فالعربية بحر عميق ، لا يسبر غوره أحد .

وهناك ثلاثة من الأكران ، رئيــس الكرســى ، عربيتــه - فصحــى وعامية - لا بأس بها ، لديه رغبة وقدرة على التواصل مع العرب ، وجـــرأة على الحديث بالعربية ، وقد عاش مدة فى اليمن والخليج ، وزار مصر ، ربمـا أكثر من مرة .

وثانى الأكران د. ألكسى خمراى ، متخصــص فــى الترجمــة مــن الفرنسية وإليها ، أعد أطروحته للدكتوراه حول المخطوطات بالحرف العــبرى فى كييف هذه المخطوطات التى جمعت لتكون متحفا يهوديا ، أو نـــواة لـــهذا المتحف ، إلا أن الفكرة لم تر النور فى ظل الاتحاد السوفيتى السابق ، ولكـــن بقيت المخطوطات التى جمعت .

وقد زار العالم العربى مرارا ، فذهب إلى القدس ، والسعودية ، وعمل فى مصر مترجما فى الطيران الزراعى ، ولذا فإن عربيته لا غبار عليها خاصة أنه ترجم بعض آيات من سورة مريم ، وسور قصيرة إلى اللغة الأكرانية .

وآخر الأكران هنا د. ليديا أرنا ، سيدة روسية ، تعلمت فى جامعة لينجراد ، متخصصة فى الأدب العربى ، ولها فيه باع طويل ، ولكن باللغة الروسية .

وأهم الملاحظات المؤرقة المبالغة فى استخدام اللغة الوسيطة – الروسية – ليس فى السنة الأولى والثانية ، بل فى الرابعة والثالثة ، ليس فى مادة الترجمة فقط ، بحيث يشعر المستمع أنه يتلقى محاضرة باللغة الروسية أو فى اللغة الروسية ، هى فقط مطعمة ببعض الألفاظ والجمل العربية ، بل إن الطالب قد يتكلم بالعربية ، ويرد عليه معلمه بالروسية ، أو يصحح الكلام العربى باللغة الروسية .

وثانى هذى الملاحظات الاقتصار على تدريس اللهجة الأردنية فقط، ثم التوغل الشديد فى أخص خصائص اللهجة الأردنية الوعرة والصعبة ، وغير المستساغة ، حتى من جانب الطلاب ، وعندما بدأت أعطى الطلاب شيئا من اللهجة المصرية باعتبارها من القواسم المشتركة فى اللهجات العربية المعاصرة وسافر الطلاب إلى مصر ، بدأت تظهر على ألسنة الطلاب كلمات مصرية وتعبيرات مختلفة عما درسوه فى مادة (اللهجات العربية) مما يوقع الطلاب فى الحيرة والاضطراب .

وبطبيعة الحال فإن الحل هو أن نحاول إعطاء الطالب ما هو مشترك بين اللهجات وما هو مفهوم فى أى مكان بالعالم العربى ، أو عند العرب، ومن

ناحية أخرى تستخدم الروسية كلغة وسيطة فقط ، وفي أضيق نطـــاق ، وفـــي الفرقة الأولى ، وبدء الثانية على الأكثر .

أما رئيس القسم – د. إسماعيل – فيرى أن الحل يكمن في أن يدعـــم العرب مرتبات بني جلدتهم من المدرسين ، حتى يعطي المدرس بشكل أفضـــل وأن تقوم الجامعة بزيادة رواتب الأكران ، إذ الرواتب ضعيفة جدا ، أقل مـــن مائة دولار ، بل أحيانا أقل من خمسين دولارا ، في الشهر .

في حين أرى أن أهم مشكلة هي معرفة المدرس باللغة الروسية ، وفي الجانب الآخر هو غير متخصص في العربية ، أو غـــير مســتطيع التحــدث بالعربية ، ولذا فإن من المهم جدا – في رأيي – أن يكون في القسم مدرســـان متخصصان في اللغة العربية ، ومن العرب ، أو من العالم العربـــي ، ممـــن لا يعرف اللغة الروسية ، حتى لا يستدرج إلى استخدام الروسية بديـــلا عـــن العربية .

ثانيا – الطلاب : عددهم قليل ، أقل من الخمسين ، من الطالبات ، وقليـل من الطلاب لا يزيدون عن ثمانية من البنين في شتى الفرق ، وهذا العدد القليل من الطالبات والطلاب يساعد المدرس والتلامذة علـــى مزيـــد مـــن التفـــاهم والتواصل والإفادة بشكل أفضل من عطاء المدرسين .

ويتميز الطلاب – بنين وبنات – بسرعة الفهم ، وثبات المعلومة التـــي تفهم وتذكرها بسهولة ، وصعوبة نسيانها ، ومن سمات هذا النوع من الطلاب الغرور والاغترار ، كما أنهم مدللون بشكل كبير ، وعلى قدر كبير من الكســل والتكاسل .

ثالثا – الإدارة : كان يدير معهد الشرق والغرب مؤسسه البروفيسور[1] سيدنف، وهو متخصص فى اللغة الصينية ، ويرأس كرسى لغات الشرق الأقصى – الصينية واليابانية والكورية – وفجأة أقيل الرجل ، وجيء بآخر هو أناتولى أندريفش المتخصص فى اللغة الألمانية ليقوم مؤقتا بإدارة المعهد حتى يتم تعيين عميد جديد للمعهد ، ولكن الوضع المؤقت استمر بسبب عزوف الأساتذة عن العمادة ، ليس مجاملة للعميد السابق ، ولكن رغبة فى الحفاظ على ماء الوجه ، ووقتهم ، فالتعامل مع إدارة الجامعة تجلب على أى عميد تضييع وقته انتظارا لمقابلة مدير الجامعة أو أحد نوابه ، وبعد ضياع وقت انتظار طويل ربما لا يقابل المسئول ، وإذا قابله ، ففى الغالب لن يجد غير الرفض لما يطلب أو يقترح ، ثم يواجه فى غضون ذلك اللوم والتعنيف ومختلف العبارات الجارحة والقاسية .

المهم فى الأمر أنه بعد غياب سيدنف ومجيء القائم بعمله ، بدأ التسيب وعدم الانضباط فى المعهد ، وتمثل هذا فى غياب المدرسين ، والأخطر غياب الطلاب أنفسهم ، خاصة من طلاب الفرقة الثالثة والرابعة ، بل كثيرا ما كان المدرس يحضر ، ولا يجد من الطلاب أحدا على الإطلاق ، وعبثا حاولنا رفع الأمر إلى الإدارة ، إلا أنها لم تصنع شيئا ، أو لم تستطع أن تفعل شيئا ، أى شيء ، وإذا استمر الحال هكذا فإن هذا سوف يدمر العملية التعليمية من الأساس والقواعد ، ليس فى قسم اللغة العربية فقط ، ولكن فى جميع الأقسام .

أما د. ألكسندر رئيس الكرسى فعلى الرغم من كل مزاياه وجهوده فإنه يبدو مشغولا جدا ، وغير متفرغ لرئاسة الكرسى ، بل لديه أعمال أخرى، وهو

---

(١) أسس المعهد ١٩٩٤ م .

الآخر لم يستطع أن يفعل شيئا تجاه هذه الفوضى التى من أخطر مظاهرها عدم انتظام الطلاب فى محاضراتهم ، وخاصة فى السنوات النهائية .

وعليه فإننى أستطيع تلخيص أهم مشكلات القسم فى :

١- غلبة الروسية على العربية فى المحاضرات والدروس .

٢- غياب اللهجة المصرية .

٣- كسل الطلاب والمبالغة فى تدليلهم .

٤- عدم انتظام الطلاب فى المحاضرات ، وخصوصا السنوات النهائية .

٥- ضعف مرتبات المدرسين ، وقلة الإمكانيات التى تقدمـــها إدارة الجامعـــة للقسم أو قل رفع الإدارة يدها عن تقديم شىء ، أى شىء للقسم ، أو لغـيره من الأقسام .

وقد حاولت جهدى تقديم النصح والخبرة - حيث قضيت ثلاثين عامـــا فى خدمة العربية فى مصر وغيرها - مـــا اســـتطعت ، ســـواء للطـــلاب أو للمدرسين ، أوضحت لهم كثيرا مما غمض عليهم من أسرار العربية ، أو ممـــا تحتاجه العملية التعليمية بشكل عام ، كما قدمت أعدادا ضخمـــة مـــن الكتـــب والمعاجم والصحف والمجلات العربية ، مما تمس الحاجة إليه هنا ، فضلا عن محاولات دائبة لتواصل القسم مع مصرنا ، وأستطيع القول بأن هذى الشـــهور الثمانية التى قضيتها هنا والتى مرت كأنها لحظة ، قد دفعت القسم قدما نحـــو الأمام ، ووضعت بصمات مضيئة فى تاريخ القسم .

والآن أضع بعض المقترحات التى يمكن أن تسهم فى النهوض بالقسم:

١- أن يكون فى القسم اثنان من مدرسى اللغة العرب ، ممن لا يعرفون اللغـــة الروسية ، وهذا النظام معروف فى الجامعات المصرية ، وغير المصريـــة

حيث يعين من أبناء اللغة – بدون شرط الحصول على الدكتوراه – من يدرس لغته الأم .

٢- من المهم جدا العناية الفائقة بالطلاب الذين يدربون في مصر ، بأن يختاروا من خيرة العناصر الطلابية من ناحية المستوى اللغوى ، والخلقى أيضا ، وأن تكون المدة أطول ويكون التدرب قبيل التخرج ، في السنة النهائية.

على أية فإن القسم يقوم بدور رائد فى الجامعات الأكرانية ، إذ لا يوجد قسم نظير له فى أية جامعة أخرى ، وفي بعض طلابه وطالباته نبوغ واضح ، وطموح شديد ، وبرغم هذا فلابد من العناية بمتعلمى العربية في الجامعات الأخرى ، لا سيما الجامعة الحمراء ، وجامعات خاركوف في الشرق ، وسنفاروبل وأودسا فى الجنوب .

نظام الامتحانات في الجامعة : يحدد الأستاذ موعد الامتحان فى كل مادة يدرسها لطلابه ، يدخل الطلاب ، توضع أمامهم مجموعات من الأسئلة ، يختار الطالب واحدة منها ، يجلس ليجيب ، كل فى مجموعة من الأسئلة ، مختلفة عن الأخرى .

وبعد أن يجيب الطالب يقرأ الأستاذ الورقة ويناقشه فيما كتب ، وقد يوجه إليه أسئلة أخرى ، وفى النهاية يضع الدرجة بناء على الإجابتين التحريرية والشفوية ، وهو ما يتفق مع نظام الأعداد هنا ، حيث لا تزيد الفرقة أو المجموعة التى يدرس لها – غالبا – عن عشرة طلاب ، وتعطى الدرجة من خمسة ، فإذا رسب الطالب أى حصل على أقل من ثلاث درجات أعاد الأستاذ امتحانه ، فإن رسب للمرة الثانية ، تقرر له امتحان أمام لجنة من ثلاثة أساتذة ، فإن لم يوفق أعاد السنة ، وهو نادرا ما يحدث ، لأن الدرجة لكل الطلاب فى قسمنا لا تقل عن أربعة بحال من الأحوال ، بل إن بعض الطلاب

لا يقبل أقل من خمس درجات مهما كان مستواه متدنيا ، وإلا فإنه يجد على أستاذه موجدة لا تمحوها الأيام ، ولا الليالى .

وقد ذكر لى بعض العرب أن الطالب يمكن أن يرتب الأمور مع الكتبة فى الكلية ، فيدفع بالتى هى أحسن لتكتب له الدرجة التى يريد ، دون امتحان أو مع الامتحان ، بل يمكن التفاهم مع المدرس نفسه ، وأن تدفع له إذا لزم الأمر ، والمدرس نفسه يرى أن الطالب سينجح ، رضى أم أبى ، وعلى فرض أنه رسب ، وأعاد السنة ؛ فإنه لن يفيد شيئا ، ولن يتعلم على الإطلاق شيئا وربما أدت به إلى الانقطاع عن الدراسة كلية ، ولذا فإن الممتحن يأخذ الطوق من قصيرها ، فيعطى الطالب خمسة أو على الأقل أربعة .

وهناك مواد لا امتحان فيها ، بل هى فقط للاجتياز ، الحضور فقط للدروس ، وبطبيعة الحال فإن الأمر فى كلتا الحالتين يعتمد على الطالب نفسه إن جد واجتهد فهم واستوعب ، وإلا قضى سنواته الخمس حتى يحصل على الماجستير ، دون أن يحصل شيئا يذكر ، فقط شهادة ، ولكن بدون رصيد ، من أى نوع .

السفر إلى مصر :

وبدأنا نعد لسفرنا إلى القاهرة ، د. إسماعيل عمران مشرفا على الطلاب ، وأسافر لتمثيل القسم فى مؤتمر لسان العرب بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة - نوفمبر ١٩٩٨ - لتقديم بحثين ، الأول عن اللغة العربية فى الشرق الأقصى ، والثانى اللغة العربية فى أكرانيا .

وقد عرفت شيئا عن سفر الطلاب فى الحفل الذى أقامه السفير عمر الفاروق بمقر السفارة المصرية فى كييف لاستقبال الخبراء الأربعة فى اللغة

العربية . ثلاثة منهم فى العاصمة ، وزميل رابع فى شركاسـى ، علـى بعـد ٢٠٠ك م إلى الجنوب من العاصمة .

وكان هذا الحفل الأول بتاريخ - ١١ / ١٠ / ٩٨ - الذى جمع أعضاء السفارة وأعضاء الجالية المصرية فى كييف مع خبراء اللغة العربية ، واستمر الحفل من السادسة مساء إلى حوالى العاشرة ، حيث كانت بداية البرد .

بعدها بدأ العد التنازلى لسفر الطلاب ، حيث اختير من قسمنا أحد عشر ومن شركاسى باقى العشرين ، وسافر الطـلاب بـالفعل فـى ٢ / ١١ / ٩٨ وعادوا فى ٧ / ١٢ / ١٩٩٨ فقضوا فى مصر خمسة أسابيع فى دوزه مكثفـة فى جامعة القاهرة ، لم يتكلفوا فيها غير تذكرة الطائرة ، أما الإقامة والدراسـة فكانتا على حساب الجانب المصرى ، إضافة إلى مائة وعشرين جنيها مصريـا فى الأسبوع .

هذا عن سفر الطلاب ، أما رئيس القسم فإنه برغـم موافقـة الجـانب المصرى على استضافته مشرفا على الطلاب ، فإن مدير الجامعة لـم يوافـق على سفره ، مع أن الجامعة لم تتحمل شيئا من المصروفات ، فقد كان السـفر على حسابه ، والإقامة على حساب الجانب المصرى ، مثـل الطـلاب تمامـا وعليه فقد أرجأنا سفر رئيس القسم إلى إجازة منتصف العام الدراسى .

ولكن مدير الجامعة وافق على سفرى لحضور مؤتمر لسـان العـرب وهو ما تم فى الثامن من نوفمبر ١٩٩٨ ، حيث قضيت أسبوعين فـى مصـر قدمت بحثى ، وشاركت فى فعاليات المؤتمر ، وبعـض الأنشـطة الإعلاميـة وزرت طلابنا الدارسين فى جامعة القاهرة ، واطمأننت عليهم مـن مدرسـيهم ومن مدير المركز الذى يدرسون فيه ، ومن مشرفيهم فى وزارة الخارجية فـى القاهرة .

وقد كان لسفر الطلاب أثر طيب من الناحيتين العلمية والإعلامية ، فقد أفاد الطلاب كثيرا من هذه الدورة المكثفة ، كما تغيرت فكرتهم تماما تماما عن مصر ، لقد كان بعض الأكران يعتقد أن مصر لا تزيد عن صحراء فيها جمال والأهرام وأبو الهول فقط .

وعندما جاءوا إلى بلدنا تغيرت الفكرة من النقيض إلى نقيضه ، لقد عاد الطلاب ليصفوا حياتهم فى مصر بأنها الجنة ، لقد عادوا يبكون - حقيقة لا مجازا - كيف تركوا مصرنا وعادوا إلى أكرانيا مرة أخرى ، ثم رأيناهم يتسللون خفية ليزوروا بلدنا دون أن يحس أحد من زملائهم ، وهكذا كانت رحلة أبنائنا الطلاب والطالبات نقطة تحول مهمة فى تاريخ حياتهم .

إجازة نصف العام :

بدأنا نفكر أنا ورئيس القسم فى السفر إلى مصر فى يناير ١٩٩٩ ، وبالفعل تم هذا بعد إقناع السفارة بالموافقة على سفرى ، حيث سافرت فى ١١ / ١ / ١٩٩٩ إلى مصر ، ولحق بى فى الأسبوع التالى د. إسماعيل عمران ، رئيس القسم ، قضى أسبوعين فى مصر ، ففى القاهرة التقى بالأستاذ الدكتور عاطف نصار ، رئيس جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية ، فأعطى له صورة عن القسم واحتياجاته ومتطلباته ، وأهداه الدكتور عاطف نسخا من مؤلفاته ومطبوعات الجمعية ، كما التقى بالإعلامى الكبير طاهر أبو زيد ، وبالسفير أشرف زعزع أمين الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث ، حيث شرح لسيادته طرفا من السباق المحموم بين السفارات فى كييف لدعم لغات بلادها فى أكرانيا ، وحدد احتياجات قسم اللغة العربية بما يلى :

- تدريب الطلاب ورفع كفاءة المدرسين .

- دعم مرتبات المدرسين العرب .

كما زار جامعة القاهرة ومعرض الكتاب فى مصر ، ومجمع اللغة العربية الذى أهداه مجموعة من الكتب والمعاجم .

على أية حال فإن د. إسماعيل عمران قضى بعض أيام الزيارة فى القاهرة، كما زار كلية الآداب بالمنصورة ، وكلية التربية بدمياط ، كما زار مدينة دمياط الجديدة .

وعند عودتنا إلى كييف فى ١ / ٢ / ١٩٩٩ سألنى السفير عمر الفاروق عن هذا السباق المحموم بين السفارات ، ماذا يصنعون ؟ وما هى احتياجات القسم لديكم ؟ وقد أجيب إلى طلبه بعد التشاور مع رئيس القسم .

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التى سافر فيها طلاب أكران إلى مصر، بل جاء وفد طلابى آخر ، من معهد العلاقات الدولية ومن الجامعة الحمراء أعرق الجامعات الأكرانية ، والتى تقارن بجامعة القاهرة ، أو جامعة الأزهر فى مصر ، إضافة إلى طلاب من معهد اللغات والقانون ، عشرون طالبا ، وقد اتبع معهم نفس ما كان مع زملائهم ، الإقامة والدراسة فى ضيافة مصر والسفر على حساب الطلاب ، مع ذات المنحة الأسبوعية .

وفى هذه المرة جاء مع الطلاب مشرف من جامعة شفشنكو - الجامعة الحمراء - مغربى يدرس اللغة العربية هناك ، وقد وافقت السفارة المصرية على سفره بناء على اقتراحى ، كما وافقت الجامعة على سفره ، بل أعطته تذاكر السفر إلى القاهرة ، وكانت هذه لفتة طيبة من سفارتنا فى الحاضرة الأكرانية .

ثم جاء وفد ثالث فى يوم الاثنين - ١٥ / ١١ / ١٩٩٩ - من جامعتى سنفاروبل و كييف الحكومية للغات ، مع مشرف من قسم اللغة العربية ، وهـو فلسطينى يدرس العربية فى القسم المذكور .

العرب فى أكرانيا :

شىء لمسته ورأيته منـــذ أن وطئــت قدمـــاى أرض المطار فى كييف ، وهو وجود العرب هنا ، قيل لى إن عدد العرب فى بـــلاد الأكران -الآن - حوالى المائة ألف ، هم أقل من الماضى بكثـــير ، وخاصـة على أيام الاتحاد السوفيتى السابق .

والعدد الأكبر من العرب هناك جاءوا طلابا ، وبقـــوا بعـد تخرجـــهم وتزوجوا من أكرانيات ، شهدن الشهادتين ، أشهرن إسلامهن ، وفى الأغلـــب الأعم يبقين كما هن ، دون صوم أو صلاة أو حجاب ، تبقى هـــى وأولادهـا وبناتها أكرانيات حتى النخاع .

وكذا رب الأسرة العربى - إلا من عصم ربى - لا يقيم شـــيا [1] مــن شعائر دينه ، وربما يشرب ، ويعاقر الأكرانيات ، ربما بشكل أكثر تطرفا مــن الأكرانيين أنفسهم

إحدى الفتيات أشهرت إسلامها فأهديناها مصحفا فقال أحـــد العـــرب : " مصحف ؟! ماذا ستصنع بالمصحف ؟! خمسون جرفنة أحسن من هذا كلــه " إن هذا يذكرنى بقول أحد العلماء : من قال : قطعة من ثريد خير من العلم، فقد ارتد ، إن كان سبق له الإسلام .

وحكى لى أحد العرب أن الطائرة التى كانت تقلهم إلى بلدهم بركابـــها المائتين والخمسين ، يزينهم الأدب والوقار ، إلا أن الأمر يختلف تمامـــا فـــى

---

(١) شيئا .

رحلة العودة إلى أكرانيا ، إذ بمجرد ركوب الطائرة ، أو حتى الخروج من الدائرة الجمركية حتى يبدأ الشرب والسكر ، فالطلاب [1] قد ودعوا آباتهم وعائلاتهم ، ولذا فإن الركاب جميعا جميعا قد غرقوا في بحار من السكر .

والعرب في أكرانيا معروفون إما بأنهم من أصحاب الأموال الطائلة أو من ذوي الجرائم الشائنة ، فقد اتهم أحد العرب بقتل حماته وأمها وحكم عليه بالإعدام ، والرجل كان طامحا في براءة ذمته من قتل المرأتين .

وهذا لا يعني أن العرب كلهم من هذه الشاكلة ، إذ هناك نماذج طيبة بلا شك ، وإن كانت قليلة ، حكى لي أحد الطلاب اللبنانيين أنه كان يتصدى لمن يحاول من المدرسين في الجامعة المساس بالمسلمين ، فقد نشرت إحدى الصحف الأكرانية أن امرأة شيشانية تآمرت مع أحد الرجال لقتل زوجها زاعمة أن الزوج كان يعاملها بقسوة ، وعندما حكم القضاء الشيشاني عليه بالإعدام وجدنا إحدى المدرسات في الجامعة تهاجم هذا الحكم ، وتتعاطف مع هذه المرأة ، وهي قاتلة .

ولا يقف الاستفزاز عند حد ، بل دخل أحد المدرسين ليقول لطلابه : (لا أومن بوجود الله) فقال أحد الطلاب : (بل الله موجود) قال المدرس : (إذن أريد أن أراه ، فهل منكم أحد يمكن أن يريني الله) قال الطالب : (أنا أستطيع !!) فبهت الجميع ، كيف يمكن أن نرى هذا الملحد ربنا ؟! قال الطالب: (إنني أحس بالألم ، فهل تستطيع أن تريني هذا الألم ؟ إن استطعت أن تريني هذا الألم فسوف أريك الله !!) .

---

(١) كان عدد الطلاب أيامها كبيرا جدا لدرجة أنهم كانوا يسافرون في الإجازة مائتين طائرة كاملة ، في ذهابهم وعودتهم .

لقد حكى لنا أحد أساتذتنا ، المرحوم الدكتور مصطفى زيد - الذى كان يدرس لنا الشريعة - أنه دخل إلى المدرج فوجد الطلاب فى حالة هرج ومـوج وهياج واضح ؟ قالوا : (لقد أعلن د. فلان أنه لا يؤمن بوجـود الله ، إنـه لا يراه ، فكيف يؤمن بما لا يراه) قال الدكتور زيد : (كان عليكـم أن تسـألوه عاقل هو أو مجنون ؟ فإن قال : هو عاقل سألنا ، فأين هذا العقـل ، نريـد أن نراه ، وإلا فأنت لا عقل لك ، وإن قال : هو مجنون ، بلا عقل ، فلا يلتفت إلى كلام المجنون ، إذ لا يؤبه بما يقول) .

والحقيقة أن عدداكبيرا من الأدلة على وجود الله ، بعيدا عـن المـادة والحواس ، منها - فى رأيى - الرؤى والأحلام ، إذ كيف يرى النائم شـخصا آخر على بعد مئات وألوف الأميال - أحيانا - ثم يتذكر النائم ما كـان برغـم سباته العميق ، وأخيرا يصدق ما رآه ، وما سمعه ، إن هذا دليل على وجـود الله ، سبحانه وتعالى ، بل إن المصطفى ﷺ يقول : (رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [1]) .

والشيء بالشيء يذكر ، فإننا لو تدبرنا - مثلا - ماء زمـزم ، الـذى يسقى هذه الأعداد التى لا تحصى من الناس ، منذ كان علـى عـهد إبراهيـم وإسماعيل إلى الآن ، وهو لا ينضب ، ولا ينقص ، ولا يتغير ، منذ كان إلـى الآن ، وبعد الآن ، وإلى أن يرث الله الأرض ، ومن عليها ، فضلا أن شـاربه لا يتعب ، ولا من شربه يسأم ، متميزا فى طعمه ومذاقه وحلاوتـه التـى لا تنسى مع الزمن .

على أية حال فقد عرف العرب هذه المناطق - ومنها أكرانيا - منـذ وقت مبكر ، يمكن أن يصل القرن الثالث الهجرى ، الثامن الميلادى، وعرفوها

---

(١) السيوطى : الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة ، دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٧م .

وكتبوا عنها ، وعن العاصمة كييف حيث أسموها (الكيابة) [1] بل إن الكتابات العربية جزء مهم ، لا يستغنى عنه فى التاريخ للاتحاد السوفيتى السابق وشمال أورية وشرقها ، لأن الكتابات العربية محايدة ، والكتابات الغربية متحاملة ، فى حين تجد الكتابات المحلية مجاملة منحازة لأصحابها وبلادها .

فمن المراجع الروسية التى أشارت إلى هذه الحقائق (تاريخ الاتحاد السوفيتى) لفيدوسوف وبيفانوف [2] ، ومن المصادر العربية التى كتبت عن المنطقة وعن الكيابة (كتاب الأعلاق النفيسة) [3] لابن رستة ، وأيضا (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) للإدريسى ، وغير ذلك كثير وكثير ، وأهم من ذلك رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ ، ٩٢١ م .

هذه الرسالة الأخيرة التى اهتم بها الروس والأوربيون مائة سنة ينشرونها ويحققونها ، وأخيرا نشرت رسالة ابن فضلان بتحقيق الدكتور سامى الدهان ١٩٥٩ ، بدمشق ، ثم فى بيروت ١٩٩٤ قدمها الدكتور حيدر محمد غيبة .

الأنشطة العربية فى الجامعة :

قامت فى جامعة كييف للغات أنشطة

ثقافية عربية عديدة ، منها :

---

(١) هناك مدينة فى البرازيل بهذا الاسم ، وهى مدينة تقع فى الغرب ، على بعد ٢٥٠ ك من حدود بوليفيا المجاورة ، ذكر هذا الأستاذ محمود شاكر – رحمه الله – فى كتابه (العالم الإسلامى) ص ٣٥٤ .

(٢) انظر ص ٣٣ ، ٣٤ مثلا .

(٣) طبع فى ليدن ١٨٩٣ ، أى فى القرن الماضى ، انظر المجلد السابع ، ص ١٣٥ .

١- فى إحدى حفلات الجامعة أقيمت مسابقة فنية وثقافية - بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٢٤ - اشترك فيها طالبات من الفرقة الأولى ، قسم اللغة العربية وفزن بالمسابقة على مستوى الجامعة ، عندما قدمن تمثيلية حول فتيات من أكرانيا يذهبن إلى ملك عربى يرقصن ويغنين ، ولكن الملك يسأم وينام عنهن ، فيخرجن ويتهن فى الصحراء ، حتى يجدن شيئاً مخيفاً هو قمقم يخرج منه جان ، فيخفن منه ويرتعدن ، فإذا به يطمئنهن بتلبية ثلاث من رغباتهن :

الأولى : يذهبن إلى مصر ، وهناك يرقصن رقصات مصرية .

الثانية : أن يعدن إلى أكرانيا .

الثالثة : يطلبن من أحد أساتذتهن الموجود معهن النجاح جميعاً ، فيوافق على الفور .

وكان الحوار بالعربية المخلوطة بالأكرانية ، لأن أكثر الجمهور من الأكرانيين لا يعرف العربية .

وكانت التمثيلية مفاجأة تامة للجمهور ، وخاصة الملابس العربية والطرح العربية ، وقد دلهم على هذا طالبة من أصل عربى .

وفى العام الدراسى ١٩٩٧ - ١٩٩٨ قدم طلاب الفرقة الرابعة مسرحية " ذكاء قاضٍ " وذلك ضمن توجيهات أساتذتهم العرب باللجوء إلى أنشطة كهذه فى تمثيل قسم اللغة العربية .

٢- وفى إحدى الحفلات ضمن اليوم المفتوح بالجامعة - ١٣ / ٥ / ١٩٩٩ قدمت الطالبات من قسم اللغة العربية مسرحية (شريعة الغاب) للشاعر أحمد شوقى باللغة العربية ، مع ترجمة إلى الأكرانية ، وعندما غابت إحدى الطالبات قام رئيس القسم بتمثيل دورها .

٣- وفى رحاب قسم اللغة العربية التقى طلاب القسم مع زملائهم من الجامعة الحمراء -بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٩٩٩ - فى حوار مشترك بالعربية حول العربية فى منظمات الأمم المتحدة ، ثم تطرق الحديث إلى الوضع السياسى فى العالم العربى ، وذلك كله بإشراف المدرسين العرب .

٤- أوائل الطلبة فى اللغة العربية : وفى يوم الأربعاء ٢١ / ٤ / ١٩٩٩ أقيمت - لأول مرة فى أكرانيا - مسابقة أوائل الطلبة فى اللغة العربية على مستوى الجامعات الأكرانية ، ففى حفل حضره رئيس الجامعة بالإنابة وعميد المعهد ولفيف من المستشرقين ومدرسى العربية وكذا الخبراء المصريون وجمهور كبير من الطالبات والطلاب ، لا سيما المشتركين فى المسابقة والمشتركات ، افتتح عميد المعهد بكلمة حيى فيها الجالسين على المنصة ، ثم أعضاء قسم اللغة العربية والحضور بشكل عام ، وذكر أن هذه أول مرة تعقد فيها هذه المسابقة على مستوى الجمهورية ، فاليوم المسابقة ، وغداً تعلن النتائج وتوزع الجوائز .

أما رئيس الجامعة بالإنابة فذكر أن علاقة أكرانيا بالشرق على مستوى عالٍ ، ولذا فإن بلادنا بحاجة إلى مترجمين أكفاء للغات الشرق ، ثم رحب بالضيفان والطلاب ، وتمنى النجاح لهذه المسابقة الأولى من نوعها فى أكرانيا.

البروفيسور سيدنف مؤسس المعهد [1] ، وعميده السابق حيى الحضور وخاصة الخبراء المصريين ، ثم تحدث عن شروط المسابقة ونظامها .

---

(١) أسس المعهد فى يونيه ١٩٩٥ باسم (معهد الشرق والغرب) مدة الدراسة خمس سنوات ، يحصل الطالب بعدها على درجة الماجستير فى تخصيص الترجمة أو اللغة والأدب ، وتدرس فى المعهد ست لغات (الصينية واليابانية والكورية) ضمن كرسى لغات الشرق الأقصى ، ثم (العربية والفارسية والتركية) فى كرسى لغات الشرق الأوسط ، إضافة إلى الإنجليزية والألمانية ، ويدرس فى المعهد - الآن - فى العام الدراسى ١٩٩٨ - ١٩٩٩ مائتا طالب ، يعلمهم أربعون مدرسا ، اثنا عشر منهم يدرسون لغتهم الأم ، ففى المعهد عرب وترك وألمان وإيطاليون ، كل يعلم لغة وطنه.

المستشرق إسكندر بوجومولوف رئيس الكرسى تحدث عن شروط المسابقة بالعربية ، ثم الروسية ، ثم اختتم الافتتاح بكلمة من رئيس قسم اللغة العربية .

وانتقل الحضور إلى قاعة أخرى مجاورة لبدء فعاليات المسابقة التى بدأت باختبار تحريرى فى اللغة العربية ، بعد أن شرح لهم رئيس الكرسى ورئيس القسم شروط المسابقة ونظامها بالعربية والروسية .

وعند انتهاء الاختبار التحريرى ترك للمتسابقين فترة راحة تبعها الاختبار الشفوى فى القراءة والمناقشة أمام لجنة مكونة من رئيس القسم ورئيس الكرسى وخبراء اللغة العربية المصريين ، والمستشرق نيكولاى فالكوف من معهد اللغات والقانون بالعاصمة كييف ، والأستاذ على صبح مدرس سورى فى الجامعة الحمراء ، وقد أبان الاختبار الشفوى ، وكذا التحريرى على تقدم مستوى طلاب القسم في معهدنا ، وكذا الجامعة الحمراء وجامعة سنفاروبل فى شبه جزيرة القرم ، فى أقصى الجنوب ، على البحر الأسود .

وقد انتهى اليوم الأول من فعاليات المسابقة بتحديد الأوائل ، وكلهم – أو قل كلهن – من قسمنا :

الأولى : يولا بتروفا من الفرقة الثانية .

الثانية : ليرا ميتشكوفا ، الفرقة الثانية .

الثالثة : رسلانة حسن [1] ، الفرقة الأولى .

---

(١) هذه الطالبة عربية اسم الأب فقط ، ولكنها أكرانية حتى النخاع ، إذ عاشت معظم سنوات عمرها فى أكرانيا ، وبين أحضان أمها الأكرانية .

وقد كان هذا اليوم عرسا من أعراس العربية فى هاتيك البلاد ، أثلج الصدر ، وقرت به العيون ، وأسعد كل المحبين للسان العرب ، سجلنا ما استطعنا من هذا العرس بالصور التذكارية ، والتسجيلات الصوتية لكلمات المتحدثين ، لاسيما العربية منها ، وكذا الجزء الأكبر من الاختبار الشفوى ، ثم حوارات عامة مع الطلاب خاصة من اشترك فى المسابقة .

وفى اليوم التالى ، الخميس ٢٢ / ٤ / ١٩٩٩ أعلن عن تسليم الجوائز للفائزات ، وسط فرحة عارمة فى القسم لفوزه بالمراكز الثلاثة الأولى .

ولما كانت هذه الجوائز رمزية فقط ، ليس إلا ، فقد دعمناها ببعض الكتب والمعاجم ، فأهديت الطالبتين الأولى والثانية نسختين من المعجم الوسيط ، من أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقدم المعجمان باسم جمعية لسان العرب لرعاية اللغة بالقاهرة وجبهة حماة العربية ، أما الطالبة التى فازت بالمركز الثالث فقد أهداها رئيس القسم نسخة من ترجمة القرآن الكريم إلى الروسية .

على أية فإن الطالبات والطلاب قدمن بمناسبة هذا الفوز مسرحية (نحو حياة أفضل) لتوفيق الحكيم ، حيث استطاع الشيطان أن يحول القرية إلى شكل أشبه بالجنة ، ولكن نفوس الناس تبقى على حالها لا تتغير ، ويعلن الشيطان أن إصلاح النفوس يخرج عن اختصاصه واستطاعته ، فهذا من عمل المصلح فقط.

وقد أرسلت إلى برنامج (أسبوعيات طاهر أبو زيد) صاحب جبهة حماة العربية رسالة حول المسابقة على جناح السرعة ، أذيعت بعد أسبوعين من المسابقة ، وجهنا فيها التحية إلى سفير جمهورية مصر العربية فى أكرانيا الذى يرعى بكل إخلاص الجهد المصرى لنشر اللغة العربية فى أكرانيا بشتى

السبل والوسائل ، ولا يدخر وسعاً فى دعم ما سماه (اللوبى العربى) يقصد خبراء اللغة العربية ومعلميها .

وقد تمكنا من تسجيل الرسالة هناك - عند إذاعتها - ثم سمعها السفير وأعضاء السفارة ، وهو ما سرهم وأثلج صدورهم ، ثم نشرنا شيئاً عن المسابقة فى صحيفة اللواء الإسلامى القاهرية ، مع صور للطالبات الفائزات .

الإدارة الدينية :

وصلت يوم الاثنين ٢١ / ٩ / ١٩٩٨ ، ومنذ اللحظة الأولى بدأت التفكير فى صلاة الجمعة ، سألت رئيس القسم فأعطانى هاتف رئيس الإدارة الدينية ، مفتى المسلمين فى أكرانيا ، الشيخ أحمد تميم الذى هاتفته ليصف لى الطريق إلى المسجد باللغة الروسية ، وأنا أكتب بالحرف العربى ، وفى يوم الجمعة ٢٥ / ٩ صليت أول جمعة لى فى كييف ، مسجد تحت الإنشاء يسمى مسجد الرحمة .

وكان المفتى شديد اللطف والدماثة معى ، فدعانى للغداء معه فى مقر الإدارة الدينية التى تبعد حوالى نصف ساعة بالسيارة عن المسجد الذى يقع على مرتفع البادول فى العاصمة الأكرانية المشهور بكثرة اليهود فيه .

أما مقر الإدارة الدينية فتقع فى الجانب الآخر من النهر - الدينبرو - فى ضاحية تسمى دارنتسا ، أو كما كنت أسميها دار النساء .

ومن خلال مطبوعات [1] الإدارة الدينية نستطيع أن نعطى فكرة عن نشأة هذه الإدارة الفتية :

---

(١) مجلة المنار ، يناير ١٩٩٩ ، ص ٤ ، وانظر أيضاً : تقويم الإدارة الدينية لمسلمى أكرانيا ، سنة ١٩٩٩ ، انظر ص ٤ .

قام المسلمون بصياغة الوجه القانونى الذى - يجمع شملهم ، ويدافع عن حقوقهم ، ويعمل على الحفاظ على معتقداتهم ، وذلك بمبادرة من الشيخ أحمد تميم رئيس جمعية مسلمى كييف وإمام وخطيب المدينة - آنذاك - فى التاسع من سبتمبر ١٩٩٢ ، وذلك لأول مرة فى تاريخ أكرانيا .

لقد كان مسلمو أكرانيا يعيشون على شكل جماعات متفرقة ، يصعب عليهم معرفة بعضهم بعضاً حتى فى المدينة الواحدة ، فضلاً عن غياب أبسط الوسائل التى تساعدهم على تطبيق أمور دينهم من مسجد أو مصلى ، أو مقبرة إسلامية ، أو إجراء عقود الزواج ، ومن ثم نهض فضيلة المفتى ، وبدعم من وجهاء المسلمين فى أكرانيا ، ومن الشيخ طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الدينية لمسلمى سيبيريا ، والقسم الأوربى ، فى الاتحاد السوفيتى السابق ، تم تأسيس أول وجه قانونى تحت اسم (الإدارة المحتسبة الرئيسة لمسلمى أكرانيا) برياسة الشيخ أحمد تميم .

وفى سنة ١٩٩٣ تم التعديل الأول على النظام الداخلى ، وذلك بتغيير اسم الإدارة واستقلالها عن إدارة سيبيريا والقسم الأوربى ، فصارت الإدارة الدينية لمسلمى أكرانيا الوجه الأساسى الذى يلتف حوله المسلمون فى أكرانيا من مختلف الأعراق .

ومنذ ذلك الحين والإدارة تعمل على تصحيح المفاهيم الإسلامية بين العامة ، وإعداد الدعاة ، والعمل على تطبيق الواجبات الشرعية من شعائر وعبادات ، محذرة من مخاطر التطرف والغلو فى الدين ، وقد ترسخت هذه المفاهيم فى المؤتمر الأول لمسلمى أكرانيا ١٦ ، ١٧ / ٩ / ١٩٩٤ م .

ولكن الأمر لم يخلٍ من عقبات وصعوبات مما اضطر إلى عزل بعض المسئولين فى القرم ، وانتخاب مفتٍ جديد للإدارة الراعية لشئون تتر القرم حتى تنسجم مع الإدارة الدينية لمسلمى أكرانيا ، وخاصة فى مجال إعداد الدعاة

والمواد التعليمية والتشاور فى أخذ القرارات ، وذلك من خلال اجتماعات دورية بين الإدارتين .

وبعد أن قامت الإدارة فى كييف بحملة تطهير ضد زارعى بؤر التوتـر بين العاملين بها ، وهم من المتأثرين بالتربية الشيوعية - فى العاصمة - تبلورت الصورة بشكل أكثر وضوحاً بعد المؤتمر الاستثنائى الثانى فى العاصمة ، والذى شارك فيه مفتى القرم .

وازدادت أعمال دار الفتوى فى كييف ازدهاراً واضحاً بالإصدارات الدينية لكافة الأعمار ، وإعداد بعض الدعاة للعمل فى القرم ، وبلاد القوقاز وغيرهما .

وفى محاولة لتعزيز لحمة المسلمين من كافة الأعراق ، ووضعهم وفق منهج صريح واضح للتعامل الثقافى والتربوى فيما بينهم ، كما سلهمت الإدارة فى جمع ممثلى مختلف القوميات ليتعارفوا، ويعرف بعضهم بعضاً ، فوقعت عدة اتفاقيات مع جمعيات وهيئات تترية وآزرية وتتر القرم والقازاخ والداغستان والشيشان ، وغيرهما .

كما أن المركز الثقافى للشعوب الأتراكية والشرقية الذى افتتح فروعاً له فيما يزيد عن أربعة عشر فرعاً فى المحافظات الأكرانية قد وقع اتفاقية مع الإدارة الدينية - فى كييف - التزم فيها بالعمل عبر الإدارة .

ومن جانب آخر فإن الإدارة تسهم فى دعم الأنشطة الثقافية لإحياء التراث الشرقى للأقليات القومية الإسلامية فى أكرانيا ، وتوطيد علاقاتها مع بلادها الأم .

والإدارة تمتاز بعلاقاتها الوطيدة مع كل الإدارات الدينية فى دول الاتحاد السوفيتى السابق التى تعاون فى طبع المنشورات الروسية والعربية على السواء .

كما تشارك الإدارة الدينية فى العديد من النـدوات والمؤتمـرات فـى الداخل والخارج ، فضلا عن لقاءات ومراسلات بناءة مع المفتين والعلماء فـى شتى أرجاء العالم .

وعلى الصعيد الإعلامى تقوم الإدارة بنشر كثير من الكتـب المؤلفـة والمترجمة معتمدة على أصول الدين ، طبقا للعقيدة الأشعرية الماتريدية، عقيدة أهل السنة والجماعة ، إضافة إلى كتب فقهية فى مذهبى الإمام الشافعى ، وأبى حنيفة ، مع التحذير من المؤلفات والترجمات الروسـية التـى تحـاول نشـر معتقدات القاديانية والبهائية ، أو الوهابية المسماة بالجماعة الإسلامية ، لما فيها من مخاطر على معتقدات العامة من المسلمين ، وتشويه سمعة الإسـلام بيـن غير المسلمين ، بما فى ذلك مخاطر الترجمة الحرفية للنص القرآنى .

نذكر أنفسنا والآخرين بكلام الله – عز وجل – والذى كان وما يـزال شعارنا فى العمل منذ المؤتمر الأول لمسلمى أكرانيا " تلك الدار الآخرة، نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ، ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين "[1] .

انتهى ما قبسناه عن نشأة الإدارة الدينية بتصرف طفيف ، واختصـار لكى نعرف بالشيخ أحمد تميم مفتى المسلمين فى أكرانيا ، فنقول :

شاب لبنانى ، فى بداية العقد الخامس من عمره ، قضـى منـه نيفـا وعشرين عاما فى الديار الأكرانية ، يجيد الروسية إجادة تامة ، يقول بأنه تلقى علوم الدين هنا ، وفى لبنان ، يخطب الجمعة بالعربية والروسية فـى مسـجد الرحمة ، برغم أنه تحت الإنشاء للآن ، كما سنفصل فـى موضعـه ، ويـؤم المسلمين فى الجمع والأعياد والتراويح ، ويساعد المسلمين فى إحياء شـعائر

---

(١) ٨٣ القصص .

دينهم فى الزواج والطلاق والممات ، ويستقبل الراغبين فى إشـــهار إســـلامهم والإقرار أمامه بالشهادة .

وهو مهندس حواسب من الطراز الأول ، فقد عمل بعد تخرجـــه فـــى تجارة البرامج والحاسبات وما يلزمـــها ، وبعـــد انـــهيار الاتحـــاد الســـوفيتى وبالتحديد فى سنة ١٩٩٣ سافر إلى لبنان ، ثم عاد إلى أكرانيا ليصفى مكتـــب الحاسبات الذى أنشأه فى كييف ، والذى كان يدر عليه ربحاً وفيراً ضخماً، وبدأ فى إنشاء الإدارة الدينية ، حسب التواريخ التى أشرنا إليها .

ويعاونه فى عمله شقيقه الأصغر الشيخ وليد ، يخطب الجمعة، ويصلى مكانه إذا غاب ، كما يساعده فى إدارة الجامعة الإسلامية ومدرســـة الإرشـــاد وسائر أنشطة الإدارة الدينية ، فهو يعمل نائباً لأخيه الأكبر ، والساعد الأيمن له إضافة إلى بعض اللبنانيين .

وقد استطاع الشقيقان تحقيق العديد من الإنجازات :

أولها : مسجد الرحمة : فى العاصمة ، وهو المسجد الوحيد الآن فى كييـــف ونترك إحدى مطبوعات [1] الإدارة الدينية تحكى قصة بناء هذا المســـجد بعـــد نضال استمر قرابة مائة سنة :

افتتح مسلمو كييف مصلى لهم فى الثالث من أكتوبـــر ١٨٩٧ م فـــى الطابق الثانى لأحد البيوت فى منطقة البادول ، وذلك بموافقة السلطات المحليـة آنذاك .

وفى أوائل القرن العشرين نقل المصلى إلى بيت آخر فى نفس الشـارع ولكن هذا المبنى الأخير المكون من طابقين هدم فيما بعد ، فاتجهت المساعى لبناء مسجد يتسع لثمانمائة مصلٍ من المسلمين ، إلا أن المشروع لم يتم برغـــم

---

(١) تقويم الإدارة الدينية لمسلمى أكرانيا ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ص٥ .

أن جريدة (الفكر الكييفى) نشرت فى عددها الصادر فى ٣٠ / ١٠ / ١٩١٣ ما يفيد بأنه تم وضع حجز الأساس لبناء المسجد ، حيث شكلت لجنة للإشراف على بناء المسجد رأسها أحد الوجهاء المسلمين فى العاصمة .

ولكن المشروع توقف لعدة أسباب ، منها انطلاقة الشيوعية فى ثورة ١٩١٧ م ثم الحرب العالمية الثانية ، ودار الزمن دورته المحتومة ، وتفكك الاتحاد السوفيتى الذى أصبح يوصف بهذه الكلمة (سابقا) أو (السابق) وفى كل الأحوال لم ينس المسلمون هدفهم ، فتجددت الجهود منذ سنة ١٩٩١ ، فكان وضع حجر الأساس مع افتتاح المؤتمر الأول للمسلمين الذى أقامته للإدارة الدينية لمسلمى أكرانيا سنة ١٩٩٤ [1] ، ومن يومها والجهود دائبة على قدم وساق لإتمام بناء المسجد .

وبرغم أن المسجد إلى الآن لا يزال تحت الإنشاء ، إلا أن صلاة الجمعة تقام فى إحدى القاعات التى تتسع لحوالى مائة وخمسين مصليا وتشارك بعض المسلمات الرجال صلاتهم ، وذلك خلف الصفوف ، وينتقل طلاب الجامعة الإسلامية وبعض العاملين فى الإدارة الدينية من مقر الإدارة فى دارنتسا إلى المسجد بواسطة إحدى الحافلات التى تستأجرها الإدراة خصيصا لهذا الغرض .

أما صلاة التراويح فى رمضان والجماعات فتقام فى مقر الإدارة ، فى حين تقام صلاة العيدين فى إحدى الصالات الرياضية المغطاة التى تستأجر لهذا الغرض فى كييف ، وقد حضرت صلاة [2] عيد الأضحى لهذا العام ١٩٢٠هـ

(١) ذكر لى أحد العرب أن الموافقة على بناء المسجد تمت بعد تدخل عدد كبير من السفراء العرب والمسلمين فى كييف .

(٢) بتاريخ ٢٧ / ٣ / ١٩٩٩ .

قدر عدد المصلين بألفين ، منهم عدد من الوجهاء ورجال السلك الدبلوماسي وعدد كبير من العرب ، أم الصلاة وخطب الشيخ أحمد تميم ، كما هي العادة في خطبة الجمعة ، بالعربية والروسية .

وبعد الفراغ من الصلاة وتبادل التهاني انتقلنا بواسطة الحافلات إلى حيث مقابر المسلمين لزيارتها ، وتقع خلف مسجد الرحمة ، مساحتها حوالي ألفي متر ، وتقع القبور المبنية من الطوب اللبن والتي لا ترتفع كثيرا عن الأرض داخل سور حديدي ، أقل من قامة الرجل ، وفي داخل السور الحديدي يقع قبران بالطوب اللبن فقط ، يخصص واحد للرجال وآخر للنساء ، فيما يبدو، ولا يرتفع القبر كثيرا عن الأرض .

وقد قامت إحدى قنوات التلفاز الأكراني بتسجيل صلاة العيد والخطبة وزيارة المقبرة ، ثم أجروا مع المفتي حديثا عن العيد ومناسبته .

بنيت المقبرة سنة ١٩٤٥ ؛ لأن المقبرة القديمة فقد طمست بمحطة وقود ، وترى على السور الحديدي لوحة رخامية تبين اسم المتوفي وتاريخ الميلاد والوفاة ، كل هذا بالحرف العربي ، ولكن بلغات أخر إسلامية .

وبعد أن تجولنا في المقابر ، وقرأنا الفاتحة على أرواح المسلمين وذلك بصحبة المفتي والعديد من مصلى العيد ، بعدها انصرف كل إلى حال سبيله .

وهناك مكان آخر على الأقل لصلاة العيد والجمع أيضا ، إذ يستأجر بعض الطلاب صالة في إحدى قصور الثقافة الأكرانية للصلاة والأفراح والمناسبات الإسلامية ، فلا يوجد غير مسجد الرحمة في العاصمة ، أما في الأقاليم الأكرانية ، خاصة الجنوب ، فهناك ربما مسجد أو أكثر في المدينة، كما سيأتي .

بل هناك مصلى فى السوق الرئيسة للملابس فى إحدى ضواحى كيف تقام فيه صلاة الجماعة ، وأحيانا صلاة العيد ، ففى هذه السوق أعداد كبيرة من الباعة المسلمين ، ومن المشترين أيضا .

ثانيها - الجامعة الإسلامية : تأسست الجامعة الإسلامية فى كييف سنة ١٩٩٤ ويعتبر هذا الصرح الإسلامى حدثا تاريخيا فريدا ، فتح الآفاق أمام المسلمين فى أكرانيا لتحصيلهم تعليما دينيا جامعيا ونشر المفاهيم الصحيحة وتطمح الجامعة إلى افتتاح الكليات [1] الآتية :

- كلية أصول الدين .
- كلية هندسة العمارة والبناء الإسلامى .
- اللغات الشرقية وإعداد المعلمين .
- كلية إعادة تأهيل الدعاة [2] .

فترة الدراسة أربع سنوات لنيل شهادة البكالوريوس ، السنتتان الأوليان بالروسية ، والأخريان بالعربية ، وقد بدئ بكلية أصول الدين من العام الماضى ١٩٩٧ - ١٩٩٨ ، وهم الآن - ١٩٩٩ - فى الفرقة الثانية .

ويدرس فى الجامعة طلاب من شتى المحافظات الأكرانية ، ومن أعراق مختلفة ، فضلا عن وافدين من بلدان مجاورة ، وبطلب من إدارتها الدينية ، مثل داغستان وأذربيجان وبلاد التتار ، وقد رأت الإدارة الدينية أن وجود التعليم الدينى الموجه يعد ضرورة ملحة للحفاظ على مجتمع المسلمين ومن ناحية أخرى فإن التعليم على الأرض الأكرانية ومن خلال الواقع المعاش يعطى دفعا وبعدا مهمين لتنشيط عجلة الدعوة ، واكتساب الخبرات العملية فى

---

(١) السابق .

(٢) إضافة إلى مركز الأبحاث الإسلامى .

محيط اختلفت أجناسه ، وتلونت عقائده ، مما يكسب الطالب الداعى بذلك مرانه وممارسة تناسب حاجيات مجتمعه ، ومن ناحية أخرى فللجامعة وظيفة مهمة تتمثل فى انتقاء الدعاة المتميزين لإرسالهم إلى الجامعات ذات الشهرة العالمية لصقل معلوماتهم ، وتمكنهم من العلوم الإسلامية بشكل موسع وأسرع ، ليعود الطالب إلى أهله لمتابعة العمل بنشر الدعوة إلى الله على منهج سليم مناسب بعيدا عن التعقيدات والغلو التى قد يكتسبها باحتكاكه مع الآخرين .

أما التدريس [1] فيها فقد اعتمدت الطريقة المثلى ، طريقة الكتاتيب وذلك بالتعليم بالتلقى مشافهة عمن حصل بالطريقة نفسها امتثالا لحديث النبى الأكرم ﷺ : (إنما العلم بالتعلم [2]) مع فتح المجال للطالب كى ينقل ما تعلمه ممارسة إلى من هو دونه من الطلبة .

كما أن الجامعة اعتمدت فى تعليمها الابتداء بإيصال علم الدين الضرورى الواجب معرفته والعمل به ، قبل أى شىء ، ومن ثم التوسعة فى العلوم ، مع التركيز على تأسيس الداعى وتحصينه بعلم التوحيد ،وإعطائه الأدلة العقلية والنقلية ضد المشبهة والمجسمة ، وأهل الغلو والإفراط ، وذلك باللغة التى يتقنها الطالب ، ريثما يتمكن من تعلمه العربية وإتقانها ، لينجو بنفسه من الوقوع فى المعاصى ، بعيدا عن الأخطاء الجسام التى قد تلوثه فى حال عدم معرفته الواجبات الدينية .

---

(١) يستعان ببعض الكتب العربية المخصصة للمراحل الأولى فى العالم العربى ، وتلك الكتب من مطبوعات جمعية المشاريع الخيرية فى لبنان .

(٢) رواه الطبرانى .

هذا بالإضافة إلى تعلمه الأحكام الفقهية باللغة الروسية مع العربية وتلاوة القرآن الكريم والخطابة والتاريخ الإسلامى والحديث ، وبعض العلوم العصرية فى الإدارة والإعلام واستخدام التقنيات الحديثة ... الخ .

تمويل الجامعة ذاتى ، يعتمد على مصروفات الطلاب وبعض التبرعات وإخلاص القيمين من جهة ، وحب العلم وقوة الإيمان ، وزهد المعلم من جهة أخرى .

ومن هذا المبنى المكون من طابقين مستأجرين فى مساحة تسعمائة متر مربع فى ضاحية دارنتسا ، تنطلق الآمال والطموحات ، وتمتد الأيادي للتعاون والتنسيق مع الجامعات الإسلامية والمعاهد والمؤسسات كى يتحقق المزيد من الإنجازات ، لاسيما مع مشاركة أهل الاختصاص المتطوعين من البلاد العربية والإسلامية [1] .

ثالثها - مدرسة الإرشاد : تأسست سنة ١٩٩٦ ، وهى مؤسسة تابعة للجامعة الإسلامية ، ومغذية لها فى نفس الوقت ، وتعمل على تنشئة الصغار على علوم الدين والدنيا ، باللغتين الروسية والإنجليزية مع العربية ، وتستقبل الأطفال من سن الرابعة ، من الحضانة حتى تسلمهم إلى الجامعة ، التى تقع فى ذات المبنى الذى تقع فيه المدرسة .

رابعها - الندوات والمؤتمرات : تقوم الإدراة الدينية بتمثيل مسلمى أكرانيا فى المؤتمرات المحلية والعالمية ، فمن النوع الأول :

---

(١) نقلنا الجزء الأكبر من المعلومات عن الجامعة الإسلامية فى كييف من تقويم الإدارة الدينية لسنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، وجريدة المنار الصادرة عن الإدارة الدينية أيضا ص ١ ، ٣ عدد مايو ١٩٩٥م .

١- مؤتمر مسلمى أكرانيا الأول : وقد انعقد فى ١٦ - ١٨ / ١ /١٩٩٤ حيث ترسخت عدة أهداف للإدارة الدينية ، منها العمل على تصحيح المفاهيم الإسلامية بين العامة ، وإعداد الدعاة والعمل على تطبيق الواجبات الشرعية ، وأهم من ذلك كله أنه كان ترسيخا لمسيرة الإدارة الدينية باعتبارها الجهة الممثلة لمصالح المسلمين فى الديار الأكرانية .

٢- المؤتمر الثانى الاستثنائى : والذى انعقد فى ٢٥ / ٨ / ١٩٩٦ بمدينة كييف برياسة مفتى أكرانيا ، الشيخ أحمد تميم ، شارك فيه ثمانون ممثلا للجمعيات الإسلامية ، وخمسون مشاركا من الضيوف من مختلف المناطق الأكرانية ، وقد دعا لهذا المؤتمر الاستثنائى الحاجة إلى إقرار النظام الداخلى الذى أعدته هيئة مختصة فى الإدارة الدينية ، بعد عامين من المؤتمر الأول ١٩٩٤ م .

وقد كان لرئيس الإدارة الدينية كلمة بين فيها وضع الإدارة بين المؤتمرين ، والنتائج الملموسة على صعيد نشر التعليم الدينى ، وإعداد الدعاة بالإضافة إلى فتح أول مدرسة [1] أكرانية لتعليم أبناء الجالية الإسلامية ، وإعداد البرامج والمواد التعليمية لها ، ولكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية .

كما أشار المفتى إلى توسيع رقعة العلاقات على المستويين المحلى والخارجى ، ومشاركة مسلمى أكرانيا فى المؤتمرات التى تقام فى البلدان الإسلامية كمصر وتركيا ... إلخ .

على أية حال فقد كان التركيز فى المؤتمر على وضع خطة لتفعيل العلاقات المنتظمة بين الجمعيات الإسلامية الأكرانية ، وتدريب الإداريين

---

(١) مدرسة الإرشاد التى سبق الحديث عنها .

وكان لرؤساء هذه الجمعيات كلمة نوهوا فيها على اللحمة القائمة بين الجمعيات مع اختلاف الأعراق واللغات بين مسلمى أكرانيا .

وعن المشكلات التى تعترض نمو الإدارة الدينية وتفعيل برنامجها فى بناء مجتمع إسلامى أكرانى متين ، استعرضت نقاط الضعف التنظيمية وخاصة فى اختيار المساعدين الإداريين ، والمتخصصين ، كما جرى الحديث عن الساحة الأكرانية والمرحلة الانتقالية التى تعيشها أكرانيا ، بشكل عام .

ومن نتائج المؤتمر التعديل فى عضوية الهيئة الإدارية ، ولجنة المراقبة والتدقيق فى الإدارة الدينية ، كما هنأ المؤتمر الدعاة الشباب من الأكران الذين أنهوا تحصيلهم من علوم الدين الضرورية ، والذين بدعوا المشاركة فى نشر ما تعلموه فى مناطقهم وغيرها .

وكان من ضيوف المؤتمر مفتى القرم نورى مصطفى الذى أشار –فى كلمته أمام المؤتمر – إلى أهمية عمل الإدارة الدينية وحجم المسئوليات التى تتحملها ، ودعا إلى رص الصفوف ، والتعاون على أعلى المستويات ، وذكر المشاكل التى تعترض أهل القرم بشكل عام .

هذا عن المؤتمرات المحلية ، أما الأخرى فنشير أيضا إلى اثنين ، منها :

١- **المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية :** انعقد فى القاهرة ٢٤ – ٢٧ / ٧ / ١٩٩٦ تحت عنوان (الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى) شارك فى أعمال المؤتمر شخصيات دينية ورسمية يمثلون مائة وعشرين دولة ، وقد توزع المؤتمرون فى كلماتهم ومداخلاتهم على القضايا الرئيسة الآتية :

أ – حوار أم صراع : ركز المتحدثون على القيم الإسلامية ، والدعوة إلى المجادلة بالتى هى أحسن ، ودور الإسلام فى النمو الحضارى للبشرية على مر العصور .

ب- حوار بين ممثلى الأديان : استعرضت المحاولات الجارية لتنشيط الحوار فى هذا المضمار وأثره على المجتمعات ، وخاصة الغرب ونظرتهم للإسلام، وانعكاس الدعاية الإعلامية الغربية السلبى على مجال تطوير الحوار ، والنماذج التاريخية لهذا الحوار .

جـ- الإسلام والعلاقات بين البشر : تناول المؤتمرون محاولات الغرب لفرض حضارته على مجتمعات الشرق ، وإهمال منابع الحضارة ومصادرها الإسلامية ، فإن مهد الحضارة دوما كان الإسلام ، حيث القيم الإنسانية والحلول الاجتماعية ، ودور مصر عبر التاريخ ، وتعدد الأنبياء الذين جاءوها ، مثل يوسف ويعقوب ... إلخ .

د - الحوار والتطرف : تم التركيز على أسباب التطرف ونتائجه ، ومخاطر الإرهاب كظاهرة ، تهدد المجتمعات ، والتفريق بين الصراع من أجل الحرية وإقامة العدل وبين الإرهاب ، وخلط الإعلام الغربى الذى يظهر الإسلام بثوب الإرهاب وترويع الآمنين ، فى حين يلتزم الصمت تجاه أفعال غير المسلمين ، من تدمير مساكن الآمنين ، وذبح الأطفال والنساء ، كما فى مناطق كثيرة ، مثل البوسنة والشيشان ولبنان ...إلخ.

وقد التقى مفتى المسلمين الأكراد - على هامش المؤتمر - بالعديد من الشخصيات والمسئولين ، مثل شيخ الأزهر السابق ، فضيلة الشيخ جاد الحق رحمه الله ، ووزير الأوقاف المصرى ، والأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

٢- **مؤتمر المسلمين فى القوقاز** : الذى انعقد فى حاضرة أذربيجان ، أول أكتوبر ١٩٩٨ ، حضره مائة مؤتمر ، واستمر ثلاثة أيام ، خصص الأول لمسلمى أذربيجان ، واليومان الآخران للأوراق المقدمة ، وقد كان وراء

الفكرة الرئيس الشيشانى السابق جوهر دوداييف - رحمه الله - وذلك لوضع أسس وحده المسلمين [1] فى القوقاز .

وقدم مفتى أكرانيا ورقة ، تحدث فيها عمن يأتون للدعوة فى هذه البلاد ولهم عقائد متطرفة ، مثل تحريم الاحتفال بمولد النبى ﷺ واستعمال المسبحة وتكفير مرتكب الكبيرة ... إلخ .

وقد ذكر لى الشيخ أحمد تميم أنه برغم دعوة الأزهر ، فإن أحدا لم يحضر من مصر ، وهذا تقصير كبير ، فلا يصح أن يغيب الحضور المصرى عن مثل هذه المؤتمرات .

خامسها - المطبوعات والنشرات : وعلى رأسها صحيفة المنار العربية - ومينارت الروسية - والتى كانت مصدر بعض المعلومات التى نقلناها هنا فضلا عن التقويم السنوى للإدارة الدينية ، والتى يتضمن كثيرا من المعلومات عن الإدارة وأنشطتها ، وكذا مواقيت الصلاة فى كييف وغيرها من المدن الأكرانية المهمة ، وجلب بعض المجلات والمطبوعات العربية من لبنان

التعاون مع السفارة المصرية : وقد تمثل هذا التعاون فى نقاط ثلاث هى:

١- أوفدت مصر أحد قرائها فى شهر رمضان من العامين الماضيين ١٤١٩هـ وهذا العام ١٤٢٠هـ ، وقد كان يقرأ للناس بالليل ، ويحفظ الأولاد القرآن الكريم بالنهار فى مدرسة الإرشاد .

وفى أول جمعة من رمضان جاء القارئ المصرى إلى مسجد الرحمة قبيل صلاة الجمعة ، فقرأ مستفتحا بنهاية القمر ، وبداية الرحمن ، فكأنما أسمع هذه الآيات لأول مرة ، وأرى الجبال الرواسى لا تحتمل قول الله تعالى :

---

(١) وقد علق القسم العربى فى هيئة الإذاعة البريطانية على الفكرة باستبعادها تماما ، إذ لا أساس لها فى رأى الإذاعة ؟! .

(فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟!) وقد أعطت القراءة المصرية روحا جديدة للمسجد والجمعة ، قراءة جميلة منضبطة .

وبعد الصلاة ذهبت للسفارة المصرية ، فشكرت القنصل على هذه الأريحية المصرية ، ثم جاء الشيخ أحمد تميم مع القارئ فقابلا القنصل ، ثم انضم إليهم الملحق الإدارى لسؤال المفتى عن كيفية الحج من كييف ، حيث تنظم الإدارة الدينية حج المسلمين من أكرانيا ، وفى هذا العام كان عددهم مائة حاج [1] ، فى حين كان عددهم من مجمل الاتحاد السوفيتى السابق ألف حاج وهو عدد قليل مقارنة بعدد المسلمين فى هاتيك البلاد ، ولعل السبب الاقتصادى وراء قلة عدد الحجاج ، خاصة أن مصروفات الحج مرتفعة جدا قياسا بالدخول الهزيلة الضعيفة هناك .

٢- وقد سألنى المفتى - فى إحدى الجمع - لماذا لا تعاونا فى تقوية طلابنا فى اللغة العربية ، وعندما قبلت قال لأخيه سيذهب د. أحمد لتدفئة هؤلاء الأولاد فى العربية ، لاحظ التعبير الذى يعبر عن قسوة الشتاء هناك، وكان الناس فى العصور الخوالى يحاولون إغراء أصدقائهم بالزيارة لا بالقرى طعاما أو شرابا ، بل يقول له : عندنا نار طيبة ، هكذا .

على أية حال زرت الجامعة الإسلامية ، وجلست مع طلاب الفرقة الثانية بكلية أصول الدين ، ستة طلاب :

- واحد باكستانى ، أبوه يعمل فى سفارة بلاده فى كييف .
- واحد من داغستان .
- واحد من روسيا .
- ثلاثة من شبه جزيرة القرم ، فى جنوب أكرانيا .

---

(١) تكلفة الحاج الواحد ١٦٠٠ دولار أمريكى .

- وقد انضم إليهم – ضيفاً – أحد الشيشانيين كى يستمع إلى الدرس .

جلست مع الطلاب عدة جلسات أسبوعياً فى اللغة العربية ، قرابة شهرين ، بعد صلاة الجمعة فى مقر الجامعة فى دارنتسا ، فيما بين عيد الفطر وعيد الأضحى لسنة ١٤٢٠هـ ، أول عام يتعلمون فيه العربية ، يحاولون ويجتهدون ، أحدهم درس فى مصر .

وقد حاولت إعطاءهم أهم الألفاظ والتعبيرات العربية – من وجهة نظرى – مستعيناً بخبرتى مع الطلاب غير العرب ، لا سيما المسلمين منهم ومفيداً فى ذات الوقت من كتاب أستاذنا الدكتور أحمد شلبى (تعليم اللغة العربية لغير العرب) [1] محاولاً تبسيط المعلومات ، ما أمكن .

وقد ذكر لى طلاب القرم – وهى منطقة تتمتع باستقلال شبه ذاتى – أن فى العاصمة سنفاروبل مسجدين ، أحدهما كبير ، والآخر صغير ، وفى يالطه [2] مسجد واحد ، وفى مدينة أودسا [3] – أهم موانئ البلاد – مصلى فقط .

وبعد الانتهاء من الدرس كنا نجلس مع المفتى ، وشقيقه الشيخ وليد فيتطرق الحديث للكتابات العربية حول منطقة أكرانيا ، لا سيما رسالة ابن فضلان ، ومما ذكره لى المفتى أن هناك آثاراً إسلامية كثيرة وأسلحة قديمة فى مدن أكرانية عديدة ، مثل خرسون وشركاسى – فى الجنوب من كييف – وفى غرب البلاد ، فى جبال الكرباتى ، كما توجد مدارس إسلامية أيضاً ومخطوطات عربية ، حاولنا – يقول المفتى – الوصول إليها وكتابة تاريخ

---

(١) نشرته نهضة مصر ، ط٣ ، القاهرة ١٩٨٣ م .

(٢) تقع إلى الشرق من عاصمة القرم – سنفاروبل – على ساحل البحر الأسود .

(٣) تقع على البحر الأسود ، فى الجنوب الغربى من البلاد .

المسلمين هنا ، ولكن هذا العمل تطلب مبلغاً كبيراً من المال - طلبه أحد الباحثين - وهو مبلغ ٣,٥٠٠ دولار أمريكى ، فلم نستطع القيام بهذا العمل .

على أية حال فإن طلاب الجامعة - وكذا المدرسة - يقيمون إقامة كاملة ، السكن والطعام ، وبعد انتهاء الدرس كنا نتناول مع المفتى طعام الغداء فى مطعم الطلاب ، ثم نصلى العصر جماعة فى مصلى الجامعة ، بعدها أعود إلى مسكنى بواسطة القطار (المترو) القريب جداً من مقر الإدارة .

٣- وهناك مفاوضات بين الإدارة وبين السفارة المصرية كى يتسلم الأزهر الجامعة الإسلامية التابعة الآن للإدارة الدينية بعد إعداد المبانى الجديدة أو على الأقل إشراف الأزهر على الجامعة ، وقد ذُكر لى أن ملف الجامعة الآن يدرس فى الأزهر لبحث آليات التعاون ومد يد العون ، وإن كان بعض العرب يرى أن الإدارة الدينية سوف تتمسك بإشرافها الكامل على الجامعة .

الهواجس والتخوفات : يسيطر هاجُس مهم واضح على الإدارة الدينية وهو الخوف من الاستيعاب والاستقطاب ، وهو ما يجعل القوم هناك على حذر شديد من الآخر ، أى آخر ، ومن القادم الوافد إليهم ، أيا كان توجهه وانتماؤه وخاصة إن كان من العرب ، وبشكل أخص أن رأس الإدارة الدينية من العرب أيضاً ، المفتى وشقيقه ، وهو ما يحتاج إلى وقفة وتأمل .

على أية حال فإن الإدارة الدينية لا تقبل كتباً أو مطبوعات ، من أية جهة إلا بعد تدقيق وتمحيص ، فقد حملت إليهم عدداً من المصاحف هدية فقبلوها شاكرين ، وعندما عرضت عليهم كتباً رفضوا ، ربما لأنهم يخشون أن تكون جزءاً من دعاية لفكر ما ، أو لانتماء ما .

إن هذا يذكر بموقف أحد مدرسى العرب من بنى جلدتنا الذى لا يحب على الإطلاق أن يهديه أحد كتباً لقسمه أو جامعته ، إنه يرى المال أهم من ذلك كله ، فقد رأيت العرب هناك – إلا من عصم ربى – لا يهتمون كثيراً بالكتب ولا بقراءتها أو اقتنائها ، ومنها بالطبع الكتب العربية ، أو بشكل أخص الكتب العربية .

العرب والإدارة الدينية : فى أول لقاء لى مع المفتى سألته عن العرب ؟ فذكر أنهم فى الأغلب الأعم صورة ليست طيبة عن الإسلام ، وقص علىّ بعض الأمثلة والحكايات :

١- جاء بعض الشباب إلى أكرانيا فتعرف على إحدى الأكرانيات التى ساعدته فى الإقامة والعمل ، وبشكل عام ترتيب أموره بشكل قانونى فى بلدها وفى النهاية تزوجها ، وبمرور الوقت وقع فى غرام شقيقتها ، وضبط متلبساً فى حجرة نومها .

٢- وذات القصة تكررت مع شاب آخر تزوج بامرأة أكرانية ، وبعد ثلاثة أيام فقط ذاب كأنه فص ملح ، دون أن تعرف زوجته شيئاً عنه .

٣- وأضيف إلى ما قال المفتى أن معظم العرب فى أكرانيا لا يختلفون كثيراً عن باقى الشعب الأكرانى [1]، صورتهم فى أذهان الناس ليست على ما يرام ، وكنت أظن أن الدعاية المعادية هى التى تشيع عن العرب ظلماً وعدواناً ، ولكن واقع القوم هناك غير مرضٍ ولا يسر الحبيب ، فقد عرف المجتمع الأكرانى بعض الجرائم التى ارتكبها العرب ، فأحد الشباب العرب قتل حماته وامها ، وكان له أمل كبير فى البراءة من هاتين الجريمتين .

---

(١) فى التدخين والشرب ... إلخ وبسائر الرذائل عند غير المسلمين .

أما الفتيات العربيات – إلا من عصم الله – فحدث ولا حرج ، تبرج فاضح يفوق الأكرانيات ، تدخين ، شرب ... إلخ .

هذا عن رأى المفتى فى العرب ، فما رأى العرب فى المفتى ؟ إنهم يأخذون على الرجل مايلى :

١- اتصل قسم اللغة العربية بجامعة كييف بالمفتى طالبا معاونته ، ولكنه رفض أى شكل من أشكال التعاون أو المعاونة ، كما طلب من الشيخ إلقاء محاضرات على طلاب القسم ، ولكنه رفض إلا أن يسلموا ، وكان الشباب العرب من مدرسى القسم مؤملين كثيرا على الرجل .

٢- يقرب المفتى غير العرب ، سيما من وسط آسيا ، ولذا فإن عدد العرب الذين يصلون خلف الشيخ فى الجمعة قليل جدا قياسا بغيرهم .

٣- يرى بعض العرب أن هذا التباعد المتعمد يرجع إلى أن العرب يفهمون كل شىء ، ويمكن أن يسألوا المفتى عن الدليل لأى رأى أو شىء يقوله المفتى فالعرب يفهمون كثيرا جدا ، ويعرفون ما لا يعرفه غير العرب .

٤- عاش المفتى من عمره ٢٣ سنة فى أكرانيا ، فأين تعلم وأين درس ؟ إن الطالب يبقى سنوات طويلات يتعلم فى الأزهر أو فى الحوزة العلمية حتى يتخرج عالما فى الدين ، ولكن الرجل ذكر لى أنه درس فى لبنان وفى اكرانيا، كما أنه برغم هذا يجتهد ويحاول ويقرأ ، كما أنه يجيد اللغة الروسية إجادة تامة .

٥- هناك تباطؤ ملحوظ فى بناء المسجد للإفادة من أكبر قدر من التبرعات [1] .

---

(١) ذكر لى بعض العرب أن أحد المشرفين على بناء المسجد اختفى مع ثمانية آلاف دولار من أموال المسجد ، وهذا من الصعب تصديقه .

٦- يشكو بعض العرب من المبالغ الكبيرة التى تحصلها الإدارة الدينية ، فى عقد الزواج [١] - مثلاً - وبالدولار الأمريكى ، واشتراط إسلام العروس أو إشهار إسلامها على الأقل ، وكذا ارتفاع أثمان المطبوعات التى تبيعها الإدارة.

٧- ترويج مطبوعات جمعية المشاريع الخيرية فى لبنان والتى ظهرت بإمكانيات ضخمة ، لا نظير لها ، ولا سابق فى هذا البلد ، وفى حوار بين اثنين من الشباب العرب ذكر أحدهم أن الجمعية المذكورة تخص الأحباش؟ أى أحباش تقصد ؟ قال محدثنا : (أتباع الشيخ عبد الله الهررى الحبشى فله اتباع فى الحبشة ولبنان) .

وكانت هذه أول مرة أسمع بهذه التسمية ، وأن هناك بحثاً أعده الأزهر حول هؤلاء الأحباش ، وكتبت عنهم بعض الصحف والمجلات ، ولكنى لم يصلنى منها شىء ، خصوصاً ما كتبه الأزهر .

كما قيل لى بأن الشيخ نزار حلبى نائب رئيس الجمعية اغتيل فى بيروت منذ سنوات ، وهو ما سمعته بعد ذلك من وسائل الإعلام .

أما الشيخ الحبشى فندع إحدى مجلات المشاريع الخيرية تصفه - نقلاً عن مفتى محافظة الرقة السورية - بما يلى : بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) [٢] ومن علماء عصرنا هذا الفقيه المحدث الشيخ ... حفظه الله ورعاه ، هو قائم على حماية العقيدة السنية ، والذب عن حياض الشريعة الإسلامية ... وهو من أهل السنة والجماعة ، أشعرى العقيدة ، شافعى المذهب ، رفاعى المشرب ، قد

---

(١) وكذلك باقى الخدمات التى تؤديها للمسلمين والعرب .

(٢) ٦٢ يونس .

سلك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومحاربة أهل الضلال مسلك أعلام الأمة الإسلامية كالأئمة الأربعة – مالك والشافعى وأبو حنيفة وابن حنبل – وغيرهم، وكتبه تراث عظيم لحاضر أجيال الأمة ومستقبلها .

وأهل الخير والفضل من الأولياء والعلماء والمفتين والصالحين يحبونه ويشهدون له بأنه لسان المتكلمين ، وعمدة المفتين وصدر العلماء العاملين، وأنه جبل راسخ فى العقيدة والفقه والحديث ، فأهل السنة والجماعة أحبابه وأعوانه وأهل الفتنة والضلالة والزيغ والغواية أعداؤه ، فحاله يذكرنا بأبطال الأمة كالإمام أبى الحسن الأشعرى والسلطان صلاح الدين الأيوبى ، وهو فى ذلك خليفة المحدث الأكبر بدر الدين الحسينى ، رحمه الله [1] .

انتهى ما ذكرته المجلة حول الشيخ الحبشى ، نعود بعدها إلى الحديث عن الإدارة الدينية ، فقد ذكرنا ما قال العرب فى المفتى ، ورأى الأخير فى بنى قومه الذين يعيشون فى أكرانيا لنذكر ملاحظاتنا حول الفريقين ، فنقول :

أولاً – لا شك أن كثيراً من العرب فى أكرانيا – كما يقول المفتى – صورة مشوهة للعرب والمسلمين ، ولكن الرجل يبالغ فى التوجس والحذر ويتخوف من الاستقطاب ، ولذا تجد بعض الشباب العرب يستأجر صالة للجُمَع وصلاة العيدين ، ولا يصلى مع المفتى .

ثانياً : أن المفتى وإن كان لم يتلق تعليماً دينياً فى العالم العربى إلا أنه خطيب مفوه ، عربيته لا بأس بها ، خطبة متوازنة متحفظة ومؤثرة ، ولديه معلومات لا بأس بها ، فى علوم الدين ، كما أن له مواقف شجاعة فى بعض خطبه ، ففى إحدى الجمع شجب عدوان الأمريكان والبريطان على شعب العراق .

---

(١) مجلة منار الهدى ، العدد ٦٩ ، بيروت ، سبتمبر ١٩٩٨م .

ولكن يلاحظ أنه فى مطبوعات الإدارة الدينية هجوم واضح وملح على (الوهابية – الإخوان المسلمين – الجماعة الإسلامية) وبشكل أكثر إلحاحاً على (سيد قطب – أبى الأعلى المودودى – محمد بن عبد الوهاب) ففى أول جلسة لى مع المفتى فى دارنتسا ذكر لى ما يلى :

١- كتاب عن الصلاة مطبوع فى باكستان بالروسية ، جاء فيه – كما ترجم لى: (إذا كانت الدولة ليس فيها خواص الدولة الإسلامية ، من دستور وقوانين وحكام فليست دولتك ، والتزامك بقوانينها يعتبر عبودية لغير الله).

٢- كما حدثنى عن كتاب فتحى يكن (الإسلام فكر وحركة وانقلاب) معلقاً بأن هذه الكتب لا تساعد الدعاة فى عملهم هنا فى أكرانيا ، كما أشار إلى كتاب للحركة الوهابية مطبوع فى الداغستان ، يحرم قراءة القرآن على الأموات ، كما يعتبر من يتوسل بالرسول ﷺ مشركاً ، وختم بأن بعض هذه الكتب التى تروج بين المسلمين صادرة عن القاديانية .

٣- على أن أخطر القضايا التى شرحها لى هى ترجمات القرآن الكريم إلى الروسية ، باعتباره متقناً للروسية ، هذه المشكلة لا تخص الترجمة الروسية فقط ، ولكننا نجدها كذلك فى كل ترجمات القرآن الكريم ، ولذا نادينا فى أحد كتبنا بمراجعة أية ترجمة من قبل لجنة موسعة ، وكأننا نراجع طبعة من طبعات الكتاب الكريم ، فإن هذه الترجمة ينظر إليها من قبل قارئها والمطلع عليها وكأنها النص القرآنى ، ولكن فى لغة غير العربية .

على أية حال فإن الهجوم على الوهابية والإخوان والمسلمين والجماعة الإسلامية لا يقتصر على مطبوعات الإدارة ، بل نجده أيضاً فى بعض

مطبوعات جمعية المشاريع الخيرية فى لبنان وهذان مثالان نسوقهما من مجلة منار الهدى [1] :

١- جاء تحت عنوان [2] (مقتل مفتى داغستان وشقيقه على يد الوهابيين) قتل مفتى داغستان محمد سعيد أبو بكروف وأخوه فى انفجار عبوة ناسفة فى العاصمة الداغستانية " محج قلعة " ونقلت وكالة الأنباء الروسية عن وزارة الداخلية فى الجمهورية القوقازية أن المفتى وأخاه كانا فى سيارتهما لحظة وقوع الانفجار ، وكان الرجل معروفاً بمواقفه المنتقده للوهابيين فى الداغستان، حيث اتهمهم بالانحراف العقائدى ، ووصفهم بالمخربين .

يذكر أن عدة حوادث تورط فيها الوهابيون وقعت مؤخراً فى الداغستان ، الواقعة على حدود الشيشان ، كما اتخذ الرئيس الشيشانى أصلان مسخدوف عدة إجراءات ضد الوهابيين المشتبه فى تورطهم فى محاولة اغتياله ، وافتعال اشتباكات مع القوات الحكومية .

مفتى موسكو وصف الحادث بأنه مأساة لروسيا كلها ، وأنه بعد تجرؤ الإرهابيين على استهداف هذه الشخصية الدينية ، رفيعة المستوى ، فإن الوضع فى الداغستان بات متوتراً جداً .

٢- فى نفس العدد من المجلة [3] مقال مسهب من صفحتين من إعداد الشيخ عبد القادر فاكهانى ، بعنوان : (أبو الأعلى المودودى ، تحريفاته وعلاقته بسيد قطب) ونكتفى هنا باقتباسين فقط :

---

(١) العدد ٦٩ .

(٢) ص ٩ .

(٣) ص ٢٢ ، ٢٣ .

أ - المودودى يتهم النبى بالتقصير فى أداء مهام النبوة ، زعم المـــودودى أن النبى ترك العمل بقاعدة العدل بين الناس ، وقاعدة أنه لا فضـــل لعربـــى على عجمى إلا بالتقوى .

ب- مع قرب انتهاء القرن العشرين الذى كان حافلاً بـــالأحداث والمتغـــيرات العالمية وبروز جماعات وتنظيمات كثيرة باسم الدين ، وأســـماء رجـــال اشتهروا بالتأليف والكتابة أو بالحركة والنشاط ، فاعبتروا من غير وجـــه حق رواد إصلاح وقادة للصحوة الإسلامية ، نرى أنه من المناسب جداً أن نسلط الضوء على وقائع وحقائق تخفى على الكثير من الناس .

إن العبرة عند الله باتباع الشرع ، وليس بكثرة الألقاب والاشتهار فـــى وسائل الإعلام ، والتنطع فى المنتديات والمؤتمرات مع التســـتر زوراً بســـتار الإصلاح .

وقد ارتأينا أن نبدأ باختيار شخصية نالت شهرة كبرى ، تركت غـــير علامة استفهام وتعجب ، إنها شخصية أبى الأعلى المودودى ، مؤســـس مـــا يسمى بالجماعة الإسلامية فى الهند ، والذى يلتقى فى كثير من أفكاره مع سـيد قطب ، زعيم الحزب المسمى بحزب " الإخوان المسلمين " وكلا الرجلين يشكل رمزاً ومرجعاً عند أهل التطرف فى هذا العصر ، وتعد كتبهما دســتوراً عنـــد هؤلاء ، لا يستحون من الجهر به ، والتفاخر باتباعه .

انتهى ما قبسناه عن مجلة منار الهدى التى تصدر عن جمعية المشاريع الخيرية ، وهو شىء قد يكون له مبرراته ، وأوجه للدفاع عنه ، لكن المصيبـــة الكبرى ، التى تقصم الظهر هو استغلال منبر الجمعة للهجوم والدعايـــة ضـــد شخصيات قد أفضت إلى ربها ، وتحظى باحترام كبير من جانب كثـــير مـــن المسلمين ، والحق أن المفتى نفسه لم يتطرق فى أية خطبة سمعتها إلـــى هـــذا المزلق الخطير ، بل كان شقيقه الشيخ وليد فارس هذا الهجوم :

١- ففى خطبة ٦ / ١١ / ١٩٩٨ هاجم الشيخ وليد من سماه (فيصل مولوى) لأنه ينتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين ، وهى - كما يرى - جماعة متطرفة ، لماذا ؟ لأن هذا الرجل أفتى بأن من سب الله ورسله يمكن أن يتوب ويقلع عن هذه المعصية ، وذكر الشيخ وليد بأن هذا الرجل جاء إلى أكرانيا عدة مرات .

٢- إلا أن إحدى الخطب قد خصصها الشيخ وليد - بتاريخ ٢١ / ٥ / ١٩٩٩ - كما نص هونفسه فى بداية الخطبة للهجوم على الوهابيين ، وعلى الإخوان المسلمين ، خاصة سيد قطب ، مفصلا :

أ - الوهابيون : وهم اتباع محمد بن عبد الوهاب ، الذى كفر الصحابة ووقع فى التشبيه [١] ، وهم يحاولون نشر أفكارهم بين المسلمين واستشهد على هذا بأحد الشباب فى داغستان الذى تشرب الوهابية من أحد شيوخه فى داغستان ، وقد انتهى به الحال إلى قتل والديه ؛ لأنه اعتقد أنهما كافرين ؛ بسبب احتفالهما بمولد الرسول ﷺ وقراءة القرآن على روح أبويهما .

ب- الإخوان المسلمون : وقد حملهم تبعة ما يحدث فى الجزائر ، مشددا على أنهم يذبحون النساء والأطفال والشيوخ ... إلخ .

صفوة القول فى شأن الإدارة الدينية - ورئيسها الشيخ أحمد تميم وشقيقه الشيخ وليد - قد قاما بإنجازات مهمة لصالح المسلمين ، مع ما يظهر من توجس وخوف شديد من العرب ، ومن الاستقطاب ، وأهم من ذلك كله الهجوم الدعائى ضد بعض الرموز الإسلامية ، محمد بن عبد الوهاب

---

(١) أى تشبيه الخالق بالمخاليق والمخلوقين .

وأبى الأعلى المودودى ، وسيد قطب ، أو الوهابيين والجماعة الإسلامية أو الإخوان المسلمين .

هذا الهجوم الضارى قد يؤدى إلى نتيجة معاكسة تماماً ، فقد يدفع إلى الإعجاب بهذه الشخصيات وما تدعو له ، فقد دفعنى كثرة الهجوم على الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى التفكير جدياً فى دراسة هذه الشخصية والتعرف على أفكارها ، فقد أحسست بأن ماقيل فى حقه ظلم وتجاوز ، أو على الأقل مبالغات مقصودة مبيتة .

ومن ناحية أخرى فإن المسلم الروسى لا يعرف شيئاً عن هذه الأشياء ولا يصح أن نورطه فى سماع أشياء هى بالتوكيد لا تنفعه ، ولا يضرُ جهلها ونحن نذهب للصلاة طاعة لله ، نريد ما يحثنا على هذه الطاعة ، لا أن تتحول الجمعة وخطبتها إلى مجلس نميمة وقدح ، واتهام من أفضوا إلى ربهم بما لم يحدث ، أو لم يروه ، هذا رأينا نقوله مخلصين النصح ، وإن كان الأمر بحاجة إلى فتوى شرعية فى خطبة كالتى حكيت عنها ، والله من وراء القصد .

الشخصية الأوربية والموقف من الإسلام :

قبل أن نتحدث عن موقف الشخصية الأوربية من الإسلام ، نتحدث عن بعض ملامح هذه الشخصية ، كما لمستها بنفسى ، فى هذى الشهور التى قضيتها فى أكرانيا ، على اعتبار أن هذا البلد – جغرافياً – جزء من القارة الأوربية ، وكما تعاملت مع الأوربيين الذين لقيتهم هنا ، نساء ورجالاً :

١- الشخصية الأوربية لا تؤمن بالآخرة وما وراءها ، وما يتبعها ، ولذا فإن مبدأ اقتناص المتع والفرص فى الدنيا يبدو منطقياً وطبيعياً ، إن إقبال الناس هناك على الملذات والنزعة الفردية الأنانية لديهم بسبب المعاناة التاريخية والطبقية التى قاسوا منها طوال التاريخ ، وتسخير الفقراء

والضعفاء لصالح الأغنياء والأقوياء ، على عكس ما كان فى العالم العربى والإسلامى ، حيث عاش الجميع - بشكل أو بآخر - فى كنف الترابط الأسرى والمجتمع المتآزر ، مما جعل الجميع يحس بالروابط المختلفة بعيداً عن الفردية والانعزالية ، وشدة الأنانية .

٢- وقد أضيف إلى ما سبق انهيار الأسرة ، وهو أساس كل بلية وفساد فى المجتمع الأوربى ، مما أدى إلى عدم الرضوخ لرب الأسرة أو تقاليدها، أو زعامة القبيلة ، أو الملك ... إلخ .

إن هذا الزمان الذى يقلو الرجل - وكذا المرأة - الأب والأخ ويقرب الصاحب ، وهو ما يحدث الآن ، تماماً تماماً ، وعندما تنهار الأسرة يصبح الولد والبنت فريسة سهلة لأى إنسان ، ويكون الخدن ضرورة ، لا بديل عنها ، ولا محيص ، لملء هذا الفراغ الذى تركته الأسرة ، والأب والأم على وجه الخصوص.

وبعبارة أخرى فإن انهيار الأسرة يجعل الإنسان - رجلاً أو امرأة - تواقاً للحديث والتعامل مع أى إنسان آخر ، مهما كان غريباً عنه ، فإن الغربة تجمع بين الناس ، ولذا لا فرق بين هذا وذاك ، أو هذه وتلك ، بل إن لم يجد إنساناً - وفى بعض الأحيان لا يجد - فإنه يلجأ إلى الحيوان ، لا سيما الكلاب والقطط [1] ، وربما غيرهما من أنواع الحيوان ، أو الطيور .

وانفصام الأبناء عن آبائهم يحرمهم من صحبة يستفيد منها كلا الطرفين ، خاصة الأبناء ، ومن هنا كانت النصيحة الغالية للأب :

- لاعب ابنك سبعاً .

---

(١) قال رسول الله ﷺ : (يأتى على الناس زمان لأن يربى أحدكم جرو كلب خير له من أن يربى ولداً) رواه الديلمى عن أنس .

- وأدبه سبعاً .
- وصاحبه سبعاً .
- ثم ألق حبله على غاربه .

فى الفترة الأولى إلى سن السابعة ملاعبة ومداعبة ، بعد السابعة إلى الرابعة عشرة تأديب وتثقيف ، من الرابعة عشرة إلى الحادية والعشرين مصاحبة ومؤاخاة ، بعد الواحدة والعشرين يلقى حبله على غاربه ، يترك لحال سبيله ، فقد استوى على سوقه ، وعجم عوده ، ويستطيع أن يشق طريقه بسهولة .

وقد أثبتت التجارب أن أشياء كثيرة فى الحياة لا تتعلم إلا بالمصاحبة والاقتداء وليس بالتلقين والسماع ، إن هذه المصاحبة لأبنائنا ، خاصة من فترة المراهقة والنمو الجسمانى والخلقى ، هى مسألة مهمة جداً لنضج أبنائنا وتربيتهم بطريقة صحيحة ، كما نحب ونود .

٣- الشخصية الأوربية تعيش لحظتها وواقعها فقط ، دون ما وراءهما ، فالناس يهتمون بما ومن أمامهم ومعهم فقط ، وإن غاب عنهم لا يذكرونه ، ولا يتفاعلون مع من يذكره باستثناء الأخدان ، فإنه محور الحديث للبنت أو الولد ، ومصدر فخر لا ينتهى .

إحدى المدرسات الأوربيات بعد أن تركت السكن معنا وعادت إلى بلدها كتبت بعض الرسائل إلى زملاء السكن ، فى كل رسائلها تركيز على الخدن Boyfriend ولا شىء عن الأم والأب ، وهما على قيد الحياة ، وكذا عن زميلة حجرتها التى كانت معها فى أكرانيا ، وهذا مثال من الخطاب الأول فى صدارته : (وصلت إلى مدينتى يوم الأحد ، حوالى منتصف الليل ، وكان خدنى My Boyfriend فى انتظارى ، قد أحضر معه زجاجة صغيرة من الخمر شربناها على رصيف القطار) ويلاحظ أنها لم تقل كان فى انتظارى

أبى وأمى ، أو أحد من أسرتى ، كما هى العادة عندنا فى العالم العربـــى ، أو العالم الإسلامى.

على أية حال فإننا نعطى بعضاً من تفكير الأوربيين الذين التقيتهم فـــى السكن :

١- فى حين كانت تستعر الحرب فى البلقان بين حلف شمال الأطلسى وبيـــن الصرب بسبب أزمة كوسوفو ، وتنذر بعواقب لا يعلم إلا الله مداها - فـــى مايو ١٩٩٩ - فإن أحد الفرنسيين يناقشنى فى اهتمام وعجـــب عجـــاب : كيف يعامل بعض الآباء فى أوربة بناتهم ؟ كيف وما الخطب يا فرنســـى ؟ قال : يجبرونهم على ترك الدراسة والزواج ، وبعضهم تشغله قضايا مهمة جداً ؟ لماذا يكون الطلاق بيد الرجل ؟ ولماذا تعدد الزوجات إلى أربع ؟

٢- وعلى ذكر كوسوفو لقد كان الرأى العام فى أوربة يؤيد الصـــرب بشـــكل قاطع ، سواء فى شرق القارة أو غربها ، حتى فى أكرانيا نفسها ، وعندمـــا بدأ الحلف ضرباته الجوية على الصرب كان الرأى العام الأوربـــى غـــير مؤيد لهذه الضربات ، وكان يعجب من هذا القرار غير المبرر من وجهـــة نظره ، أما ما ارتكبه الصرب فى يوغسلافيا السابقة ضد المســـلمين فـــى البوسنة وكوسوفو فهو مما لا يستحق الذكر أو الإشارة .

وأهم من هذى القضايا كلها هذا الأب الذى يرغم ابنته علـــى الـــزواج ويحرمها من دراستها ، أو الطلاق عندنا وتعدد الزوجات ، كما حكى لى بعض الأوربيين ، فهذى نماذج لتفكير بعض ممن لقيت من القوم .

لديهم ازدواجية واضحة ، عندما يعتدى على المسلمين ، هذا شـــىء لا يستحق الالتفات ، لكن عندما يعتدى على غير المسلمين فإن المســـألة تختلـــف ويعجب الناس هناك للمعتدى ، كيف يعتدى ؟ ويقفـــون مـــع المعتـــدى عليـــه المظلوم .

وأرى أن القارة الأوربية لها موقف مختلف من الإسلام ، لا يشبه غيرها من القارات أو الأمم والشعوب ، وأرى أن هذا الموقف له أسبابه :

١- منها هذا التاريخ الدامي للحروب بين القارة وبين المسلمين بدءاً من الأندلس حتى تسليم غرناطة [1] وبعدها ، ثم الحروب الصليبية والحملات على العرب وغيرهم من المسلمين ، ثم الحروب الطاحنة مع الدولة العثمانية .

٢- إننا يجب أن نصارح أنفسنا أن بعض العرب والمسلمين ليسوا قدوة طيبة ولا صورة مشرفة للعروبة والإسلام ، وفى أحسن الأحوال لا يقومون بواجبهم فى الدعوة إلى قضاياهم ، أو يقوم بعضهم بالدعوة بطريقة غير صحيحة ، غير قادرين على مخاطبة غيرهم بالخطاب المناسب المقنع .

٣- إن الشخصية الأوربية لا سيما فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوربة قد عانت على مر التاريخ من الغزوات والغزاة من خارج بلادهم ، والاستبداد والقهر من الداخل ، ولذا فإن اقتناص المتع الحسية والملذات فى هذه الحياة الدنيا - حيث لا إيمان بالآخرة - يصبح الهدف الأول والأخير هو الاستمتاع والمتعة ما وجدوا إلى هذا سبيلا .

٤- **إن الإسلام يحرمهم من المتع الآتية :**

- الخمر .
- أكل لحم الخنزير .
- مخالطة الكلاب أو مصاحبتها .

---

(١) آخر المعاقل الإسلامية فى الأندلس والتى سلمها آخر الحكام عليها محمد الصغير - فى ٢ / ١ / ١٤٩٢ م إلى فرناندو وإيزبيلا ، لم تسقط غرناطة بعد حرب ، وإنما سلمت تسليماً ، كما يفعل الجبناء والخونة فى كل آن وزمان .

- التعامل الحر المتحرر مع المرأة ، واستمتاع الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل ، حلالا كان أو حراما .

والمرأة على وجه الخصوص ترى أن الإسلام سوف يحرمها من :

-الحرية المطلقة فى الملبس والاختلاط ، وهى متع لا تستطيع الاستغناء عنها.

- الانفراد بالزوج إلى أن يأتى الموت ، بلا طلاق أو تعدد للزوجات .

إذن الإسلام فيه ضوابط وقيود ، والشخصية الأوربية قد أدمنت الحرية بلا حدود ، ولا سدود ، ولا قيود ، وبطبيعة الحال كل هذه الحدود لصالح الإنسان نفسه ، لصالح المخلوق ، وليس الخالق ، جل وعلا .

إذن فالانتقال إلى الإسلام مكلف ، ذو أعباء وتبعات تتأباها الشخصية الأوربية ، أما الأديان الأخرى فلا شىء يذكر ، ولا تغير فى سلوك الفرد أو أخلاقياته ، إذ ستبقى الخمر ولحم الخنزير ومخالطة الكلاب ، والسفور والاختلاط ، ولا طلاق ، ولا تعدد لزوجات ، لا صوم ولا صلاة ولا حج ... إلخ ، مجرد أن يعلن أنه ... فقد انتهت المسألة ، يضع الصليب ، يذهب إلى الكنيسة فى الآحاد ، يوقر رجال الدين ... إلخ ، طقوس ربما لا تكلف شيئا يذكر ولا مشقة من أى نوع .

وبرغم ذلك كله يدخل الناس فى دين الله ، وإن لم تكن أفواجا أفواجا كما جاء فى سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) منهم أساتذة جامعات وطلاب ، وعمال وأناس من مختلف فئات المجتمع ، وسنثبت فى الملاحق حوارا مع أحد الطلاب الأكراد الذى أشهر إسلامه فى القاهرة ، فى رحاب الأزهر الشريف [1] ؛ حتى تكتمل الصورة .

---

(١) بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٩٩ .

وبعض الناس فى أكرانيا ما يزال يبحث عن طريق إلى النور والـهدى وإن كان لما يسلم بعد ، فأحد موظفى شركة من الشركات – مثلاً – كان يبحث فى الأديان ، ويرى الإسلام أقربها إلى الاعتدال ، ويتمنى أن يحكم الإسلام بلاده ، ويبحث عن وسيلة لتعلم العربية ليفهم الإسلام ، ويقرأ القرآن ، ويحتفظ معه بورقة مكتوب عليها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

والحقيقة أنه ليس هذا الرجل وحده هو الذى يفكر فى تعلم العربية لـهذا الغرض ، فكل من دخل الإسلام يتجه مباشرة إلى تعلم العربيـة ، وهو ما يفرض علينا – نحن العرب – أن نقوم بواجبنا تجاه هؤلاء القوم بإعطائهم الفرصة لتعلم العربية ، بشكل أيسر وأسهل وأسرع .

ولكن ينبغى لنا أن لا ننسى أن هذا العصر خاصة فى أوربة هو عصر الفرد ، الذى لا يصنع شيئاً ، ولا يقدم على شىء إلا إذا كان مقتنعاً أن هذا فى صالحه هو ، دون غيره ، ففى السابق إذا أسلم الملك أسلمت بعده الرعيـة ، أو الجزء الأكبر منها ، وكذلك زعيم القبيلة ، وكبير الأسرة أو عظيمها .

والحل هو التركيز على الشخصيات التى ينبهر لها الناس ، والشـباب خاصة ، مثل الرياضيين ، والمشهورين بشكل عام .

فالآن يدخل فى الإسلام أفراد فقط ، لا سلطان لهم على غيرهم ، ومن هنا فإن عدد الداخلين فى الإسلام ليسوا بالأعداد التى كانت قبلاً .

كما أن التركيز يجب أن ينكب على قلب العالم الإسلامى فـى ديـار العـرب ، وهـم قـاطرة الإسـلام ، كمـا ذكـر العلامـة آدم عبـد الله الإلورى [1] (ت ١٩٩٢ م) فإن كثيراً من المسلمين – خاصـة فـى أوربـة والاتحاد السوفيتى السابق – هم منصهرون تماماً تماما فـى مجتمعاتهم ، لا

---

(١) أحد علماء نيجيريا الذى كتّب العديد من كتبه بلسان العرب ، نشر كثير منها فى مصر.

يتميزون عن غيرهم فى أى شىء ، اللهم إلا فى الاسم وبعض المشاعر فالواقع هناك ثقيل الوطأة، تصعب مقاومته ، والتصدى له ، ومن ثم تجد القابض على شىء من دينه كالقابض على الجمر ، كل الجمر .

ولا ننسى أن نذكر هنا أن إشهار الإسلام [1] وحده ليس كافياً ، بل لابد من تعليم هؤلاء الناس - بطريق أو بآخر - شعائر دينهم ، وأن يكون لدى المسلمين مدارس ومؤسسات يتلقى فيها المسلمون الجدد ما ينقلهم من حياة إلى حياة أخرى ، كما يفعل المسلمون فى سنغافورة مثلاً ، وإلا فإننا لن نكسب شيئاً من انضمام هؤلاء الناس عدداً فقط إلينا ، فى حين هم لا يختلفون عن غيرهم فى مجتمعهم .

والمهم المهم على كل حال ، وفى جميع الأحوال الكم الكم ، وليس الكيف ، فإن المسلمين - الآن - عدداً هم فوق المليار ونصفه ، وهم دائماً فى ازدياد ، فالاحتياج الآن إلى الكيف ، وليس إلى الكم .

جمهورية أكرانيا :

أول شىء يطالعنا هنا معنى هذه الكلمة ، **أكرانيا** ؟ إنها تعنى الضواحى والأطراف البعيدة ، فقد كانت بالنسبة لروسيا القيصرية والاتحاد السوفيتى تقع فى أقصى الغرب من البلاد كلها ، أو فى أبعد نقطة من الإمبراطورية ، وكذلك بالنسبة لشرق القارة الأوربية تقع فى أقصى الشرق فى نقطة بعيدة جداً شرق القارة ، ولذا كانت هذه التسمية .

وبعد فترة طويلة من إقامتى فى هذا البلد ، وقراءة العديد من الكتب حول تاريخه وجغرافيته ، وأخذ ملاحظات ومعلومات من عدد لا

---

(١) ذكر لى مفتى أكرانيا - فى سبتمبر ١٩٩٨ - أن ستة آلاف أكرانى أشهروا إسلامهم منذ استقلال البلاد ، وانهيار الاتحاد السوفيتى فى بداية التسعينات .

يحصى من الناس ، من العرب ومن الأكراد ، ومن غيرهم أستطيع أن أقدم صورة مركزة أرجو أن تكون شافية عن هذا البلد ، ولكن ليس قبل أن نقدم ما قاله صامويل هنتنجتون صاحب الكتاب الشهير المثير للجدل (صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمى [1]) حيث أشار إلى :

١-إن جمهورية أكرانيا هى الأكثر سكانا ، والأكثر أهمية بين جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، كانت أكرانيا دولة مستقلة فى أوقات مختلفة من التاريخ ، إلا أنها خلال معظم الحقبة الحديثة كانت جزءا من كيان سياسى يحكم من موسكو .

وفى سنة ١٦٥٤ وقع الحدث الحاسم عندما وافق بغدان خميلينتسكى زعيم القوازق – فى ثورة ضد الحكم البولندى – على أن يؤدى يمين الولاء للقيصر مقابل مساعدته ضد البولنديين .

ومنذ ذلك الحين وحتى سنة ١٩٩١ ، باستثناء فترة قصيرة كانت فيها مستقلة ١٩١٧ – ١٩٢٠ ، فإن ما يعرف الآن باسم أكرانيا كان يحكم سياسيا من موسكو .

٢-وهذا هو الأهم ، إن أكرانيا بلد مصدوع ، كيف ؟ هو ذو ثقافتين مائزتين خط التقسيم الحضارى بين الغرب والأرثوذوكسية يمر عبر قلبها ، وكان كذلك لعدة قرون .

---

(١) ترجمه طلعت الشايب ، تقديم د. صلاح قنصوه ، وقد نشر بالقاهرة ١٩٨٨ ، انظر ٢٦٩ وما بعدها .

وفى بعض الأحيان كانت أكرانيا الغربية جزءاً من بولندة أو ليتوانيا أو الإمبراطورية النمساوية المجرية ، وكان قطاع كبير من سكانها يتبعون الكنيسة الشرقية التى تمارس الشعائر الأرثوذوكسية ، ولكنها تعترف بسلطة البابا .

من الناحية التاريخية كان سكان أكرانيا الغربية يتكلمون الأكرانية، كما كانوا قوميين متشددين فى أفكارهم وآرائهم ، وفى الناحية الأخرى كان شعب أكرانيا الشرقية فى أغلبية الساحقة من الأرثوذكس ، جزء كبير منهم يتكلمون الروسية ... الاختلافات بين أكرانيا الشرقية والغربية واضحة فى توجهات الشعبين .

وهناك احتمال وارد بشدة ، هو أن أكرانيا يمكن أن تنشق بطول خط التقسيم إلى كيانين منفصلين ، يندمج الشرقى منهما مع روسيا .

إن انتخاب ليونيد كوتشما [1] - ١٩٩٤ - الموالى لروسيا زاد من إمكانية انفصال الجزء الغربى من البلاد عن أكرانيا التى كانت تقترب من روسيا أكثر فأكثر ، بعض الروس قد يرحب بذلك ، يقول أحد الجنرالات : (أكرانيا - أو بالأحرى أكرانيا الشرقية - سوف تعود فى ظرف عشرين سنة على الأكثر ، ولتذهب أكرانيا الغربية إلى الجحيم) .

ولكن الاحتمال الأكبر أن تبقى أكرانيا متحدة ، إلا أنها تبقى مصدوعة تبقى مستقلة وتتعاون بشكل عام مع روسيا ، يقوى هذا التعاون ويعمل على استمراره عاملان مهمان ، هما الثقافة المشتركة بين الشعبين ، والعلاقات الشخصية الوثيقة .

---

(١) أعيد انتخابه رئيساً لأكرانيا ١٩٩٩م .

والآن بعد هذه المداخلة التى رأيناها ضرورية هنا نثبت ما جمعناه من معلومات ، وما تكون لدينا من آراء ورؤى لهذا البلد ، فنقول :

جغرافية البلد : تقع جمهورية أكرانيا فى مركز القارة الأوربية ، فقلب القارة يقع فى مدينة راخوفا ، محافظة كرباتى ، التى تقع غرب أكرانيا ، وهى منطقة جبلية .

وتمتد الأراضى الأكرانية من كرباتى غرباً إلى دُنِيسك فى أقصى الشرق ، ومن ساحل البحر الأسود إلى بحر الآزوف ، فى الجنوب الشرقى بمساحة ٦٠٣,٧ ألف كيلو متر مربع ، المساحة الكبرى من الشمال إلى الجنوب ، حوالى ٨٩٣ ك م ، ومن الشرق إلى الغرب ٣١٦ ك م ، وفى الجنوب تمتد جبال القرم - على حافتها بحر الآزوف والبحر الأسود - وفى الغرب جبال الكرباتى ، كما سبق.

يحد أكرانيا من الشمال روسيا البيضاء ، بحدود مشتركة تبلغ ٨٩١ كم ومن الناحية الشمالية الشرقية روسيا الاتحادية بطول ١٧٨٩ ك م ، ومن الشمال الغربى بولندة ٤٣٨ ك م ، ومن الغرب ملدوفيا ٩٠ ك م .

أكبر أنهار أكرانيا نهر الدنيبرو ، الذى يقسم العاصمة كييف ، كما يفعل نهر النيل فى القاهرة الكبرى ، أما المناخ فهو دفىء على ساحل البحر الأسود وفى القرم ، وكباقى دول أوربة الباردة الصاقعة - من الصقيع - فى الشمال .

أهم المدن بالإضافة إلى العاصمة خاركوف ودينبرو وبتروفسك وخرسون وشركاسى ودنسك ، ومن الموانى أودسا [1] وإسماعيل ، أو قلعة إسماعيل .

---

(١) وكانت تسمى قبل ذلك قلعة خوجه باشا .

سكان أكرانيا الآن حوالى ٥٦ مليون نسمة ، ٦٨% فى المدن ، ٣٢% فى الريف ، ٨٤ نسمة فى الكيلو متر المربع ، يعيش فى البلاد ١١٠ من الأجناس ، ٧٢,٧% أكران ، ٢٢.١% روس ، والباقى أجناس أخرى من (روسيا البيضاء - ملدوفيا - بولندة - هولندة - اليونان - بلغاريا - المجر - أرمينيا - ألمانيا) الألمان وحدهم ٥,٢% من السكان بالإضافة إلى يهود وعرب وجنسيات أخرى ، من آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية ، بقيت من عهد الاتحاد السوفيتى السابق .

عدد النساء يفوق الرجال بشكل شديد الوضوح فى أكرانيا ، متوسط عمر الرجل ٦٢ - ٦٦,١ ، والمرأة ٧٣ - ٧٥ سنة .

عدد كبير من الأكران يعيشون فى دول الاتحاد السوفيتى السابق وبعض الدول الأوربية حوالى ٧ مليون نسمة ، وكذا يعيش عدد من سكان الاتحاد الآن فى الديار الأكرانية .

وهناك جاليات أكرانية فى الخارج ، نصف مليون فى الولايات المتحدة ، استراليا وكندا مليون ، الأرجنتين ١/٤ مليون ، فلسطين المحتلة ٣٠٠ ألف .

وأكرانيا دولة زراعية من الطراز الأول ، وصناعية أيضاً ، بها معادن كثيرة ، مثل الحديد والمنجنيز والفحم والغاز الطبيعى ، والمياه المعدنية ، ويمد نهر الدنيبرو البلاد بكل ما تحتاجه من الطاقة الكهربية التى تعتمد عليها أكرانيا بشكل واضح كما ترى فى وسائل المواصلات التى تعتمد على الكهرباء، والتى لا تزال تعمل إلى الآن ، وخاصة فى العاصمة ، مثل الترام والحافلة الكهربية (الترولى باص) وكذا التدفئة والمواقد فى المنازل .... إلخ .

العاصمة كييف : عمر العاصمة الآن أكثر من ١٥٠٠ سنة ، أقدم من موسكو بكثير ، فعمر الأخيرة لا يزيد عن ٨٥٠ عاما ، قبل سنة ١١٤٧م حيث ورد أول ذكر لها فى سجل الحوادث [1] التاريخية .

وتحكى الأسطورة أن اسم كييف مكون من مقطعين اثنين (كى + يف) أى مدينة (كى) فهو مؤسسها ، ولكنى أرى أن الاسم مقتبس من التسمية العربية (الكيابة) .

وقد زرت المدينة القديمة ، أو أصل المدينة - كما قيل لى - وتجولنا فيها ، كما شاهدنا الكثير من معالمها مثل مقر وزارة الخارجية الأكرانية ومبنى البرلمان ، ومنزل الرئيس كوتشما قبل أن يترأس ، والقصر الجمهورى وإلى جواره حديقة متسعة ، وهناك جسر للمشاة تحته على مسافة بعيدة طريق مشقوق بين مرتفعين ، قال لى مرافقاى من طلابى : إن هذا الجسر يسمى جسر العشاق ؟ حيث ينتحر من فوقه كل من يفشل فى حبه ، وهذا من حسن التخلص ، نهاية تمثل قمة الفشل واليأس القاتل .

وفى العاصمة كييف انعقد مؤتمر الجاليات المسلمة الجمعة والسبت ١٧،١٦ / ١٠ / ١٩٩٨ م حضره بعض السفراء ورجال السلك الديبلوماسى والمسلمين فى أكرانيا ، منهم قنصل مصر ، وبعض الوفود من العالم العربى منهم فيصل مولوى نائب رئيس المحكمة اللبنانية ، وبطبيعة الحال لم يتطرق المؤتمر إلى قضية اللغة العربية إلا لماما .

وبمناسبة مرور خمسين سنة على إنشاء جامعة كييف الحكومية للغات أقيم مهرجان ضخم فى قصر الثقافة الأكرانى الذى يقع غير بعيد من مبانى الجامعة - فى ١٥ - ١٠ - ١٩٩٨ - دعى إليه أعداد غفيرة من الطلاب

---

(١) بيفانوف وفيدوسوف : تاريخ الاتحاد السوفيتى ، ص ٩٧ .

والمدرسين والمسئولين فى الجامعة ، ورجال السلك الدبلوماسى فى كييف وشخصيات عامة ... إلخ .

وقد بدأ الاحتفال بالسلام الجمهورى الأكرانى ، وكان مدير الجامعة أول المتحدثين ، فألقى كلمة باللغة الأكرانية رحب فيها بالحضور ، كان يقرأ من ورقة غير مرتجل ، مع بعض اللجلجة والتعتعة ، فقد تعود الناس قاطبة على اللغة الروسية ، وتمكنت منهم ، كما تحدث وزير التعليم - نائبا عن الرئيس - بالأكرانية ومن ورقة أيضا أشار إلى أن أكرانيا بلد متعدد الأعراق تتر وروس وعرب وكوريون وأفارقة ... إلخ ، ثم وزع نائب الرئيس بعض الجوائز على العاملين والمسئولين فى الجامعة ، وقدم سفير فرنسا كلمة بالفرنسية ، ترجمتها إحدى طالبات اللغة الفرنسية ، واختتم المهرجان ببعض الأغانى والرقصات الشعبية .

وآخر المناسبات التى نتذكرها عن العاصمة هو عيد كييف ، يختار له الأحد الأخير - وهو العطلة الأسبوعية هناك - من شهر مايو ، من كل عام حيث يتأكد الناس من رحيل الشتاء ببرده وصقيعه ، وبدء الدفء والربيع ، وقد سألنا : متى بدأ الاحتفال بهذا العيد ؟ فقال المستشرق ألكسندر بوجومولوف : فى بداية عصر السوفيت .

الاستقلال وانهيار الاتحاد السوفيتى : مما لا شك فيه أن انهيار الاتحاد السوفيتى فى اوائل التسعينات كان مفاجأة تامة لكثير من الناس فى العالم ، بل بعض من كان فى قلب الأحداث لم يك يتوقع النهاية بهذه السرعة قليل ممن كان فى قلب الأحداث الساخنة ممن أوتى بصيرة نافذة رآها النهاية المحتومة .

وقد عجبت لهذه المادة من الدستور السوفيتى ، رقم ١٣ التى تنص على الآتى (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية هو دولة اتحادية ، مبنية

على أساس الاتحاد الحر الاختيارى بين جمهوريات اشتراكية سوفيتية متساوية فى الحقوق) ثم نص الدستور على هذى الجمهوريات ناعتا كل واحدة بالاشتراكية السوفيتية ، خمس عشرة جمهورية ، هى : (روسيا الاتحادية - أكرانيا - روسيا البيضاء - أزبكستان - قازخستان - جورجيا - أذربيجان - لتوانيا - مولدافيا - لاتفيا - قرقيزيا - طاجكستان - أرمينيا - تركمانيا - استونيا) .

وقد فصلت المواد ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ من الدستور الجمهوريات والمناطق ذات الحكم الذاتى ، والتى وزعت على الجمهوريات الخمس عشرة ، كان لروسيا الاتحادية نصيب الأسد ، ففازت بحوالى عشرين جمهورية منها : جمهوريات داغستان وتتاريا والشيشان ، فضلا عن ست مقاطعات أخرى ، تتبع روسيا ، وإن تمتعت بحكم ذاتى .

وكأن روسيا كانت تتوقع دوما انفصال هذى الجمهوريات الخمس عشرة عنها ، ولذا ضمت إليها هذى الجمهوريات والمناطق ذات الحكم الذاتى وهى الآن تجاحش وتنافح بالحديد والنار كى لا تستقل واحدة من هذى الجمهوريات التى وضعت يدها عليها خاصة المسلمة منها ، وما حرب الشيشان - الأولى والثانية - منا ببعيدة ، وكذا الحرب ضد داغستان ، بل إن موسكو تأمل بقاء سيطرتها حتى على الجمهوريات التى استقلت عنها ، من خلال رابطة الدول المستقلة (الكومنولث) وغيرها .

والناظر إلى خريطة الاتحاد السوفيتى يروى بوضوح شديد أن مساحة روسيا الاتحادية تفوق باقى الجمهوريات الأربع عشرة ، بحيث إن خروجها عن تبعية روسيا لا يؤثر كثيرا ، فالمساحة الكلية للاتحاد = ٢٢,٤ مليون كيلو

متر مربع ، ومساحة روسيا الاتحادية وحدها ١٧,٦ مليون ك م تقريباً [1]، بنسبة ٩ : ١١ ، أى أكثر من ثلاثة أرباع المساحة الكلية لجمهوريات الاتحاد كلها وهكذا تفوز موسكو من وجود الاتحاد ، ولا تضار كثيراً بعد تفكيك الاتحاد واستقلال جمهورياته .

نعود مرة أخرى إلى الدستور السوفيتى لنراه منطقياً - وإن على الورق - فإذا كانت هذى الجمهوريات كلها قد انضمت طوعاً إلى موسكو، فإن العكس صحيح ومباح مباح ، ولذا تنص المادة ١٧ على أن (حق الخروج بحرية من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية مكفول لكل جمهورية اتحادية) .

وإذا كان هذا الحق مكفولاً لكل جمهورية فإن ما حدث فى بداية التسعينات لا يعد من الناحية النظرية خروجاً عن الدستور ، أو المألوف المتوقع ، ولكنه من ناحية أخرى يعتبر أهم أحداث القرن العشرين - فى رأيى - صحيح أن بعض الناس كانت تتوقع ما حدث ، إلا أن التوقيت فاجأ كثيراً من الناس ، فى الشرق والغرب .

وقد سألنا العديد ممن قابلناهم فى أكرانيا : كيف انهار الاتحاد ولماذا ؟ هل الأسباب خارجية بحتة ، أم داخلية محضة ؟ أم خليط بين هذا وبين ذاك ؟ فأفدت بما يلى :

١- لقد كانت دول كثيرة وقوى فى هذا العالم حريصة على تفكيك الاتحاد الغرب ، أمريكا ، ربما ربما ، ولكن العوامل الداخلية هى التى قطعت قول كل خطيب .

---

(١) بالتحديد ١٧,٥٧٥٤٠٠ ك م .

٢- كان يلسين يريد أن يكون الشخصية الأولى فى روسيا ففكك الاتحاد ، على أمل أن يعيده مرة أخرى بعد ذلك ، ولكن عقارب الساعة لا تعود إلى الوراء ، ولذا كان من اتهامات الدوما للرئيس يلسين : (تفكيك الاتحاد السوفيتى – حرب الشيشان – قصف البرلمان) ولكن الرجل بقى برغم ذلك كله ، وحارب الشيشان مرة أخرى ، وكأنه يعلى شعار (وداونى بالتى كانت هى الداء) .

٣- لقد كانت الحرب المريرة فى أفغانستان أحد الأسباب التى أنهكت الاتحاد وتسببت فى خرابه ، ولكن الروس لم يتعظوا ، وذهبوا بقضهم وقضيضهم ليلقوا بأنفسهم فى حروب لا تنتهى مع الشيشانيين [1] والدغستانيين ، وهو ما سوف يؤدى إلى الخراب والدمار ، تعانى البلاد ويقاسى العباد ، كل هذا خدمة لحفنة من المستغلين الذى يعيشون دوماً على دماء العباد ، وخراب البلاد ، المسلسل الدامى فى كل آن ، آوان ، وزمان ومكان .

٤- وهناك سبب أجمع عليه العديد ممن ناقشتهم فى المسألة – وكلهم عاشوا هذه الفترة التى انهار فيها الاتحاد وعايشوها – وهو أن البلاد تحولت من الانغلاق التام إلى الانفتاح التام ، انتقلت من النقيض إلى النقيض ، فانهار

---

(١) وإذا كانت حرب أفغانستان سبباً من أسباب انهيار الاتحاد السوفيتى ، فإن الحرب ضد الشيشان قد تكون سبباً فى انهيار روسيا الاتحادية ، ولم تك هذه الحرب لتبدأ إلا بعد التخلص من رئيس الوزراء السابق يفجينى بريماكوف ، المستشرق الكبير ، الأكرانى المولد ١٩٢٩م ، ولعل هذه كانت نقطة الخلاف التى حتمت إقالته ليأتى فلاديمير بوتين خليفة له ، يتحمس كثيراً لتسوية الجمهورية الشيشانية بالأرض ، برغم أنها تتمتع بحكم ذاتى ، ولله در الشاعر العربى الذى يقول :

لكل داء دواء يستطب به ❖ إلا الحماقة أعيت من يداويها

الاتحاد ، لأنه لا يصلح له أن يحكم إلا بهذه الطريقة ، ويكون الإصلاح خطوة خطوة ، حتى تنتهى إلى ما نروم من إصلاح كامل ، أو شبه كامل .

لقد كانت الدولة تسيطر على كل شىء وبقبضة من فولاذ ، حتى كشك تصليح الأحذية كان تابعاً للدولة ، يقف المواطن فى طابور ، يسلم حذاءه بإيصال ، ويعود لاستلامه بإيصال ، وفجأة انفتحت البلاد على مصراعيها فهربت السلع لتباع فى الخارج بأثمان باهظة ، واختفت من الأسواق ، التى بدأت تستورد سلعاً بديلة بأسعار السوق العالمية ، وعجز المواطن العادى عن شراء ضرورياته ، يقف فى طابور طويل ليحصل على شىء ، أى شىء من السلع الضرورية ، مثل الخبز ، السكر ، الأرز ... إلخ ، ليضيع الوقت بين طابور وآخر .

وكان على المواطن مهما كان مستواه ومنصبه أن يحتفظ معه بكيس كبير من البلاستيك ، فإذا وجد أى طابور حجز لنفسه مكاناً أولاً ، ثم سأل ما هو الشىء الذى يباع ؟ ولعل دوره يأتى فى الشراء ، ولكن البضاعة تكون نفدت ، ولا يجنى المواطن غير ضياع الوقت ونفاد الصبر ، وهو درس يجب أن تعيه القيادة ، على أى مستوى ، ولوعلى مستوى الأسرة ، فإن التضييق الشديد والكبت يؤديان إلى الانفجار الأكيد ، وأهم من ذلك كله أن لا نضيق فترة ، ثم نفتح الأبواب على مصاريعها ، فإن هذا يفسد الرعية ، ويفقد الراعى السيطرة على عجلة القيادة تماماً تماما .

وعندما انفتحت البلاد على المصارع ، نهبت الأموال وسربت إلى الخارج ، لدرجة أن أحد السفراء المصريين أعلن فى التليفزيون المصرى أن روسيا وحدها قد هرب منها فقط مبلغ بسيط جداً ومتواضع !! إنه بكل هدوء ٧٠٠ مليار دولار فقط ، يا إلهى !! ماذا بقى للناس ؟ لا شىء ، لا شىء .

وعندما يجوع الناس ويدهمهم الفقر ، تقتل في النفوس المروءة والضمائر فيباح كل شيء لقاء سد الجوع والمخمصة ، فيعم الفساد الناس ، كل الناس ، ولا سبيل إلى دفع شيء من هذا على الإطلاق .

على أية حال فإن أكرانيا مثلاً ، وبعد فترة طويلة من الاستقلال - في سنة ١٩٩٨م - سألنا أحد الأساتذة الجامعيين : ماذا أفدتم عن استقلال أكرانيا ؟ أجاب بمرارة واضحة : لم يحدث شيء ، اللهم إلا تغيير البرلمان ثلاث مرات اثنان من الرؤساء ، الأول كرافشوك ، والثاني الحالي ليونيدكوتشما ، ساءت الأحوال الاقتصادية ، الإنجاز الوحيد اعتراف بعض الدول الإسلامية والعربية ومعظم أوربة .

انتهى ما قاله الزميل الأكراني ، وأرى أن السوق الأكرانية قد توفر فيها كل شيء من السلع الضرورية والترفيهية ، ولكن ترك الناس لآليات السوق وأسعاره التي ربما لا يطيقها الناس ، أو جماهير الناس وفقراؤهم ، مع بقاء المرتبات على حالها ، خاصة في الحكومة والقطاع العام ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل ابتلي الناس بعدم انتظام المرتب ، الذي لا يسمن ، ولا يغني من جوع ، وكذا المعاشات الهزيلة القليلة ، وفي البلد الملايين[1] من هؤلاء الأشياخ والعجائز اللائي يلجأن ويلجئون للتسول ، أو التجارة في أي شيء .

وأكرانيا كغيرها من دول الاتحاد السوفيتي السابق ترى أن المخرج أن يهب الغرب لنجدتها تسديداً لفاتورة تفكيك الاتحاد ، الذي أفاد الغرب ، فقلص القوتين العظميين إلى قوة واحدة ، هي الولايات المتحدة الأمريكية .

---

(١) يقدر عدد أصحاب المعاشات (المتقاعدين) بحوالي ٢٥ مليوناً من السكان ، كل هذه المعاشات - كما قيل لي - لا تزيد عن ٦٠ جرفنة = ١٥ دولاراً في الشهر ، مهما كان المنصب والعمل السابق لصاحب المعاش .

وعندما احتدت أزمة كوسوفو فى نهاية مارس ١٩٩٩ نقلت وسائل الإعلام الأكرانية على لسان الرئيس كوتشما فى إحدى المؤتمرات التى انعقدت فى كييف بالحرف الواحد : (إن على الغرب أن يقدم مساعدات مالية للدول المجاورة ليوغسلافيا) هذا رأى القوم ، وأرى أن بلدا لا يمكن أن ينهض بمعونات ومساعدات من الخارج ، يجب أن يعتمد على سواعد أبنائه فى الوطن .

ونتساءل أيمكن أن يعود الاتحاد السوفيتى مرة أخرى ؟ يجيب عن هذا التساؤل رئيس البرلمان الأكرانى السابق بهذه المقولة المهمة : (من لم يحزن على انهيار الاتحاد السوفيتى فلا قلب له ، ومن ظن أن الاتحاد سوف يعود فلا عقل له) .

ونختم حديثنا بأن انهيار الاتحاد قد أدى إلى ظهور الشخصية القومية واللغة القومية فى الجمهوريات المستقلة ، ففى أكرانيا تراجعت الروسية ، وكذا فى غير أكرانيا ، مفسحة المجال لعودة اللغات المحلية ، بعد أن كانت الروسية هى اللغة الرسمية والوحيدة ، لقد كانت اللغة الخامسة فى هذا العالم ، بعد الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية ، فهل يكون هذا فى صالح العربية ؟ سؤال يحتاج إلى إجابة .

ومن ناحية أخرى فإن الاستقلال قد أعطى الناس الحرية الكاملة خاصة فيما يتصل بالدين ، حيث أصبح على كل فرد أن يكون له دين أى دين وهذا فى حد ذاته مكسب كبير وخطير ، وهو من النقاط الإيجابية للاستقلال ولكن المسألة بحاجة إلى وقت طويل ، فقد عاش الناس سنين عددا فى أجواء الشيوعية المعادية للدين ، أى دين .

ونتساءل : هل يمكن أن تحل الأكرانية تماماً محل الروسية ؟ لقـــد أصبحـت الأكرانية لغة رسمية بمجرد استقلال البلاد ١٩٩١ م ، ولكن الروسية عميقـة الجذور فى الديار الأكرانية ، ليس فى العصر السوفيتى فقط ، الذى لم يســتمر أكثر من ٧٤ سنة ، بل يتجاوز هذا بكثير جداً ، عندما انضمت أكرانيا طوعـاً إلى روسيا سنة ١٦٥٤ م على يد الزعيم بغدان خميلنيتسكى ، أى أن الروسـية عاشت فى أكرانية = ٣٣٧ ، ثلاثة قرون ونصف تقريباً ، حتى أصبحت منـذ زمن بعيد لغة العلم والثقافة والحضارة ، فى حين تراجعت الأكرانية إلى بعض القرى ، على ألسنة الشيوخ والعجائز ، خاصة فى العصر السوفيتى .

والآن وبعد قرابة عقد من الزمان لا زلت ترى أن الروسية هى اللغـة الوحيدة التى يعرفها معظم الناس ، وآخرون لا بأس عندهم بمعرفـة اللغتيـن الروسية والأكرانية ، وإن بدأت الدولة سلسلة مـن الإجـراءات لدفـع اللغـة الرسمية إلى الصدارة ، منها :

١- تعليم الأكرانية فى المدارس والجامـ ت ، والتركيز على المدارس بشـكل خاص .

٢- تدريس بعض المقررات الجامعية بالأكرانية .

٣- كتابة المراسلات الحكومية ، أو معظمها - على الأقل - بالأكرانية .

٤- اشتراط معرفة الأكرانية لشغل المناصب الحكومية ، ولــو علــى سـبيل الترجيح والتفضيل عند الاختيار .

٥- وفى الجامعة ذكر لى أحد الزملاء من خبراء اللغة العربية [١] المصريين فى أكرانيا أن الجامعات أعطت مهلة لأساتذتها لتعلم الأكرانية ، وبعد ذلك يعقد لهم امتحان ، ومن رسب فقد عمله ، وأضاف بأنه قد تم فصـل ٣٧٥

---

(١) د. عاطف عامر : الخبير المصرى بمعهد اللغات والقانون فى كييف .

أستاذاً ، وأعطى الآخرون مهلة للعام القادم ، فمن رغب عـن الأكرانيـة فإنه يفصل من الجامعة .

وبعد هذى المعطيات نسطيع القول بأن الأكرانية لن تتمكن من الحلـول نهائياً ، وبشكل كامل مكان الروسية ، بل ستبقى الأخيرة ولفترة قد تطول لغـة العلم والثقافة ، وربما لغة التخاطب ، يرجح هذا الرأى أن الناس لا تهتم كثـيراً بالقضية ، على الأقل لا مانع لديهم من تعلم اللغتين ، وليس بالضرورة التخلـى عن الروسية لصالح لغة الاستقلال .

الأحزاب الأكرانية : على الساحة الأكرانية العديد من الأحزاب ، أهمها :

١- الحزب الشيوعى .
٢- الحزب المسيحى .
٣- الحزب الاشتراكى .
٤- الحزب الجمهورى .
٥- حزب المحافظين .
٦- الحزب المسيحى الديمقراطى .
٧- الحزب الديمقراطى .
٨- حزب البعث الديمقراطى .
٩- حزب المؤتمر الوطنى .
١٠- حزب المؤتمر القومى .

ولكن الحاكمين والكوادر الحزبية هى هى ، كما كـانت فـى الحكـم الشيوعى السابق ، الحاكمون الآن هم أنفسهم الشيوعيون سابقاً ، والمسـئولون كذلك همُ همُ ، فمن الصعب أن يتحول المرء بين يوم وليلة ، بعـد أن عـاش

عشرات السنوات فى حكم الشيوعية التى تشربها على مهل ، فتمكنت منه تماماً تماما .

صراع على نار هادئة : بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي واستقلال جمهورياته بادرت الخارجية المصرية إلى دعم علاقاتها الثنائية مع هذى الجمهوريات والتى تربطنا بها علاقات وطيدة وعميقة ، ومن هنا كان الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث سنة ١٩٩٢ إحدى الآليات الراقية الفعالة للسياسة المصرية الخارجية [١] .

وقد كانت هذه لفتة ذكية ، تنم عن فهم عميق للأمور ، ولكن كما فعلت هذا بلدنا ، فعل غيرها مثله أو ما يشبهه ، وإن اختلفت الآليات والوسائل، بيد أن الهدف واحد ، وهو دعم العلاقات الثنائية ، وأن تقول : (نحن هنا) .

وفى لباقة ودبلوماسية يدور صراع بين الحكومات والدول على الأرض الأكرانية لدعم النفوذ والوجود ، وذلك من خلال سفاراتها وقنصلياتها وممثلياتها ، مع التركيز الواضح على الجامعات ، خاصة ما تخرج الكوادر التى يمكن أن تسهم فى حكم البلاد ، أو التى يحتمل أن تكون فى مواقع مسئولة فى البلاد ، سيما أن معظم الكوادر التى كانت تحكم فى بلاد الأكران كانت روسية ، فعادت إلى بلادها ، أو تركت البلاد إلى روسيا ، مؤملة فى فرص أفضل ، وحياة أرغد ، وإمكانيات أوسع .

ولذا فإن أكرانيا إلى الآن لما تزل تبنى كوادرها المحلية الأكرانية لحماً ودماً وانتماءً ، ومن ثم تركز السفارات على الجامعات ، وبشكل أخص أقسام اللغات الأجنبية ، أو قل من خلالها ، فكل بلد يسعى من خلال دعم لغته إلى

---

(١) وزير الخارجية المصرى : الصندوق المصرى مع دول الكومنولث .... فى خمسة أعوام ١٩٩٣ - ١٩٩٨ م ، ص ٣ .

النفاذ إلى وجود ثقافى فى هذا البلد ، فهو الأهم والأقوى والأبقى ، ولذا تركز عليه الكثير من الدول .

ومن مظاهر هذا الصراع والاستباق :

١- حرص السفراء والقناصل والملحقين الثقافيين على زيارة الجامعات على وجه الخصوص ، والمؤسسات والمعاهد التعليمية على الطبيعة للوقوف عن كثب على الاحتياجات المطلوبة لدعم أقسام لغات بلادهم .

٢- حرص رجال السلك الدبلوماسى - لا سيما السفراء - على إلقاء خطب وكلمات فى طلاب لغات أوطانهم ، ولذا كان فى الحديث المعتاد أن تسمع سفير دولة كذا كان هنا ، ألقى خطابا فى طلاب قسم كذا أو سفير دولة كذا كان هنا ... إلخ .

فقد ألقى سعادة السفير عمر الفاروق حسن سفير مصر فى أكرانيا محاضرة - بتاريخ ٣ / ١٢ / ١٩٩٨ - فى المعهد الدولى للقانون واللغات فى كييف ، وكانت المحاضرة بالعربية مع ترجمة إلى الروسية ، قام بها المستشرق بيقولاى فالكوف ، الذى عاش مدة طويلة من حياته فى لبنان، فتأثره باللهجة اللبنانية واضح ، كما كان بصحبة السفير قنصل مصر فى أكرانيا السيد/ إيهاب طلعت نصر ، وبعد المحاضرة التى سجلت بالفيديو ، التقطت العديد من الصور التذكارية ، كما سجل السفير والقنصل كلمتين فى سجل الزيارات .

٣- إيفاد خبراء فى اللغات المختلفة ، كما فعلت مصر وتركيا وإيران ، فقد كان فى معهد الشرق والغرب - ١٩٩٨ - ١٩٩٩ م - خبيران ، واحد فى اللغة العربية ، والآخر فى اللغة التركية .

٤- هدايا عينية من الأجهزة الحديثة ، مثل الحواسب وبرامجها وأجهزة التسجيل وأطباق استقبال القنوات الفضائية ، وهو ما فعلته بعض الدول العربية - الأردن والكويت - لدعم قسم اللغة العربية بجامعة كييف الحكومية للغات ، ناهيك عن الكتب والصحف والمنشورات بشكل عام .

بل وصل الأمر إلى قيام إيران بتجهيز قسم اللغة الفارسية في الجامعة الحمراء ، وذلك بشكل كامل تام ، وتزمع إنشاء قسم مماثل في جامعة كييف للغات .

وقد أبدت بعض الدول غير العربية استعدادها لدعم قسم اللغة العربية ، ولكن رئيس القسم د. إسماعيل عمران رفض ، كما أخبرني* وهو رأى حصيف .

٥- تدريب الطلاب في الوطن ، ورفع كفاءة المدرسين المحليين ، أو دعم مرتباتهم ، واستضافتهم في أرض الوطن لتقويم الألسنة ، وهذا ما فعلته مصر وتركيا وإيران والصين واليابان ... إلخ وهي من أنشط الدول في دعم لغاتها .

٦- رعت السفارة الصينية مسابقة على مستوى الجامعات الأكرانية في اللغة الصينية ، والتي أقيمت على التوازي مع مسابقة اللغة العربية - في ٢١/٤/ ١٩٩٩ م - التي رعاها خبراء العربية المصريون في كييف ، كما قدمتُ للفائزات جوائز عينية باسم جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية بالقاهرة ، كما سبق .

٧- بعض الجامعات الأوربية ترسل مدرسات تحت التدريب لمدة محدودة لتدريس لغاتها ، كما تفعل فرنسا وألمانيا ، فقد كان هناك اتفاق بين بعض الجامعات الألمانية وجامعة كييف للغات لإيفاد مدرستين - قبيل التخرج - في كل فصل دراسي ، كتدرب على تعليم الألمانية لغير الألمان ، وكذا في

فرنسا ، ترسل مدرسات متخصصات فى تعليم الفرنسية لغير أهلها، وتخير المدرسة بين عدة دول لتكرب فيها على تكريس لغتها لغير الفرنسيين .

بقى أن نشير إلى ملحوظتين :

١- إن أكرانيا تبدو سعيدة بهذا التسابق نحوها ، فهى الجانب المستفيد هنا وهى تترجم هذا كله إلى مبالغ مالية تضخ فى اقتصادياتها ، بل يرى بعض المسئولين فى الجامعات أن على كل دولة أن تدعم لغتها ، بل ترعاها بشكل كامل وتام ، وهى قد ترفع يديها بالمرة عن أقسام اللغات الأجنبية فهم إلا مرتبات هزيلة ، وربما لا تدفع بانتظام للمدرسين ، بعد اشتراط عمل ساعات طويلة مرهقة ، وإلا فهناك صف طويل ينتظر أن يوجد فرصة ، أية فرصة ، مهما كانت متدنية ، بل أحياناً مذلة ومهينة ، مع تعمد وقصد ، مستغلين حاجة الناس الملحة للعمل .

ولك أن تتخيل أن طلب شيء ، أى شيء القسم ، ولو كان بعض الأوراق أو المستلزمات التافهة ، يمر بإجراءات طويلة مملة ، قد تنتهى بالرفض ، بعد مسيرة طويلة لعلها تتطلب موافقة مدير الجامعة شخصياً الذى يرفض الموافقة على شيء ، أو أى شيء يتطلب دفع أى مبلغ من المال ، مهما كان تافهاً .

فالطالبات اللاتى فزن فى مسابقة اللغة العربية والصينية قدمت لهن الجامعة جوائز حلوة جداً جداً ، علبة حلويات لكل طالبة ، ثمنها لا يزيد عن بضعة جنيهات مصرية ، وهكذا .

٢- ليست الجامعات وحدها التى تتخذ هدفاً من قبل الدول الساعية لإقامة علاقات متينة مع الجمهوريات المستقلة ، فهناك مجالات أخرى للتعاون وخاصة بين مصرنا ودول الكومنولث أو غيرها ، مثل :

أ – تقديم معونات إنسانية ، غذائية ودوائية ، كما حدث مع أذربيجان وطاجكستان والبوسنة .

ب– تمثيل مصر فى كافة اجتماعات الدول المانحة المتعلقة بدول الكومنولث ولكنا على الجامعات ركزنا كلامنا لأنها مجال عملنا ، وأرى أيضاً أنه يركز عليه أكثر من غيره .

عادات الناس : قبل أن نتحدث عن عادات القوم هناك في أكرانية ، نشير إلى أن كييف كانت الأساس فى البداية لما سمى بدولة كييف الروسية ، ففى أحد المراجع الروسية نجد عنواناً يقول : (الدولة الروسية القديمة ؛ روسيا الكييفية – ظهور الدولة الروسية القديمة [1]) هذا الجزء من الشمال الأكرانى فقط ، أما الجزء الجنوبى على سواحل البحر الأسود ، فله حديث آخر ، يأتى فى مكانه .

معنى هذا أن كييف كانت الأصل للدولة الروسية القديمة ، وليس العكس ، كما أن هذا البلد انضم إلى روسيا طوعاً – كما سبق – فى منتصف القرن السابع عشر ، وقد لجأ الأكران إلى الروس هرباً من الغزاة الأجانب الذين أحاطوا بالبلاد من كل حدب وصوب ، وخاصة جيرانهم من الغرب البولنديون والليتوانيين ، مع ملاحظة أن الدولة العثمانية – آنذاك – كانت فى أوج قوتها .

وإذا كانت كييف هى أساس الدولة الروسية منذ القرن التاسع الميلادى فكيف رضيت أكرانيا أن تكون تابعة لروسيا ، بعد أن كانت أساس تكوينها ؟ فى المراجع الروسية نرى تعبير (إعادة ضم أكرانيا إلى روسيا) وهو ما أدى

---

(١) بيفانوف ، وفيدوسوف : تاريخ الاتحاد السوفيتى ، ص ٣٥ .

حسب نفس المرجع إلى (أن يذودوا عن استقلالهم فى سنوات هجوم الغزاة الأجانب العصيبة) .

إذن أكرانيا لم تك لتلوذ بروسيا إلا إذا كانت هذه الأخيرة أقوى ولا سيما فى الجانب الحربى ، وقد رضيت بهذا حتى تدفع عن نفسها الغزاة ، كما سبق .

فما الذى دفع روسيا إلى هذه المكانة ؟ عاملان نرصدهما هنا ، كانا وراء ظهور الدولة الروسية القوية :

١- التصدى للخطر المغولى وتصفيته من الأراضى الروسية ، وهو ما تم بشكل نهائى فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، وبالتحديد سنة ١٤٨٠م ، بعد أن استمرت تبعية روسيا لخانات الأورطة الذهبية - من التتار - مائة عام كاملة .

٢- بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية ، ١٤٥٣م ازداد دور مطران موسكو بوصفه رئيسا للكنيسة الأرثوذكسية ، فقد كان على موسكو أن تملأ الفراغ الناجم عن سقوط القسطنطينية ، وهو ما أدى إلى الإسهام فى ارتفاع نجم الحاضرة الروسية .

على أية حال فإن أكرانيا - فيما نرى - لم لم تجن سلما ولا أمنا من وراء انضوائها تحت لواء موسكو ، وإنما دخلت فى مخاطر وأهوال ، لها أول وليس لها آخر ، وهو ما تمثل فى شيئين :

الأول : إن الدولة الروسية دخلت فى حروب طاحنة وصراع للتوسع والاستيلاء على مزيد من الأراضى ، مع الجيران ، كل الجيران ، دون استثناء من الشرق والغرب والجنوب ، التتار ، العثمانيون ، الفرس ، الألمان البولنديون ، السويديون ... إلخ ، ناهيك عن الحربين العالميتين ، فى بداية القرن العشرين ، وقبل أن ينتصف .

اليابان نفسها كان لها نصيبها من الحرب مع روسيا ١٩٠٤ - ١٩٠٥م ودفعت هذه الشعوب الروسية والشعوب الأخرى الثمن الأفدح ، ملايين القتلى والجرحى والمشوهين ، خسائر فى الأموال بغير حدود ، كل هذا كان يصب على رءوس الجماهير الفقيرة البائسة ، التى لا تملك من أمر نفسها ومصيرها شيئاً على الإطلاق .

وأعطى هنا مثالاً واحداً ، واحداً فقط ، ففى الحرب مع اليابانيين دفع الشعب الروسى الثمن باهظاً ٢٧٠ ألف قتيل وجريح ، نفقات هائلة غرق الأسطول بجميع سفنه تقريباً ، أما الجانب الآخر فقد خسر ١٨٠ ألف من رجاله ، حوالى نصف مليون من الجانبين فقدوا حياتهم ، أموال أهدرت ، مدن خربت ، بلا هدف ، وبلا نتيجة .

الثانى : الاستبداد الداخلى الذى لم ير مثله ، على الأقل فى العالم الإسلامى وهذا مثال واحد نسوقه هنا ، من عديد الأمثلة التى قرأت عنها ، وفى المصادر الروسية نفسها ، ففى مظاهرة سلمية جرت فى ٩ / ١ / ١٩٠٥م بمدينة بطرسبورج انطلقت فرقة الخيالة تعمل السيف فى المتظاهرين ، وتدوسهم تحت سنابك الخيل ، بل أجهزت على الجرحى ، فقتل فى هذا اليوم الدامى أكثر من ألف متظاهر ، كما أصيب زهاء خمسة آلاف ، حتى الأطفال لم يسلموا من إطلاق النار عليهم .

هذا التاريخ الحافل بالمصائب والبلايا على رءوس الناس ، قد أدى إلى نتيجتين مهمتين ، هما :

أولاً - زهد الناس عن العمل ، ورغبتهم عنه ، لقد رأت الجماهير الفقيرة أنها كلما زرعت نبتاً ، أو بنت حجراً ، أو أنتجت شيئاً التهمه الغزاة، أو ذهب مع الحروب التى لا تنقطع مع الدول المجاورة ، أو أتى عليه المستبدون

المستغلون فى الداخل ، فلماذا يعمل الرجال وهم لا يجنون شيئاً ، ولا يفيدون قطميراً، ولا فتيلاً ، وبقى هذا الموروث التاريخى يلقى بظلاله على سلوك الناس وتصرفاتهم حتى الآن ، فغدت القوة العاملة فى الأغلب الأعم من النساء وليس من الرجال ، مع التسليم بوجود عوامل أخرى تضاف إلى فعل ذاك الموروث القديم مثل زيادة عدد النساء ، وتفضيلهن على الرجال فى بعض الأعمال ... إلخ .

ثانياً – بما أن الناس لا تكاد تنعم بشىء من الاستقرار ، ولا تشعر بأمن أو أمان ، فإنها كانت – ولا زالت – تعب من المتع عباً ، أو مما تراه أنه من المتع ، ولا سيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، حيث يندفع الناس إلى الاستمتاع بكل شىء ، كانوا منه محرومين فى العصر السابق ، فهى الحرية المطلقة التى يلهثون وراءها .

ومن أبرز الأشياء التى لاحظتها على الناس فى هذه الفترة التى أقمتها بين ظهرانيهم :

١- التدخين : الأكران يدخنون بشراهة ، الإناث قبل الذكران ، وأسطيع القول بأن من النادر أن ترى أكرانياً أو أكرانية لا تدخن ، اللهم إلا بسبب الفقر الشديد وبرغم أن التدخين يؤثر على خصوبة المرأة ، والتعجيل بسن اليأس كما أنه يؤثر على أنوثة المرأة ، إلا أن شيئاً من هذا لا يهم ، وعندما أبديت هذه الملاحظة إلى بعض الأكران انبرى قائلاً : (هذا أهون من تدخين الحشيش) .

٢- الخمر : كنت أتصور أن الناس تشرب الخمور فى الحفلات والمناسبات والمآدب ، كأس أو قليل من الكاسات ، لكنى رأيت القوم يعبون الخمر عباً لا كالماء ولكن أكثر ، سيما عندما تسطع الشمس ، ويغيب البرد والثلوج

البيضاء، ويأتى الدفء ، ويذهب الشتاء ، فى هذه الحالة تجد زجاجة الخمر شيئاً عادياً فى أى مكان ، وفى ركن المياه الغازية والمعدنية المنتشرة فى كل سوق ومحل وبقالية تجد الخمور فى محل الصدارة ، بأنواعها المختلفة وهى زهيدة الثمن ، وإذا نظرت إلى الشارين فمن النادر من النادر أن تلمح أحداً يشترى مياهاً أخرى ، غير الخمر ، ففى الغالب هو أجنبى ، غير أكرانى .

ولذا يقول المستشرق الأسبانى يوليو : (المسلمون أطول أعمار من المسيحيين ، لأن المسلمين يأكلون الطعام دافئاً ونديا ، ويشربون الماء، ويشرب المسيحيون الخمر) لاحظ المقارنة بين شرب الماء عندنا ، وشرب الخمر عندهم ، وهذه ليست مبالغة ، على العكس ، لقد بدا لى أن شرب الخمر عند الناس هناك أكثر من شرب الماء لدينا .

ولذا ذكر لى أحد العرب أن أعظ هدية تعطى للمرء - خاصة السكير - زجاجة خمر + قطعة من لحم الخنزير مع الخبز الأسود ، فسبحان ربى العلى العظيم الذى حرم الخمر والخنزير معاً ، ترى ما الصلة بينهما ؟؟

٣- الكلاب : يلاحظ بوضوح كثرة الكلاب ، تليها القطط ، وإن من المناظر المألوفة جداً أن تسير المرأة أو الرجل بصحبة كلب ، صغير الحجم أو كبيراً تسمى الكلاب عند بعض الناس : (إخوتنا الصغار) ومن الأشياء المألوفة أن تجد المرأة تستر كلبها أو قطها بملابس تقى برد الشتاء القاسى القارس .

إن انهيار الأسرة يجعل الناس تهرع إلى الكلاب [1] ، أو القطط ، وذلك هربا من جحيم الوحدة ، أو بغية الحراسة من ظلم الآخرين أو عدوانهم ، فلا يجدون غير الحيوان يحتمون به ، أو يتوهمون أنه يحميهم ، ويغنيهم عن بني أبيهم آدم ، عليه السلام .

وقد سمعت أكثر من مرة من يرتب الأسرة وأفرادها هكذا : (الطفل فالكلب – أو القط – فالزوجة ، وأخيرا الزوج !!) وقد سألت إحدى طالباتي الأكرانيات : لماذا تهتمون بالكلاب ؟ لأن الكلب واحد من أفراد الأسرة ! يا للهول – قلت – الكلب واحد من أفراد الأسرة ؟ نعم ، الأسرة تتكون من – قالت البنت – الرجل ، الطفل ، الكلب ، المرأة .

لقد اختلف الترتيب هنا ، فجاءت بالرجل أولا ، وأخرت المرأة ، ربما لأنها تعلم بخبرتها أن العرب يقدمون الرجل على غيره في الأسرة ، وإن في الظاهر والمظهر أحيانا .

وبرغم أن الاقتراب من الكلاب – والقطط – يمكن أن يؤدى بالمرأة إلى الإجهاض ولكن لا عليهم ، إنهم الآن وقبل الآن لا يهتمون بمسألة الإنجاب ، طفل واحد أو اثنان على الأكثر ، وبرغم ذلك فإن المواليد قد قلت منذ سنة ١٩٩٦م بسبب من الأحوال الاقتصادية ، كل هذا يؤدى إلى زيادة عدد الشيوخ والعجائز ، فمن مجموع السكان البالغ عددهم ٥٦ مليون نسمة – في بعض التقديرات – هناك ٢٥ مليونا على المعاش ، أو التقاعد أي بنسبة ٥ :١١ أقل قليلا من النصف .

---

(١) فى أحد الأفلام الفرنسية يعود للمرأة كلبها بعد غياب فتناجيه باسم : (جيريمى ، ابنى الصغير) هكذا ، ونحن لسنا ضد استخدام الكلاب أو العطف عليها ، ولكن ما نرغب عنه هو الاختلاط الشديد بها ، أو اعتبارها من الأسرة .

٤- التسول : وله أشكال وألوان ، منها العجوز التى تتسول ثمن الكفن أو الدفن ، فقد أصبحت هذه الأمور باهظة التكاليف ، ولا قبل لكثير من الناس بها الآن ، ففى ظل الاتحاد السوفيتى السابق ، كانت الدولة تتعهد بكل شىء حتى النهاية ، أما الآن فقد ترك الناس لآليات السوق ، كما أن الأسرة بعد انهيارها لم يعدلها دخل بهذا أو غيره ، فلا ابن ولا زوج ولا أخ ، ومن ثم تخرج العجوز بنفسها تبيع أ تَفَهَ السلع فى الأسواق ، لأنها على يقين بأنها فى هذه الحياة وحدها ، ولا دخل لأحد بهذا أو غيره ، حتى الأبناء .

ومن أنواع التسول منظر رأيته بالقرب من بعض الأسواق ، امرأة تجلس حولها عدد من الكلاب ، تتعهدهم بالطعام والشراب ، وربما الدفء، فى البداية تصورت أن المرأة تتاجر فى الكلاب ، ولكن اتضح لى أن المرأة تتسول ثمن رعاية الكلاب وطعامهم ، مما يثير كرم القوم وأريحيتهم ، فيهبون لنجدة الكلاب ومن ترعاهم .

نوع آخر ، امرأة تقف فى إحدى محطات قطار المدينة - تحت الأرض - تغنى غناء أوبراليا ، كأنه فى أذنى نوح امرأة على زوجها ، أو صويت أم ثكلت أبناءها ، لكن قف يا عزيزى القارئ لابد أن تتظاهر وأنت تسمع هذا النحيب ، أن تتظاهر بأنك تستمع وتستمتع ، وإلا فأنت فى نظر الأوربى لست مثقفاً ، أو لست متحضراً .

٥- المبالغة فى التأنق : فى مقارنة بين الناس فى أكرانيا ، والناس فى ألمانيا قال محدثى الألمانى : أهم شىء عند الناس هنا هو التأنق فى الشكل والمنظر عند النساء المساحيق والأصباغ ، وعند الرجل حلاقة ذقنه كل يوم ، العناية بالشعر وتصفيفه ... إلخ ، كما نقول فى مصر (على سنجة عشرة) .

أى المظهر أولاً ، والمظهر أول شيء يعنى به ، وبعده السكن والطعام والشراب ، ففى أكرانيا من المستحيل أن تجد إنساناً - رجلاً أو امرأة - إلا وهو على أتم منظر ، وأشده ، أناقة وجمالاً ، حتى البائعة فى السوق التى تبيع البصل أو الثوم ، ومهما كان سن المرأة ، حتى لو ابيض الشعر ، وانحنى الظهر .

ويتم كل هذا برغم أن الحالة الصحية الآن ، أو خاصة الآن ليست على ما يرام ، ويقول الناس : لقد انخفضت نسبة المواليد ، وزادت الأمراض، بسبب قلة الاعتمادات فى المستشفيات الحكومية ، وعدم قدرة الناس على مصروفات المستشفيات الخاصة ، بل والحكومية أحياناً ، وخاصة منذ سنة ١٩٩٦ .

وبطبيعة الحال الناس هنا شديدو العناية بالطفل وصحته ، ويكرسون كل شيء ، غالياً وثميناً من أجله ، ولكن هذا الطفل عندما يكبر ، ويصبح رجلاً - أو امرأة - فإن عليه أن يواجه كل شيء وحده ، ويحارب معركته فرداً .

ولا ننسى هنا الجو القارس الذى يستمر شهوراً ، تصل ستة أشهر أحياناً وتأثيره على الشباب الذين لا يبالون بالبرد القارس - بالسين أو بالصاد - فإن عدم المبالاة هذى إحدى مظاهر الشباب والفتوة عندهم ، ومن ثم يجازفون بمواجهة البرد المهلك ؛ حتى لا يتهموا بأنهم ليسوا من الشباب .

فالمبالغة فى الوقاية من البرد سمة من سمات الشيوخ والعجائز ، ومن هنا من النادر أن تجد شابة أو شاباً من غير مرض ، نزلة برد فى كل شتاء على أقل تقدير ، إن كان ذا صحة وعافية ، إن كان .

ولا ننسى أن شهور الشتاء الطويلة القارسة تمنع كل من تسول له نفسه فتح أى جزء من النوافذ ، مهما كان صغيراً ، بل لابد من الحرص الشديد على إغلاق النوافذ بكل إحكام ، وبشكل أحكم الفواصل بين النوافذ التى قد ، قد يتسرب منها جزء ، أو جزىء - مهما كان تافهاً - من الهواء إلى داخل البيت

ومن ثم تحرم البيوت شهوراً شهوراً طويلة من الهواء ، أى هواء ، ناهيك عن الشمس التى ربما لا ترى إلا بعد أسبوع من الترقب والترصد ، ولولا انخفاض درجات الحرارة بهذا الشكل لكان للأمراض مرتع خصيب .

على أية حال فإن بعض الأمراض ذات البعد الاجتماعى تهدد حياة الأسر ، فكثير من القضايا الآن أمام المحاكم بسبب اتهام أحد الزوجين للآخر بإصابته بمرض الإيدز ، وذكر لى أحد طلابى أن أكرانيا ثانى بلد بعد أسبانيا فى عدد المصابين بمرض فقد المناعة ، أما بعض العرب فيرى أن أكثر الأمراض المنتشرة هناك هى السيلان والزهرى والسّفلِس .

٦- الزواج : نظام الزواج بسيط غاية فى البساطة ، يتعرف الشاب على الشابة ، بوسيلة أو بأخرى ، ويستمر هذا فترة ، تطول أو تقصر ، بعدها يتفقان على الذهاب إلى أهلها لطلب يدها ، يقدم فقط الدبلة لعروسه ، فى حفل فيه أكل وشرب ، كلّ حسب وسعه ومستواه .

بعد ذلك يذهبان إلى القاضى المختص ، الذى يشبه المأذون عندنا يتأكد القاضى من قبول الطرفين للزواج ، ثم يوقعان على العقد ، وتنتهى هذه المراسم بأن يأخذها إلى شقته ، أوبيته ، حيث يشتركان فى تأثيث منزل الزوجية معاً ، وهكذا دون مهر أو شبكة ، أو مصاريف لها اول ، وليس لها آخر ، كما هو متبع عندنا ، أو عند الكثيرين منا ، اللهم إلا الدبلة ، ومن ثم يكون الزواج فى سن مبكرة .

وفى هذه الحالة ينجبان طفلاً واحداً فقط فقط ، أو اثنين على الأكثر بلا زيادة بأى شكل من الأشكال ، ويمكن أن يقيم الزوجان مع الأسرة ، وأهم شىء هنا - كما سبق ذكره - الطفل ، فكل شىء مكرس له ، فلا يضرب، ولا يهان ، وإنما يستخدم معه أسلوب الإقناع والإفهام ، حتى إذا بلغ - أو بلغت -

خمس عشرة سنة تركت لحالها أو لحاله ، إذ الطفل الملك المتوج على رأس الأسرة .

٧- ونختم هنا برأي بعض العرب في الأكراد :

أ - يقولون ولا يفعلون ، أو يقولون ما لا يفعلون .

ب- لا يعتمد عليهم في أي موقف .

جـ- يأخذون ولا يعطون ، يطبقون المعادلة الصفرية ، أي يأخذون منك كل شيء ، وعطاؤهم لك صفر .

د - كلامهم كثير طويل ، لا طائل من ورائه ، ربما لطول الكلمات الروسية.

هـ- كراهية الأجانب ، والغدر بهم ، فلا يمر أجنبي أمام أي شرطي ، دون أن يطالبه بجواز السفر الذي يفحصه بكل دقة ، وقد يتعنت معه ، أو يبتزه ، ويذكرون أنه في نهاية العام الدراسي ٩٧ - ١٩٩٨ قتل الأكراد شابا عربيا ، كان عرض حاسوبه للبيع ، وجاء أصحابه فقتلوه ليأخذوا الجهاز .

ولكن هذي المثالب لعلها لا تخص هؤلاء القوم وحدهم ، وإنما هي ربما تكون أخلاق العواصم في الدنيا كلها ، فلا يصح أن نحكم على الناس في القاهرة أو بيروت أو ... أو ... على أنهم ممثلون حقيقيون للمصريين أو اللبنانيين إلخ ، بدليل أن بعض العرب يقولون إن أخلاق الناس في غير كييف في المدن والأرياف مختلفة عما ترون في العاصمة .

ولكن علينا أن نرد على ما سبق من مثالب ومعايب بجملة من المزايا منها :

أ - الناس متواضعون - كما أراهم - يوقرون كبار السن ، يجلسونهم ويفسحون لهم في المواصلات العامة ، فإذا أفسحت لامرأة شابة فقد

وصمتها بأنها عجوز ، لأن الجلوس لا يكون إلا للمعاقين ، أو الطاعنين في السن .

ب- يبدو الشعب كله متعلماً ومثقفاً وقارئاً ، فأنت ترى الناس من مختلف الأعمار ، في المواصلات العامة وغيرها دائماً معهم كتاب أو صحيفة فيها يقرءون ، وهذا منظر مألوف ، يمكن أن تراه العين وتألفه ، حتى على السلم الكهربي في محطات قطار المدينة (المترو) .

جـ- سرعة الفهم والتقاط المعلومات وثباتها ، سيما اللغات الأجنبية .

د - وعند القوم حياء يمنعهم من أخذ أي شيء - على سبيل الصدقة - فإن كان عندك ما تتصدق به ، فإنك لا تعطيه يداً بيد ، وإنما تتركه في مكان ظاهر ، فإن احتاجه أحد أخذه ، دون أن يراه أحد ، أو يخدش حياءه وهكذا كنت إذا أردت التصدق بشيء من الملابس أو غيرها تركتها في مكان ظاهر في السكن، قريب من السلم ، أضعه خلسة ، ثم أعاود النظر إلى الشيء فأجده قد أخذ لحال سبيله ، وهكذا .

حوار حول الأدب والفن في أكرانيا : في حوار مع طالبات الفرقة الثانية بقسمنا طرحت عليهم أسئلة عديدة تتراوح بين الشعر والنثر والسينما الأكرانية نعطي طرفاً منها فيما يلي :

١- أشهر صحيفة في أكرانيا ؟ صحيفة الوقائع .

٢- أشهر رواية ؟ رواية الأنبيدة ، وهي ملحمة أكرانية تشبه الإلياذة لهوميروس .

٣- أشهر أديب ؟ فاليري شفتشوك ، ويكتب بالأكرانية .

٤- أشهر شاعر ؟ ترس شفشنكا في القرن التاسع عشر ، ثم فاسيلي ستوس وإيفان درانتش ، ويكتبان بالأكرانية .

٥- أشهر كاتب أغانٍ ؟ يفجيني ربتشفسكي ، وإن كان المألوف أن يكتب المغنى كلمات أغانيه بنفسه .

٦- أشهر مطرب ؟ فى الجيل الجديد (ألكسندر بونوماروف) ومن الجيل القديم (بابلوز يبروف) ومن المطربات (صوفيا روتارو) و (إيرينا بليك) .

٧- أشهر فيلم أكرانى ؟ أمسيات فى ضيعة بالقرب من ديكانكا ، وقد كانت الأفلام فى السابق بالروسية والأكرانية ، ولكنها الآن باللغة الأكرانية فقط .

٨- أشهر مخرج ؟ دوفجنكا .

٩- أشهر ممثل ؟ إيفان جناتوك ، وأهم الأدوار التى لعبها دور فدائى فى الحرب العالمية الثانية ، وأشهر ممثلة ؟ أولجاسومسكايا التى لعبت دور ركسلانة فى المسلسل التليفزيونى المسمى بهذا الاسم (ركسلانة) وهو مسلسل تاريخى عاطفى جداً ، قصة الكاتب الأكرانى (بافيل زاهريبلنيى) والبطلة بنت ريفية فقيرة ، كانت تعيش فى مدينة صغيرة فى غرب البلاد سباها الأتراك ، ونقلوها إلى بلادهم .

اسمها الأكرانى (ناستيا) أما ركسلانة فهو اسمها التركى ، وكانت فائقة الجمال ، بيعت إلى النخاسين - تجار الرقيق - فاعتنقت الإسلام ودرست أحكام القرآن ، وتقاليد الإسلام واللغتين التركية والعربية .

ثم باعها النخاسون إلى حريم السلطان التركى ، وفى النهاية قرر السلطان سليمان القانونى فى القرن السادس عشر أن يتزوجها ، قامت بمساعدة الأكران رجالاً ونساء وأطفالاً ، وافتدت بعضهم من الأسر ، وكان من الممكن لها العودة إلى الوطن ، ولكنها فضلت البقاء هناك خدمة لأبناء وطنها .

وهذه القصة مقررة على التلاميذ فى نهاية المرحلة الإعدادية ، وعندما عرضت فى التليفزيون الأكرانى شدت انتباه الناس ، ونالت شديد إعجابهم، فقد

كانت التلميذات يسردن ما سبق من معلومات بكل حماس وإعجاب وتقدير لهذه المرأة التى كرست حياتها لخدمة بنى وطنها وقومها .

وقد سألنا زميلنا الخبير التركى الدكتور جمال باشا عما سبق ، فأفاد بما يلى : ركسلانة سبية أكرانية ، تزوجت سليمان القانونى ، قامت بإقناع زوجها بصرف النظر فى احتلال القرم وروسيا وأكرانيا ، وكان يستطيع احتلال هذا كله فى ليلة واحدة .

وكانت طيلة أربعين سنة تكتب للروس عن الجيوش العثمانية وتحركاتها ، وعتادها وأعدادها ، توجه زوجها إلى احتلال أوربة بدلاً من روسيا ، تقول له : ما يغريك فى هذه البلاد ؟ كما حرضت السلطان على قتل ابنه مصطفى من زوجته التركية حتى قتله ليتولى ابنها السمين المُلك .

ولم يك من الممكن الاكتفاء بما ذكرت طالباتى ، وما أضافه الخبير التركى حول هذه الركسلانة ، فكان لابد من الرجوع إلى بعض الكتب فى التاريخ العثمانى التى أضافت وأفاضت تـ ت مختلف العناوين [1] ، منها :

أشهر قصة غرام فى التاريخ العثمانى : كان السلطان سليمان القانونى أو المشرع (١٤٩٤ - ١٥٦٦) أعظم شخصية فى التاريخ العثمانى ، فقد وصلت الامبراطورية فى عهده أوج اتساعها وقوتها براً وبحراً ، فقد اتصف الرجل بالتعقل والعدل والكرم والذكاء ، وأجرى كثيراً من الإصلاحات المهمة فنظم الإقطاعات ، ووضع حداً لمساوئها ، فقد أمر بعودة صلاحية الإقطاع وتوزيعه للسلطان فقط ، مما جعل الإقطاعى تابعاً فقط للسلطان ، مما وفر للدولة جيشاً جراراً من هؤلاء الإقطاعيين الذين كانوا يتوجهون للحروب ، دون

---

(١) مصطفى ، أحمد عبد الرحيم : فى أصول التاريخ العثمانى ، انظر ص ١٠٠ وبعدها دار الشروق ، القاهرة ، بدون تاريخ .

مرتبات ، أى لقاء الإقطاع فقط ، وقد بلغ عدد الخيالة من هـؤلاء ١٥٠ ألـف فارس .

وقد اشتهر السلطان سليمان بهذا اللقب (القانونى) لأنه أصدر مجموعة من القوانين التى اهتم بتطبيقها فى شتى ربوع السلطنة ، فأجرى إصلاحات فى قانون الحكومة ، وقانون المراسم ، وقانون تنظيم الشرطة والقانون الجنائى ، ونظم الأجور والأسعار ، كما أجرى تعديلات فى معاملة العلماء ورتبهم ، وأعفاهم من الضرائب ، وضمن سهولة انتقال ضياعهم إلى أبنائهم ، ووضع الضمانات والاحتياطات التى تمنع مصادرتها .

كما أنشأ كثيراً من المدارس والجامعات ، ورعى الأدباء والشعراء والكتاب ورجال العلم والقانون ... إلخ ، وارتفعت المبانى الفخمة فى الآستانة وغيرها من المدن المهمة فى الدولة ، وكذا المرافق العامة التى شيدت فى شتى أرجاء السلطنة ، وكذا سارت الفتوح العسكرية المهمة إلى قمتها ، إلى أن فوجئ البلاط العثمانى ، أو قل نكب بهذه المرأة التى سميت ركسلانة ؟ التى اختلف المؤرخون فى أصلها وفصلها ، فمن قائل بأنه ابنة قس أكرانى إلى قائل بأنها تنتمى إلى البندقية ، بل يذهب البعضْ إلى أنها كانت يهودية الأصل .

وأقرب الروايات أن هذه المرأة كانت ابنة قس [1] يدعى دى روجالينو وقد أعدت إعداداً جيداً لتلعب دورها الخطير داخل البلاط العثمانى ، وبعد أن اطمأن معدوها لأداء المهمة المنوطة بها ، زرعت فى مكانها بواسطة بعض تجار الرقيق – النخاسين – الذين أخذوها باتفاق مع أهلها وذويها ، الذين

---

(١) الشناوى ، د. عبد العزيز : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، انظر ص ٦٠٤ وبعدها ، القاهرة ١٩٨٠م .

تظاهروا بأنها خطفت ، ثم ذهب بها التجار إلى السلطان سليمان ، فباعوها لـه لتلحق بالحريم السلطانى ، أو قل لتزرع فى القصر السلطانى .

واستهلت حياتها فى القصر كجارية ، وكانت على حظ موفـور من الجمال والرقة وخفة الروح ورهافة الشعور ، وكان يطلق عليها (خورم هـانم) السيدة الباسمة ، أو ذات الوجه الباسم ، كمـا عرفـت باسـم ركسـلانة ، أى الروسية .

هام بها السلطان سليمان ، وبلغ حبه شغاف قلبها ، فأعتقـها وأنجب منها ، وارتفعت مكانتها من جارية مشتراة ، أو قل مزروعة إلى أن أصبحت المستشار الأول للسلطان فى كل شىء .

واحتجب السلطان فى قصره ، لأنه لم يك يطيق عنها بعداً ، وتخلـى عن قيادة الحملات الحربية ، وكان وجوده فى ساحات الحرب يثـير حماس الجنود ، الذين اعتادوا الخروج للحرب بقيادة السلطان نفسه .

وكانت أوربة تدرك جيداً مدى النفوذ الواسع الذى كـانت تتمتـع بـه ركسلانة ، السيدة الأولى فى الدولة العثمانية ، كانت تعنو لها الجباه، ويتضاءل أى نفوذ فى الدولة أمام شخصيتها الطاغية ونفوذها الذى لا تحده حدود .

ويبدو أنها لم تكن تعمل وحدها ، بل من المؤكد أنها كانت تعمل ضمن فريق عمل يخطط ويرتب ، فإن هذه الإنجازات والمؤامرات التى تمت لا يمكن أن تنسب لركسلانة وحدها ، التى كانت أقرب ما تكون إلى رأس الحربة المنفذة النافذة ، فضلاً عن أنه من غير المستبعد أنها فى تخطيطها وترتيبها كانت تتلقى تعليمات ونصائح محددة من قبل أعداء الدولة فى الخارج الذين كانت تمدهـم بالمعلومات الثمينة عن كل شىء ، ولا سيما الجيوش العثمانية الجـرارة التـى كانت تتحرق شوقاً للقتال .

وأستطيع هنا أن ألخص ما قامت به ركسلانة وفريق عملها ، سواء فى الداخل أوالخارج فيما يلى :

١- توجيه الحملات العسكرية بعيداً عن روسيا إلى حيث أوربة القوية ، والتى أصبح لها رأس حربة داخل القصر العثمانى نفسه ، وفى أحضان السلطان القوى المهاب ، ولابد أنها قد وفرت للجيوش الأوربية معلومات مهمة عن جيش السلطان الذى لم يتمكن من فتح فيينا العاصمة النمساوية .

وبدلاً من روسيا التى كان السلطان يستطيع الاستيلاء عليها فى ليلة واحدة ، كما قال الزميل التركى توجهت الحروب نحو الشرق ، أو قل نحو المسلمين ، وفى النهاية لم يسلم العثمانيون من حروب مريرة مع روسيا التى استطاعت وقف الزحف العثمانى فى البداية ، وأخيراً استطاعت الاستيلاء على كل ممتلكات العثمانيين حتى سواحل البحر الأسود .

وكل هذا كان بفضل المعلومات القيمة التى تلقاها الروس عن محاربيهم العثمانيين ، فضلاً عن شغلهم فى حروب طاحنة مع أوربة والشرق ، بعيداً عن روسيا التى استطاعت فى النهاية طرد العثمانيين من كل المناطق التى احتلوها.

٢- وكان على ركسلانة أن تزيل من طريقها الشخصيات القوية التي يمكن أن تقف في وجهها ، وذلك بالقتل فقط ، لا أقل ، فكان من ضحاياها إبراهيم باشا الصدر الأعظم آنذاك - الوزير الأول - فطلبت من زوجها عزله وكان الرجل من خيرة الصدور العظام ، موضع ثقة السلطان سليمان التامة وتقديره العميق ، زوجه السلطان إحدى شقيقاته ، وكان يخرج معه فى الحملات العسكرية ، وكان له دور بارز فى الانتصارات الحربية التى أحرزها السلطان، وكان السلطان ينيبه فى إجراء المفاوضات مع الدول على حظ موفور من العلم والثقافة والتدين ، راعياً للشعراء والأدباء .

ولكن السلطان استجاب فى النهاية لوسوسة ركسلانة فعـــزل إبراهيـم باشا ، إلا أنها لم تقنع بهذا ، بل طلبت من زوجها أن يقتله ، ولم تشفع للرجـل مكانته وإنجازاته ، فقد اغتيل فى ٥ / ٣ / ١٥٣٦ وهو يدخـل القصـر ليـلاً ليتناول طعام العشاء مع السلطان ، وهكذا قتل الصدر الأعظم غـدراً وغيلتـه دون أن يوجه له اتهام واحد ، أو يقدم إلى أية محاكمة .

ولم تقف المؤامرة عند هذا الحد ، بل اختارت الباسمة أحد المقربيـن إليها ، ويدعى رستم باشا ليخلف الصدر الأعظم القتيل ، ورأت أنـه سـيكون عوناً لها فى تحقيق حلمها بتعيين ابنها ولياً للعهد ، فزوجته إحدى بناتها ، وكان فى النهاية ألعوبة فى يدها تحركه كيف شاءت ، وأنى شاءت ، وأغدق السلطان على صهره ، الصدر الأعظم الكثير من الرعاية والعناية ، كما انتهز الرجـل مصاهرته للسلطان ، فعب من جميع وسائل الكسب غير المشروعة طمعاً فـى الإثراء السريع الحرام .

أما السلطان فقد غض الطرف عن انحرافات رستم باشـا واسـتغلاله المشين لمنصبه الكبير ، الذى وضع يده على عدة قرى كبيرة من أملاك الدولة وأوقف لنفسه مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية ، التى كانت مخصصـة للمحاربين .

٣- ولما اشتعلت الحرب مرة أخرى بين العثمانيين وبين الصفويين فى فـارس عام ١٥٤٨ سنحت لركسلانة الفرصة التى طال انتظارها للتخلـص مـن ولى العهد ، الأمير مصطفى ، ويقال بأن هذه الحرب قد قامت بإيعاز منها فقد كانت تتبادل المراسلات مع زوجة طماسب الأول (١٥٢٤ - ١٥٧٦) شاه الدولة الصفوية .

واتفقت ركسلانة مع رستم باشا على إيغار صدر السلطان ضـد ابنـه وولى عهده الأمير مصطفى ، فأدخل رستم باشا فى روع السـلطان أن ولـى

العهد يتآمر مع الفرس لتحقيق مآرب شخصية له ، وعاد فأبلغ السلطان أنه سمع الجند يقولون : إن السلطان قد غدا رجلاً طاعناً فى السن ، ووهن منه العظم ، فلا يستطيع خوض المعارك ، وقد آن الأوان للمناداة بالأمير مصطفى سلطاناً ، وتنحية والده رحمة به ، وشفقة عليه .

وقد آتت هذه الوشاية أكلها ، فأصبح الأب يتوجس خيفة من ابنه وولى عهده ، وانتهى السلطان إلى ضرورة التخلص من الأمير بقتله ، ولكنه أراد أن يسكت وخزاً فى الضمير ، أو قل بقية من صوت فى الضمير ، فاستفتى شيخ الإسلام فى هذه القضية على هذا النحو :

كان فى استانبول تاجر ثرى ، ذو مركز اجتماعى مرموق ، تطلبت تجارته أن يغيب عن العاصمة بعض الوقت ، وعهد إلى عبد له - كثيراً ما أحسن إليه - أن يشرف على أعماله ، ويرعى فى ذات الوقت زوجته وأولاده أثناء غيابه ، ولم يكد التاجر يغادر استانبول حتى سعى العبد لاختلاس أموال سيده ، وتدمير تجارته ، وتآمر على حياة زوجته وأولاده .

وبعد هذه القصة الخيالية سأل السلطان شيخ الإسلام : ما هى العقوبة العادلة التى يستحقها هذا العبد ؟ إنه يستحق الإعدام ، وهنا ازداد سليمان القانونى تصميماً على قتل ابنه وولى عهده تأسيساً على أن خيانة الابن لوالده لا تقل فى بشاعتها عن خيانة العبد لسيده التاجر فى استانبول !! .

وبعث السلطان فى استدعاء ابنه إلى آماسيا [1] ، حيث كان يعسكر الأب بجيشه ، وهنا خشى أصدقاء الأمير مغبة هذه المقابلة ، فنصحوه بعدم الذهاب إلى السلطان ، ولكنه رفض قائلاً : إن طاعة الوالدين أمر يفرضه الدين ، وإنه

---

(١) تقع آماسيا إلى الشرق من استانبول ، وإلى الشمال الشرقى من أنقرة ، بالقرب من السواحل الجنوبية للبحر الأسود .

لم يرتكب عملاً يخشى منه غضب والده ، وأنه إذا قتله فهو على كـــل حـال والده ، وهو الذى أتى به إلى هذه الحياة .

ويبدو أن الأمير لم يك يتصور ما يدور من أوهام وخيـالات زرعـها الصدر الأعظم وركسلانة فى قلب السلطان الولـــهان ، فذهـب فـى جـرأة وشجاعة ، وبمجرد أن دخل على أبيه خيمته ، أعطى الوالـــد إشـارة الغـدر فانقض على الأمير – رحمه الله – ثلاثة من الجلادين ، فقتلـــوه أمـام عيـن السلطان المحب المتيم ، وكانت المأساة فى ٢١ / ٩ / ١٥٥٣ لها أسوء النتـائج وأشدها ، فقد حرمت الدولة من سلطان مرتقب هو الأمير مصطفـــى ، الـذى أجمع معاصروه على أنه كان يتمتع بكفايات ممتازة ، تجعله جديـــراً بارتقـاء العرش خلفاً للسلاطين العظام قبله .

٤- وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل إن الأمير كان موضع احتقار شـــديد من الجيش ، فقد كانت تصرفاته المشينة موضع حديث الناس ، ومن ثـــم وقف الجيش ضد ولاية العهد الجديدة ، وهنا داعبت الآمال الابن الثـــانى لركسلانة ، فأراد أن يستأثر بولاية العهد ، دون أخيه الأكـبر ، فاسـتعان بقوات أخرى من الجيش ، واندلعت الحرب الأهلية ، وحدث انقسام خطـير داخل الجيش ، وماتت السلطانة ركسلانة فى بداية هذه الحرب ، وحـــزن عليها سليمان حزناً شديداً أصبح مضرب الأمثال ، ومما تسير به الركبان.

وعلى الرغم من أحزان السلطان وشيخوخته فقد سار على رأس قـوات من جيشه لمحاربة ابنه الأمير الذى خرج عن طاعته ، واستطاع بمعاونة ابنـه سليم إيقاع هزيمة ساحقة بالأمير الصغير فى قونية سنة ١٥٥٩ ، وفر الأمـــير المنهزم إلى فارس ، فطلب والده من طماسب الأول تسليم الأمير اللاجئ لقـــاء ٤٠٠ ألف قطعة ذهبية ، وكانت نهاية الأمير مروعة ، لقد ذبح وأولاده الخمسة سنة ١٥٦١م .

٥- انتقل العرش غدراً وغيلة إلى الأمير سليم الذى ارتقى العرش باسم السلطان سليم الثانى (١٥٦٦ - ١٥٧٤) عقب وفاة السلطان سليمان وكانت حياته الخاصة تتشح بأقذر أنواع الرذائل ، يشعر المرء بالخجل عند سماعها ، إسراف فى شرب الخمور ، بحيث لا يفيق من سكره إلا لماماً حتى أطلقت عليه الجماهير (سليم مست) أى سليم السكير ، أو سليم نصف الروسى إشارة إلى أمه .

وكان يقضى أوقاته داخل القصر ، يمارس هواياته مطلقاً العنان لشهواته ومسامراً حثالة الناس فى حاشيته ، لم يذهب قط إلى سوح القتال وكان أول سلطان فى الدولة العثمانية لا يخرج للحرب .

وفى عهد سليم الثانى خسرت الدولة أفدح الخسائر فى معركة لبانت البحرية فى ٧ / ١٠ / ١٥٧١ ، ثلاثمائة سفينة ، معظمها دمر ، وغرق وبعضها أسر ، ولم ينج غير ثلاث سفن فقط ، تمكنت أن تلوذ بالفرار .

أما الخسائر فى الأرواح فبلغت زهاء عشرين ألفاً عدا العديد من كبار القادة ، كل هذه الخسائر فى ثلاث ساعات فقط ، وكانت هذه المعركة الحربية إحدى أكبر معركتين بحريتين كبيرتين فى القرن السادس عشر .

على أية حال فإن المؤرخين يجمعون على أن حكم سليم الثانى [١] كان البداية الحقيقية والفعلية لاضمحلال الدولة العثمانية ، فقد جلبت مؤامرات ركسلانة الكوارث على مستقبل الدولة ، أو بعبارة أخرى لقد وضعت هذه المرأة أهم مسمار فى نعش الدولة العثمانية ، لا نقول هى وحدها ، ولكن هى وفريق عمل معها ، فقد كانت - فى رأينا - رأس الحربة فقط ، وصدق الله تعالى حين قال فى سورة يوسف ، عليه السلام : (إن كيدكن عظيم) ووصف

---

(١) وتقول بعض الروايات ، إنه ابن خادم أرمنى .

كيد الشيطان بقوله : (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) [1] ويقول سيد الخلق ﷺ : (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) [2] وفى رواية أخرى : (ما أخاف على أمتى فتنة أخوف عليها من النساء والخمر) .

اليهود فى أكرانيا : بعد هذا الاستطراد الذى أوضحنا فيه دور ركسلانة نعود إلى المجتمع الأكرانى فنخص اليهودى بكلمة نقول فيها :

إن عدد اليهودى فى أكرانيا سبعة ملايين ، عدد كبير منهم فى منطقة البادول وسوقها ، فى ضواحى العاصمة ، فرئيسة الوزراء السابقة جولدا مائير من هذا المنطقة ، وقد هاجرت إلى فلسطين ١٩١٤م ، وكذلك موشى ديان من أكرانيا أيضاً ، فقد هاجر من هذا البلد ٣٠٠ ألف يهودى ، وربما أكثر .

كما يوجد عدد كبير من اليهود فى جنوب البلاد ، لا سيما ميناء أودسا والذى كان يسمى قلعة خوجه باشا ، وللجالية اليهودية هناك نشاط واضح خاصة فى التجارة ، لأن هذا الميناء من أهم الموانئ الأكرانية ، وكذلك محاولات دءوب لإقناع اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، وبطبيعة الحال فالناس تحت وطأة الحكم الشيوعى كانوا يستجيبون ، أو كانوا يتسابقون بسبب القهر السوفيتى ، أما الآن فيدفعهم ما يعانون من ضائعة اقتصادية وبطالة ، ولكن المشكلة أن معظم من يهاجر يكون من الكوادر المهمة ، ذات الكفاءة والتعليم المتميز ، وهو ما يحرم البلاد من هذه الكوادر الضرورية ، خاصة فى مرحلة ما بعد الاستقلال ، وبناء جهاز للحكم والإدارة ، يحل محل النظام السوفيتى القديم .

---

(١) ٧٦ النساء .

(٢) رواه الشيخان .

ويتحدث أحد الباحثين المصريين عن جذور الوجـود اليـهودى فـى أكرانيا ، فيقول : بولندا ضمت أكرانيا فى أواخر القرن السادس عشر ، وقـد كان احتلال بولندا لجارتها أكرانيا أهم حدث فى تاريخ الجماعة اليهودية فـى بولندا ، ومن ثم أهم حدث لليهود واليهودية ، كان أحد التقاليد المعمول بها فـى بولندا أن طبقة النبلاء يجب ألا تعمل بالتجارة والمال حتى وصل النبيـل إلـى درجة شديدة من الفقر ، ولذا كان يطلق عليهم النبلاء الحفاة ، ولذا تم اختيـار اليهود لإدارة الأملاك والضياع التى يملكها النبلاء البولنديـون فـى أكرانيـا المحتلة كوكلاء عنهم .

وذهب اليهود لاعتصار الفلاحين الأكرانيين لصالح نبلاء بولندا، فقاموا ببناء مدن خاصة بهم ، كانت مراكز للسلطة تمثل النبيل الإقطاعى ، وتسـتغل الفلاحين لصالحه ، لذلك كان اليهود باستمرار فى حالة تهديد ، تحميهم القـوة العسكرية البولندية ، كما كانوا يتدربون على السلاح .

لقد كان هناك تقسيم ثلاثى ، نبلاء بولنديون كـاثوليك ، ثـم وكـلاء تجاريون يهود ... وفلاحون أكرانيون أرثوذكس ، يتحدثون الأكرانية ، وعندما قامت انتفاضات الفلاحين الأكرانيين اكتسحتهم الجيوش البولندية واليهودية .

لذلك فإن هذا الجزء هو أكبر تشكيل يهودى فى أوربا ، وبتعبير آخر : الاستيطان جزء من تجربة الجماعة اليهودية فى بولندا ، جـزء مـن تجربـة الوجدان اليهودى هناك ، فهو فى الأساس وجدان بولندى ... انتهى .

كلمة عن الاقتصاد فى أكرانيا : ذكرنا أن أهم تحدٍ أمام النـاس فـى الديار الأكرانية هو ضعف المرتبات ، وعدم انتظامها ، إضافة إلى ترك النـاس لآليات السوق ، ولولا الزراعة والنتاج – تربية الحيوان والثروة الداجنة – لمـا استطاع الناس الصمود أمام هذا التحدى .

والعملة الأكرانية الجرفنة بدأت من ١,٨ للدولار الواحد إلى ما يزيد عن أربعة جرفنات للدولار ، ويتوقع الخبراء بأنه الدولار سوف يرتفع إلى ست جرفنات أو أكثر .

ومقارنة بما رأيت فى جنوب شرق آسيا وغيرها من المناطق فإنك تجد فى أكرانيا بعض الإجراءات ليست فى غيرها من الدول ، منها :

١- إثبات ما معك من دولارات أو ذهب ... إلخ على إقرار ، توقعه عند الدخول إلى البلاد ، وعندما تخرج عليك أن تثبت ما معك من ذهب أو عملات صعبة - خاصة الدولار - ولا تستطيع أن تخرج ومعك أكثر من ألف دولار ، فالألف هو الحد المسموح به فقط للمواطنين والأجانب على السواء .

كما أن عملية تحويل العملات الأجنبية من أكرانيا ليست سهلة ، لابد أن تتم عن طريق المصارف ، وبعد أن تثبت مصدرها ، وأن تدفع ما يطلب من رسوم ، هى أكثر مما وجدته فى المصارف الماليزية .

بل إنك فى ماليزيا وغيرها من دول شرق آسيا التى زرتها تستطيع أن تدخل إلى البلاد وتخرج بأية كمية من العملات الصعبة أو الذهب ، دون أن تسأل عن شيء ، وفى المصارف تجد الرسوم والإجراءات بسيطة جداً ، لا تكاد تذكر .

٢- لا توجد تأشيرة سياحية لأكرانيا ، إلا إذا كنت ضمن وفد سياحى فقط ، أو فى رحلة عمل ، إنك تستطيع بسهولة أن تحصل على تأشيرة دخول لتايلاند أو ماليزيا مثلاً ، من المطار ، أو من السفارة فى بلدك ، أما فى أكرانيا فالأمر مختلف .

بل إذا حصلت على الإقامة وأردت السفر إلى خارج أكرانيا ، عليك أن تحصل على تأشيرة للخروج محددة المدة ، وكذا الدخول مرة أخرى ، وعندما

تخرج بشكل نهائى عليك أن تحصل على تأشيرة مسبقة للخروج ، وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور .

ولذا فإن من يعمل بالتجارة من الأجانب - وهم كثر فى أكرانيا - أو من المواطنين كثيراً ما يتعرض للابتزاز ، فيدفع بالتى هى أحسن ، أو يعاقب بطريقة أهل السوق حتى يرضخ ، أو ينصرف لعمل آخر ، فقد حكى عن صاحب أحد المطاعم فى العاصمة أنه كان يجد نفسه فى كل يوم أمام عدد من المبتزين الذين يأكلون دون أن يدفعوا شيئاً ، وفى النهاية اضطر إلى إغلاق المطعم .

ذهبت مرة لزيارة أحد المدرسين العرب فى الجامعة الحمراء فذكر لى أن رئيسة قسمه توزع بعض الحلوى والطعام فى أربعين زوجها ، الذى اغتيل على يد مجهولين عند صعوده درج منزله ، وكان القتيل عقيداً فى مباحث الأموال العامة فى العاصمة ، يحقق فى بعض القضايا الكبرى فى مجال الأموال ، وقد وصلته تهديدات عديدة ، ونفذ المهددون وعيدهم ، وقيل لى بأن هذى الحالة لم تك الوحيدة من هذا النوع ، فإن قوى الفساد تهدد وتتوعد كل من يجرؤ على مخالفتها ، ولا تتورع عن تنفيذ ما تتوعد به .

وفى يوم واحد [1] حكم على قاتل محترف بالإعدام ، لقد قتل اثنتين وخمسين ضحية فقط ، ومن ثم فإن الفقر يدفع الناس إلى الجريمة ، أو إلى التسول ، بطريقة أو بأخرى - كما سبق - كما أن الفساد الاقتصادى لا تحده حدود ، ولا تقف أمامه عوائق من أى نوع ، لا سيما فى ظل ظروف معيشية صعبة ، تجعل المرء يفعل أى شىء كى يطعم نفسه وأسرته .

(١) فى ١ / ٤ / ١٩٩٩ .

ولا ننسى أن المجتمع هناك لا تحكم ضوابط من الدين أو الأخــلاق أو الخوف من الفضيحة أمام الأسرة ، أو العائلة ، أو المجتمع ، كما هو عندنا فـى العالم العربى ، إذ برغم ما أصاب مجتمعاتنا فما زالت بقية ، من الناس عندنـــا قلت أو كثرت ، تحكمها ضوابط ، لا يستطيعون تجاوزها ، فلله الحمد والمنة .

رأى شاهد عيان : وننهى الحديث عن الناس فى أكرانيا والمجتمع هنـــاك برأى شاهد عيان ، من العرب الذين عاشوا فى أكرانيا قرابة عشـــر ســنوات يقول :

فى البداية يمكن القول بصراحة إن الأوضاع فى أكرانيا تعتمد علـــى الحالة الاقتصادية التى تمر بها البلد ، ومع مرور الأيام تختلف من مرحلة إلـى أخرى ، فقد كان هذا الشعب مضطهداً على مر التاريخ .

وقد كانت الأوضاع الاجتماعية مختلفة جداً عن الوضع الحالى، فكانت الأخلاق والأدب أكثر بسبب العلاقات الاجتماعية التى تعتمد على وضع سياسى ثابت ، وكانت هناك طبقتان ، الأولى ـ ـة القوم من الأغنياء ، والثانية الطبقـة العاملة الفقيرة .

الطبقة الأولى كان لها مبادئ وأخلاق وتربيـــة خاصـــة ، والنظـام الاجتماعى عندهم على أعلى مستوى من الأخلاق ، بسبب تخصيص مرب لكل عائلة ، يعمل على تربية الأطفال وتعليمـــهم مختلـف الآداب والتعـامل مـع الآخرين ، ولذا ينشأ الطفل على هذا المستوى ، فيكون على درجة عالية مـــن التربية .

الطبقة الثانية أيضاً لها مبادؤها وأخلاقها وتربيتها الخاصة بها التـى تتفق مع غياب الوضع المادى الذى يتيح لها تربية راقية كما هو عند الطبقـــة

الغنية ، وكل هذا كان قبل الثورة البلشفية ، أما بعد الثورة فقد تغيرت الأوضاع الاجتماعية تغيراً جذرياً ، تغيرت جميع المفاهيم ، وتحولت إلى مفاهيم ثورية .

فقد جاء الحكم بالطبقة العاملة ، التى لم تك على قدر كبير من التربية والتعليم ، فلا يمكن القول بأن المجتمع الجديد ذو تربية عالية .

ولذا فالشعب الآن تعتمد مفاهيمه على الوضع الاقتصادى ، ففى خلال سبعين سنة من الحكم الشيوعى القوى ربى فى الناس مفاهيم خاصة ، لا يمكن تغييرها فى يوم وليلة ، وهو ما كان سبب تأخرهم عن العالم بشكل عام ؛ لأن الشعب الآن يتخبط فى أوهام ، ولا يعرف كيف يخرج منها ، ولا يستطيع أن يتماشى مع معطيات العصر ، ولذلك لابد من زمن طويل يمر حتى يتغير تفكير القوم ومفاهيمهم .

فعلى سبيل المثال نرى الآن أشياء كثيرة غير مفهومة ، خصوصاً لنا فى العالم العربى ، بسبب غياب الدين ، حيث تأثيره ضعيف جداً ، فهنا لا نرى الصدق والأمانة والعمل الصادق والدقيق ، وبناء عليه تظهر الرشوة ، وبطء العمل ، وقلة الإنتاج ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الشعب على مدار التاريخ كان دائماً يجرى وراء لقمة العيش الصعبة .

أما اختلاف المفاهيم بين الناس هنا والعالم العربى فيتجلى فيما يلى :

أولا : من صور اختلاف المفاهيم أن ما هو عندنا عيب وحرام وغير مقبول دينيا واجتماعيا وسياسيا هو عندهم شىء طبيعى وعادى ، لذا لا يمكن المقارنة ، ولا يجوز الحكم عليهم من منظور مفاهيمنا وعاداتنا، والعكس صحيح .

ثانيا : وهنا يتدخل الوضع السياسى تدخلا مباشرا ، فالحكومة الآن لا تهتم بالشباب ، ولذا ترى الشباب الآن لا يهتمون بشىء يدور حولهم ، فلهم

حياتهم الخاصة ، وهى الشرب واللعب ، وتلبية رغباتهم التى كانوا محرومين منها ، وهم الآن يقارنون أنفسهم بالشباب فى البلدان الأوربية الغربية ، وكما هو معروف فالشباب هم المستقبل ، إذ يمكن تحديد مستقبل أية دولة اعتماداً على شبابها .

حكايات وطرائف :

هذه مجموعة من الطُرَف التى سمعناها من بعض لقينا أو من بعض الإذاعات العربية التى كنا نلتقطها ، مع تعقيب لنا عليها :

١- نبدأ بموضوع اللافتات ، فكلها هنا باللغة الروسية أو الأكرانية ، ولا توجد هنا هذه (الهوجة) والفوضى من اللافتات الأجنبية ، كما تجد فى مصر العربية ، مصر الأزهر ، سواء فى قاهرة المعز ، أو الكفور والنجوع والعزب ناهيك عن المدن الكبرى ، وهو ما أصبح قذى فى أعين محبى العربية ، لا يصح عليه السكوت بعد الآن ، فإن هذا مما يشوه وجهاً مهماً من أوجه بلدنا المقرون بالأزهر وغيره من معاقل دراسة العربية وعلمائها وفرسانها ومحققى تراثها .

وقد تجد المؤسسات غير الأكرانية التى تختار بعض الأسماء التى تنتمى إلى بلدها ، ولكنها تكتبها باللغة الروسية ، وإن كتبت إلى جانبها بلغة أخرى ، كما نجد مثلاً فى أحد المطاعم التركية فى كييف ، اختاروا له اسم بوسفور استانبول ، لكن كتبوه فى الأساس بلغة البلد .

ومن الممكن أن تجد بعض اللافتات العربية ، وبالحرف العربى ، فى شوارع مهمة من العاصمة ، إذ ترى العين : (ليالى أودسا) أو (ست الجمال) ... إلخ .

بل إن مسجد كييف تزينه لافتة عربية ، بخط جميل رائع ، دون معهود الأخطاء المألوفة فى بلدنا ، وإن كان المسجد تحت الإنشاء ، إنها تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
برعاية رئيس الدولة ليونيد كوتشما
تقوم الإدارة الدينية لمسلمى أكرانيا
ببناء مسجد الرحمة

وبطبيعة الحال إلى جانب هذا الكلام ترجمته بلغة البلد ، ومعنى هـــذا أننا إذا كنا مضطرين لكتابة أجنبية فلا بأس ، إن كان ثم اضطرار أو حاجـــة على الأقل ، لكن لغتنا أولاً ، وبشكل أبرز ، وإلى جانبها الترجمة التى نريد .

٢- الانتفاضة الفلسطينية : فى أكرانيا تعرفت عـــن قـــرب ببعـــض الفلسطينيين وكنت أحلل ما يقولون وما يفعلون ، فأول مرة عرفـــت فيـــها فلسطينيين كان فى جامعة القاهرة نهاية الستينات ، وشتان بين هـــذا العـــهد البعيد ، وما نحن فيه الآن ، كما عرفت بعض اليهود بحكم العمل فى قســـم اللغة العربية بجامعة كييف ، سواء من الطلاب ، أو المدرسين ، أو مديـــر الجامعة جالى إسحاقوفيتش ، أى جالى بن إسحاق .

أما الشخصية الفلسطينية ، فإن تأثير فقد الوطن والبحـــث عـــن لقمـــة العيش ، فى أى وطن مؤقت أو بديل هما أهم عناصر هذه الشخصية فيما رأيت أو أهم موجهاتها .

أما عن الشخصية اليهودية ، فأنقل هنا رأى أحد أبناء فلسطين في محتليهم :

أ - مناقشة الرأى الآخر وتقبله .

ب- القدرة على الاختراق .

جـ- الرضوخ حتى تمر العاصفة .

د - الدأب والصبر وعدم العجلة .

يقول محدثى : (فى حين يؤمن العرب بأحادية الرأى) وأنا أقول : نحن العرب لا نؤمن بأحادية الرأى فقط ، لكننا نربى عليها منذ نعومة أظافرنا فرأى الأب دائماً هو الرأى ، الذى لا رأى بعده ، وكذا المدرس في الفصل والأستاذ فى مدرجات الجامعة ، والوزير والمدير والعميد ... الخ ، وهو ما يجب التخلص منه ، شريطة أن لا نقع فى التطرف على الجانب الآخر، فيكون الأب أو رئيس العمل ريشة فى مهب الريح ، يحركه مدير مكتبه ، وأحياناً الفراش [1] المقرب من سيادته .

وقبل أن أختم كلام محدثى عن الشخصية اليهودية ، نثبت ما قاله عن تعليم العربية فى فلسطين :

أ - فهم يبدءون بالعامية القريبة من الفصحى .

ب- لديهم تخصصات فى شتى اللهجات العربية .

جـ- يجلس فى الفصل متخصص فى علم النفس ليعطى نصائحه للمعلم.

على أية حال نعود إلى رأى العرب فى بنى عمومتهم ، فننقل أراء بعض الأساتذة المصريين المطلعين :

---

(١) خادمه فى العمل .

أ - يهتم اليهود بالتجارة ويركزون عليها ، فـــإن أمســكوا بخيــوط التجــارة والاقتصاد ، سيطروا على الحكام والرعية ، وهنا قلت لمحدثى ، لمــاذا لا نتعلم نحن من قول معلم البشرية ﷺ : (تشعة أعشراء البركة فى التجــارة وعشر فى السابياء [1]) ؟ .

ب- يأتى اليهودى فيبنى على بناء من سبقه ، ولا يهدمه ليبنى هو من جديد، أو من نقطة الصفر ، فكل لاحق يكمل عمل من سبق ، ولا ينقضه .

جـ- أكثر الجاليات تعاوناً فى الغربة الجالية اليهودية ، فإن حضر أحد منـــهم قاموا باستقباله واستضافته ، وتذليل كل الصعاب أمامه فى المجتمع الجديـد حتى يستقر به المقام ، وتحل مشكلاته .

إنه هذا ليذكر بقول الإمام على - رضى الله عنه : (إن أهــل البيــت ليجمعون ، ويتواسون - وهم فجرة - فيرزقهم الله ، وإن أهل البيت ليتفرقــون ويقطع بعضهم بعضا ، فيحرمهم ا لله ، وهُم أتقياء) وقيل أيضاً : (إن القــوم ليكونون فجاراً ، فيتواصلون فتنمى أموالهم ، ويثرون) ياإلهى !! أيعقل هـــذا - بعض من بنى قومنا - الذين كرسوا حياتهم وأوقاتهم وكل ما يملكون للكيــد للآخرين ومحاربتهم بشتى الوسائل والسُّبل ؟ (إن فى ذلك لذكرى لمن كان لــه قلب ، أو ألقى السمع ، وهو شهيد [2]).

د - وأسطيع القول بأن اليهودى يعاملك معاملة التاجر ، إن احتاج إليــك قبــل يدك ، وربما ... وإن احتجت إليه أنف أن تتجه إليه لتقبل يده ، وبكل أسف فإن هذا منطق كثير ممن نقع فى براثنهم ، ولذا يقول سيد الخلق ﷺ معلمــاً

---

(١) السابياء ، الزراعة والنتاج - الثروة الحيوانية والداجنة - وقد وجدت هذا الحديث بــهذا النص فى لسان العرب لابن منظور ، مادة (س ب ى) .

(٢) ٣٧ ق .

أحد أصحابه : (لا تقل : اللهم لا تحوجنى إلى الناس ، ولكن قل : اللهم لاتحوجنى إلى شرار الناس) .

نخرج من هذا الحديث عن كلا الشخصيتين الفلسطينية واليهودية إلى الانتفاضة الفلسطينية ، فقد قيل لى :

أ – إن هذه الانتفاضة بدأت بالعملاء والجواسيس الذين يعملون لحساب الطرف الآخر .

ب– كثيراً ما كان يعيش الفلسطينيون فى ظلام ، يسيرون معتمدين على السمع فقط ، فإن أحسوا بأحد لا يعرفون هويته صاحوا : (لا إله إلا الله) وعندما يسمعها المسلم ، يرد على الفور : (محمد رسول الله) وهنا تتحدد هويته ، فإن سكت وصمت عرفوا أنه ليس منهم .

جـ– أثناء مظاهرات الانتفاضة تبقى كل البيوت مفتحة الأبواب ، حتى يتمكن المنتفضون من دخول أقرب بيت يحميهم من مطارديهم المدججين بالسلاح.

د – الشوارع فى غزة ومخيماتها ضيقة جداً ، ولذا من السهل على المنتفض أن ينتقل من سطح بيت إلى آخر ، حتى يبلغ مأمنه .

ونختم ما نقوله عن الانتفاضة بشىء قد يكون بعيداً فى المكان والجغرافية ، ولكنه مرتبط بالموضوع محيط به إحاطة السوار بالمعصم ، وهو المقاومة فى لبنان ، إذ توضع صناديق باسم المقاومة فى كل بيت لبنانى مسيحياً أو مسلماً ، وذلك حتى يتذكر كل الناس المقاومة ، وفى كل وقت وخاصة الأطفال ، وليس المهم المال هنا ، قليلاً أو كثيراً ، وإنما المهم أن تبقى المقاومة ماثلة أمام أعين الناس ، ليل نهار ، فى كل وقت وحين وآن .

٣- فيروس الخنازير : نقلت وسائل الإعلام - فى ١١ / ٤ / ١٩٩٩ - أن أحد الفيروسات ينتقل من الخنازير إلى الناس فى قرية من قرى ماليزيا فقتل ٩٣ من أبناء القرية ، وقد أعدمت ماليزيا ٣/٤ مليون خنزير للقضاء على الفيروس الذى سمى باسم القرية التى ظهر بها ، وقد نشرت إحدى الصحف الأكرانية أن ماليزيا قد أعدمت ٣٨٠ ألف خنزير فى يوم واحد فقط.

وقد سألنا الأكران ، ومن يأكل لحم الخنزير : ما رأيكم الآن ؟ قالوا : لا ، هذا فى الخنازير الماليزية ، أما الخنازير الأكرانية فهى سليمة مائة فى المائة من أى فيروس ، فلله فى خلقه شئون وشئون .

٤- مصرف إسلامى فى تايلاند : وفى ١٣ / ١٢ / ١٩٩٨ تحدث القسم العربى فى هيئة الإذاعة العربية ، وفى إحدى نشرات الأخبار عن مصرف إسلامى فى تايلاند ، وفرع للمعاملات الإسلامية لخدمة الناس فى الجنوب ونحن نعلق على هذا الخبر بما يلى :

أ - إن هذا البلد سينهض نهضة قوية - فى رأيى - لسبب مهم ، وهو أن رياحا من الحرية تهب على البلاد ، وخاصة فى الجنوب ، حيث برزت زعامات قوية فى البرلمان والوزارات ومجلس الشيوخ ...الخ .

ب- لقد أصبحت المصارف أداة مهمة للاقتصاد ، وإن كثيرا من الناس لا يتصور الحياة بدونها ، وآخرون يذهبون إلى تحريم التعامل معها ، والرأى أن المصارف يمكن أن تكون وسيلة مهمة لخدمة الناس وتيسير مصالحهم لصالحهم ، ويمكن أن تكون وسيلة من أهم وسائل الإضرار بالناس وضرب مصالح البلد من القواعد والأساس ، وكل هذا يخضع للتشريعات والقوانين والفعاليات التى تقوم بها المصارف ، وكذا للمنفذين داخل

المصرف وجمهور متعامليه ، ولذا يمكن أن يختار المتعامل الأسلوب والنشاط الذى لا يحرمه الشرع .

٥- الرابطة السلافية : جاء فى المعجم الوسيط (الصقالبة جيل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد البلغار ، وانتشروا الآن فى كثير من شرق أوربة ، وهم المسمون الآن بالسّلاف) .

واللغات السلافية تنتمى إلى فصيلة اللغات الهندية الأوربية ، ضمن مجموعة اللغات البلطيقية السلافية ، والتى تشمل شعبتين :

أ - شعبة اللغات البلطيقية : وهى الليتوانية ، لغة ليتوانيا ، التى تقع شمال غرب روسيا البيضاء ، ولغة لاتفيا ، وتقع شمال جمهورية ليتوانيا ، على خليج ريجا ، فى بحر البلطيق .

ب- شعبة اللغات السلافية (الصقالبية) : وهى السلافية القديمة والروسية والبولونية والتشيكية والصربية [١] - الكرواتية ، والبلغارية الحديثة ، أما البلغارية القديمة قبل أن يتغلب عليها اللسان الصقالبى (السلافى) فهى من فصيلة اللغات الفينية ، ويتكلم بها فى الحوض الأوسط لنهر الفولجا ويدخل فيها اللغات الفلندية ، إضافة إلى الأستونية [٢] والبلغارية القديمة .

على أية حال فإنه عندما نزح البلغاريون إلى البلقان وامتزجوا بشعوب الصقالبة - الشعوب السلافية - أخذت لغتهم تنهزم شيئاً فشيئاً أمام لغة هذه الشعوب حتى انقرضت ، وحل محلها لسان صقالبى ، وذلك لأن عدد

---

(١) الفرق بين الصربية والكرواتية أن الأولى تكتب بالحروف الروسية ، والثانية تكتب بالحروف اللاتينية .

(٢) تقع شمال لاتنيا وجنوب خليج فلندة - على بحر البلطيق - هذا الخليج الذى يفصل بين لاتفيا وبين فلندة التى سمى الخليج باسمها .

البلغاريين لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد الصقالبة الممتزجين بـــهم ، وكلتـــا الفئتين كانت إذ ذاك متواضعة فى مستوى حضارتها ، ومبلغ ثقافتـــها ، وقـــد حدث هذا التغلب مع اختلاف اللغتين فى الفصيلة ، فاللغـــات الصقالبـــة مـــن الفصيلة الهندية الأوربية ، ولغة البلغاريين الأصليين كانت من فصيلة أخـــرى كما سبق .

ولكن هذا التغلب لم يتم إلا بصعوبة ، وبعد أمـــد طويـــل ، وصـــراع عنيف ، خرجت منه اللغة الغالبة مشوهة محرفة فى ألســـنة المحدثيـــن مـــن الناطقين بها ، فبعدت بعداً عميقاً عن صورتها القديمة ، فالبلغارية الحديثة هـــى أكثر اللهجات الصقالبية تحريفاً وبعداً عن أصولها الأولى .

ونتساءل بعد هذا التطواف حول اللغات الصقالبية (الســـلافية [1]) هـــل هذه الشعوب التى تنتمى إلى هذى اللغات تجمعها رابطة سلافية ؟ إن اســـتقراء التاريخ يشير إلى أن هذه الشعوب قد خاضت فيما بينها حروباً ضاريـــة فـــى الماضى ، ومن أمثلة ذلك الحرب بين الروس وبين البولنيين ، فقد بدأت فصائل بولونية بالزحف على موسكو سنة ١٦٠٤م ، ودخلتها فى العام التالى .

وهذا القول يؤيده المستشرق الأكرانى ألكسندر بوجومولوف الذى ذكـــر لى (أن الرابطة السلافية هى أقرب ما تكون إلى خدعة سياسية) ولـــم يـــك تعاون الاتحاد السوفيتى السابق مع شرق أوربة من قبيـــل الرابطـــة الســـلافية وإنما فرضه منطق القوة ، ولاسيما العسكرية منها .

عودة إلى السكن :

نعود مرة أخرى للحديث عن السكن الذى تفضلت بـــه الجامعة ، حيث نتحدث عن بعض المشكلات الصحية والغذائية والبرد القـــارس

---

(١) وافى ، د. على عبد الواحد : علم اللغة ، انظر ص ١٩٩ ، ٢١١ ، ٢٣١ .

ثم وصف الزملاء فى السكن ، وأخيراً مشروع أشهر خمسين كلمة فى سبع لغات مختلفة :

أولاً – المشكلات : أول مشكلة كان علىّ مواجهتها هى البرد الشديد القارس – بالسين والصاد – الذى يصل درجات ودركات تحت الصفر ، لعله بلا حسد يصل ٣٠ درجة تحت الصفر ، وقد صدرت تحذيرات حازمة من كلى من أعرف من هذا البرد ، قبل أن يحل علينا .

وفى هذه الحال تذكرت أحد الخطباء فى مصر يحكى عن سيد الخلق ﷺ أمره لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه – بقوله : (يا علىّ ، خفف الرداء) نخفف الرداء !! وماذا نصنع فى البرد الساقع الصاقع ؟ لقد اتضح لى أن اتقاء البرد له أصوله وقواعده ، وليس بارتداء الثقيل من الملابس ، كيف ؟ هناك نقاط مهمة فى الجسم تجب حمايتها والتركيز عليها أولاً ، وقبل كل شىء وهى : الرأس والأذن [1] ، وفتحة الصدر – الجيب – والرقبة والأطراف اليدان والقدمان ، وعليه فإن الطاقية والا يحة والقفازين والحذاء المناسب هى أهم شىء يُتقى به البرد ، وباقى الملابس يمكن أن تكون كملابس الشتاء فى مصر ، مع معطف مناسب ، أو معطفة – جاكت – كل هذا خارج البيت ، أما داخل البيت فله شأن آخر ، سوف نتحدث عنه .

وقد ظهرت لى مشكلة أخرى هى الانزلاق على الجليد فى الشوارع وخاصة أن الطرق كثيراً ما ترتفع وتنخفض ، بالإضافة إلى أنها ناعمة جداً

---

(١) وخاصة الأذن الوسطى ، التى تتكون من الطبلة وهى غشاء رقيق جداً جداً ، مساحته حوالى سنتيمتر مربع ، ثم المطرقة والسندان والركاب ، وهى عظيمات صغيرة فى حجم رأس الدبوس ، أو ظفر اليد الصغير ، أو أصغر ، فالأذن جهاز صغير ضعيف جداً جداً جداً ، وإن كان من أدق أجهزة الجسم ، صنعة الخالق ، سبحانه وتعالى .

وزلجة إلى حد كبير ، ولذا فإن هذا يتطلب حرصاً شديداً فى المشى ، وإلا وجد الإنسان نفسه قد وقع على ظهره ، أو انكفأ علـــى وجهـــه ، وهـــو الأخطـــر وبالإضافة إلى الحرص الشديد فلابد من حذاء ذى نعل خشن ، غير مصقـــول حتى لا ينزلج مخلاً بتوازن صاحبه ، فضلاً عن الابتعاد عن الثلـــوج الصلبـــة اللامعة كأنها مرآة ، فإن القدم تزل عليها لا محالة ، بل الركون إلـــى الثلـــوج الهشة البيضاء ناصعة البياض .

أما البرد داخل المنزل فإنه بمجرد وصول التدفئة المركزية ، والمـــاء الساخن أربعاً وعشرين فى اليوم ، فإن المرء يتصرف بالداخل كأنه فى أيـــام الربيع ، يخلع معطفه ، وكل الملابس الشتوية ، دون أن يحس بـــالبرد ، وقـــد يضيف المرء مدفأة أخرى كهربية ، تعاون المدفأة الحديدية التى يمدها المـــاء الساخن طوال ساعات الليل والنهار بالدفء ، الذى ينبعث فى كل مكـــان فـــى البيت.

وبعد مشكلة البرد جاءت بعض المشكلات الصحيـــة ، أولـــها زيـــادة الحساسية فى الجلد ، نتيجة إغلاق باب الحجرة باستمرار ، فضلاً عن الإغلاق المحكم للنوافذ ، ولما عرف السبب كان الحل سهلاً ، وذلك بفتح باب الحجـــرة فترات طويلة لمحاولة التهوية .

وأما المشكلة الثانية فكانت مشكلة الإسهال ، ولذا حـــاولت الاســـتعانة بالمياه المعدنية والغازية ، ولكن عندما ذهب الشتاء لم يُجْد شيء من هذا نفعـــاً ولا جدوى ، حتى عولجت منه فى مصر .

وقد أشار ابن سينا - ٩٨٠ - ١٠٣٧م منذ عشرة قرون إلى الأمراض التى تنتقل بواسطة المياه غير النظيفة ، فرأى أنها تحتـــوى علـــى مخلوقـــات متناهية فى الصغر ، تسبب الأمراض ، ولا تراها العين ، ولذا نصـــح بغلـــى

الماء قبل استعماله ، وتقوية الجسد بالحمامات المائيــة والشمســية والتمــارين الرياضية .

وكان من المشكلات المهمة والقضايا الملحة مسألة الأكـــل ، خاصــة اللحوم والأسماك ، فأما الأخيرة فقد حذرنى أحد أصدقائى المخلصين بعدم أكلها بسبب الإشعاع الذى نجم عن حادث تشرنوبل فى ٢٦ / ٤ / ١٩٨٦ ، أى منــذ اثنى عشر عاماً تقريباً ، ونصحت بأكل السمك المستورد فقط ، ولكنـــى طلبــاً للسلامة والعافية أضربت مرغماً مكرهاً عن المحلى والمستورد كليهما ، وكـان هذا قراراً قاسياً وصعباً لشدة أهمية الأسماك ، من الناحية الغذائية .

أما اللحوم هناك فإن سعرها رخيص جداً ، يصل إلى ســـتة جنيــهات مصرية ، ولكن لا طعم لها ، كالماء الساقع ، ولذا كنت أحاول شراء اللحم مــن جزار مسلم بجوار المسجد الذى نصلى الجمعة فيه ، والتابع لـــلإدارة الدينيــة وأحياناً كان الحظ يسعدنا بلحوم من مصر ، أو فسيخ ، أو طعام بشكل عام من الوطن ، وكان له طعم ، أى طعم ، خاصة فى الغربة .

وثمة مشكلة طريفة أحكيها ، فبينما كنت أحدث صديقى ذات مســاء إذ وقعت نظارتى ، فانكسرت ، قلت لا بأس ، غداً أو بعد غد ، على الأكثر، نأتى بغيرها ، فى الصباح ذهبنا لمحل نظارات طبية ، كشفت وأعطتنى ورقة بـــها مقاس العدسات المطلوبة ، قدمناها للموظفة فى المحل ، نظرت قــالت : هــذه العدسات ليست عندنا ، قلت : لا بأس ، نذهب إلى محل آخر ، وفعلاً ذهبنا إلى محل ثان وثالث ورابع .. الخ ، والكل يجيب إجابة واحدة ، وبعــد لأى شــديد وجدنا شاباً متفاهماً متفهماً قال : أنظرونى أسبوعين ، أنظر هل نجدهـــا فـــى المصنع أم لا ؟ وبعد قرابة ثلاثة أسابيع قال : لا توجــد فـــى المصنـــع هــذه العدسات ، ثم اقترح أن نرسل إلى ألمانيا لعمل هذه العدسات النادرة ، أو إلـــى اليابان ، وهذا يستغرق فقط شهرين اثنين ، هذا إن صدق ، وإن أمكن هذا .

ولم يكن هناك حل غير إرسالها لتعمل فى مصر مع أحـــد أصدقــائى المسافرين للقاهرة ، وحتى يأتى صديقى بعد قضاء إجازته الطويلة كان لابـــد من حل ، ولذا اضطررت إلى أخذ الإطار القديم والعدسات القديمـــة لمحاولـــة لصقها حتى تأتى النظارة الجديدة من القاهرة ، وقد ذهبت إلى محل النظـــارات طالباً منهم العون وشارحاً طريقة إصلاح النظارة القديمة ، ولكنهم قـــالوا : لا يمكن ، ومن ثم قمت بنفسى بالمطلوب مستعيناً بمادة لاصقة جيدة ، ونجحـــت المحاولة ، حتى عادت النظارة الجديدة ، والتى تم عملها فى يومين اثنين، ليس إلا ، وعمار يا مصر ، أنت دائماً عامرة بالأيدى الماهرة ، والعقول النيّرة.

ثانياً – زملاء السكن : فى إحدى المدن الجامعية فـــى حـــى الســـالوت اختارت لنا الجامعة جناحاً فيه ثمانى غرف مفروشة ، لا بأس بها ، ولا عيـب غير المطبخ المشترك والحمام ، بعض الزملاء أو غيرهم من ضيوف الجامعـة كان يأتى فترة ويروح ، وبعضهم بقى مدةً طويلة ، يمكن أن نكتب عنهم ، وهم فرنسيون وتركى وإيطالى وألمان ، ثم الطلاب العرب .

أ – الفرنسيون – ونبدأ بهذين – أليك بيتى ، وصوفيا : وقد جاء الاثنـــان لدراسة اللغة الروسية ، وذكر لى أليك الذى كان يعرف الإنجليزيـــة أنـــه يريد أن يعمل فى بلده صحافياً ، وقليل من الفرنسيين من يعرف الروســـية ولذا رأى أن يضيف لنفسه شيئاً ، يميزه عن غريه بإتقان الروسية .

قضى فترة طويلة معنا ، ولم يسافر إلى بلده طيلة المدة التى قضيتـــها هناك ، التعامل معه سهل ، حيث كنت أكلمه بالإنجليزية ، وأحيانـــاً الفرنســـية وأمازحه كثيراً ، ويتفاعل معى بشكل جيد .

أما صوفيا فكانت إنجليزيتها ضعيفة ، ولذا كان التعامل معها أقل ، بـلى فى أضيق نطاق ، ولكنها من ناحية أخرى كانت مصدر إزعاج ، لا يطاق ، لا

يكف الطرق على باب الجناح بسببها ، أو بسبب من زوارها ، من الطلاب والطالبات ، على حد سواء من جميع الجنسيات ، حتى من العرب .

وقلما كانت تأتى للحديث معى ، إلا أنها جاءت مرة بعد العاشرة مساء لتقول لى بلغة إنجليزية مخلوطة بالفرنسية إن أليك قد تأخر – وقد بدا عليها القلق الشديد – قلت لها مطمئناً : لعل شغله شاغل ؟ قالت : لم يخبرنى بأنه سيتأخر !! قلت : لابد عندما يتأخر أن يخبرك ؟ قالت : لابد ، ولم أجد فى النهاية إلا أن أقول لها : la patience [1] الصبر ، ثم أردفت ممازحاً : إن غاب مرة أخرى سنخبر مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة .

وفى يوم آخر جاءت لتخبرنى بأنها سوف تسافر إلى بلدها ، فقلت فرحاً: بشكل نهائى ، روحة بلا رجعة ؟ قالت : " لا ، سأعود بعد شهور " الحمد لله ، لقد أصبح الجناح بعد رحيلها هادئاً تمام الهدوء .

ولكننا بعد رحيلها ابتلينا ببلوى أخرى ، أشد نكاية منها ، بحيث كانت صوفيا بالنسبة لهذه الأخيرة قديسة حقيقية .

اسمها ألكسانا ، فرنسية سمراء ، مدرسة – تحت التدريب – متخصصة فى تعليم الفرنسية للأجانب ، ، تقول بأنها من أم فرنسية ، وأب إفريقى من التوتسى ، كانت لها مشكلة مع الجامعة ، إنها تصر على أن يسكن معها صاحبها الأكرانى فى حجرتها التى أعطتها لها الجامعة التى لا توافق على ساكن آخر فى الحجرة ، فهى مخصصة لواحد ، وقد تحتاج الجامعة إلى إسكان أحد غيرها فى نفس الحجرة ، أى أن المشكلة عند إدارة الجامعة مشكلة شغل مكان ، ربما تحتاجه ، وليست مشكلة أخلاقية ، من أى نوع .

أما البنية فتسوق حججها بحماس منقطع النظير كما يلى :

---

(١) ولا أدرى لماذا كانت الكلمة مؤنثة فى الفرنسية ، منطق الفرنسية !! .

- لقد كنت مخيرة بين عدة بلاد للتدريب فيها على تعليم الفرنسية ، فـــاخترت كييف لأكون قريبة من صاحبى .
- أنا أسكن وحدى ، وليس معى أحد ، فهل هناك مشكلة أن ينام معى صـــاحبى وفى الحجرة سرير آخر شاغر .
- هو يقيم بعيداً عن المدينة ، وأنا أريد أن أراه فى كل وقت .
- منذ سن السابعة عشرة وأنا حرة ، أفعل ما أشاء ، وأحـــافظ علـــى نفســـى بطريقتى الخاصة ، ولا يحاسبنى أحد .

وقد شرحت لى هذه النقاط باستفاضة شديدة ، فهى تجيـــد الإنجليزيـــة فضلاً عن الروسية ، وكان رأيى الذى قلته لها : لقد جئت إلى الجامعة طبقـــاً لاتفاق يقضى بتوفير سكن خاص بك فقط ، دون آخر غيرك ، فالجامعة علـــى حق .

ولكنها شرحت هذه القضية كلها للناس ، كل الناس ، كل من قابلتـــهم سمعوا منها المسألة برمتها [1].

وفضلاً عن ما سبق فقد شرحت لى قضية النزاع بين الهوتو والتوتسى فى بلد أبيها ، وهو طبيب متخصص فى القلب ، وأبوه كان ملكاً ، وقد حكـــت لى هذه المرأة التوتسية الأب ، والفرنسية الأم ، أو التوتسو - فرنسية مأســـاة قوم أبيها فى بورندى [2] :

---

(١) أرأيت إلى انهيار الأسر ، وكيف آل الحال فى الغرب الأوربى ، إن البنت تجد نفســـها وحيدة ، دون أب أو أخ أو قريب من أى درجة ، فتقع فى أحضان أى رجـــل ، وبـــلا زواج أو مسئوليات ، انهيار الأسرة أصل الداء هنا .

(٢) جمهورية صغيرة تقع وسط إفريقية الاستوائية ، فى هضبة البحيرات ، قـــدر ســـكانها بأربعة ملايين نسمة ، انظر : شاكر - العالم الإسلامى ، ص ٢٧١ .

التوتسى ١٥% فقط ، ولكنهم كانوا ملوك البلد ، وكان الـهوتو عبيداً يعملون فى أراضيهم ، وهم ٨٠% ، التوتسو رعاة بقر ، والهوتو فلاحون، وقد قتل هؤلاء من التوتسى مليونين - كما ذكرت - قطعوا أثداء النساء حتى لا ترضع الأطفال ، قتلوا الرجال ، وقطعوا أرجل الفتيان ليكونوا مقعدين طوال حياتهم ، ومع هذا لم يتحرك المجتمع الدولى ، كما يفعل الآن فى ضرب الصرب فى كوسوفو .

كما كان بعض الفرنسيين غير من تكلمنا عنهم يأتى لفترة قصيرة ويذهب ، ولا ندرى عن هويتهم شيئاً ، هل هم سياح أو مدرسون ، أو ... أو ... الخ ، واحدة من هؤلاء ذكر أليك أنها أستاذة جامعية - هكذا قال لى - تعرف الإنجليزية بشكل جيد ، ويبدو أنها مثقفة قالت إنها متخصصة فى الحضارة ، وسألتنى مرة عن تاريخ ميلاد الرسول ﷺ باليوم والشهر والسنة ؟ قالت : إنها تدرس لطلابها الديانات وأصحابها ورسلها ، وهى لا تعرف هذه المعلومة ، قد شرفت الدنيا بمولد سيد الخلق صبيحة الاثنين الموافق ٥٧١/٤/٢٠ ، ولعل هذه المرأة سألتنى لاختلاف المصادر الأوربية حول أى يوم من إبريل ولد فيه محمد ﷺ بسبب اختلاف التقويمات الميلادية .

كما ناقشتنى فى كثير مما أكتب ، وخاصة فى بحثى حول عناصر اللغة العالمية المنشودة وتعليم اللغات الأجنبية ، وقد قدم إلى مؤتمر لسان العرب هذا العام ١٩٩٩م ، مع بحث آخر عن عبقرية العربية فى إحدى جوانبها .

ب- الألمان : وهم بالقياس إلى الفرنسيين محترمون جداً ، من وجهة نظرنا - نحن العرب - على الأقل ، جاءت مدرستان - تحت التدريب - لتعليم الألمانية للأجانب ، فقد كان هناك اتفاق بين جامعة كييف للغات وبين إحدى الجامعات الألمانية على إيفاد مدرستين لمدة شهرين كل فصل دراسى

وقد بقيت المتدربتان فى الفصل الأول فى نفس الجناح فى هـدوء تـام ، لا نكاد نحس بهما على الإطلاق ، مقارنة بضجيج الفرنسيين وإزعاجهم ، حتى غادرتا إلى ألمانيا .

وفى الفصل الثانى من العام الدراسى ٩٨ - ١٩٩٩ جـاءت أخريـان لمدة شهرين أيضاً ، جاكلين ودانا ، أما الأولى فلم تلبث إلا قليلا حتى غـادرت إلى بلدها ، ثم لم تستطع العودة إلى أكرانيا مرة أخرى ، وبقيت زميلتها حتـى سافرت بعد مدة تدربها فى الجامعة .

دانا تعرف الإنجليزية بشكل جيد ، زارت أندونيسيا وإقليم التبت والـهند وباكستان وإيران ، وذكرت أن هذه البلاد رخيصة جداً ، وانطباعها جيد عـن البلدان الإسلامية التى زارتها ، وعن منطقة التبت ، إذ تقول : إن هذه المنطقـة جميلة جداً ، كما ذكرت أن السفارة الإيرانية فى ألمانيا لم تسمح لها بـالحصول على تأشيرة دخول إلا بعد تقديم صورة بالخمار ، لا يظـهر فيـها الشـعر أو الجيب - فتحة الصدر - وهى تحتفظ بإحدى هذه الصور تريها لأصدقائها .

وقد طلبت منها بعض المعلومات عن ألمانيا ، وبالفعل أحضرت كتابـاً بالألمانية [1] عرفت منه المعلومات الآتية مترجمة إلى الإنجليزية :

مساحة ألمانيا ٣٠١ ألف كم ، أقل من فرنسا ٥٤٦ ألف كـم ، عـدد السكان ٨٠ مليون نسمة ، وفى ألمانيا ست عشرة ولاية ، برليـن العاصمـة وأكبر المدن ، سكانها ٣,٤ ملايين نسمة ، بافاريا أكبر الولايات - فى الجنوب الشرقى - مساحتها ٧٠,٥٤٧ كم ، عاصمتها ميونخ ، وأصغر الولايات بريمان ٣٢٤ كم ، إذ هى مجرد مدينة ، مع أنها ولاية .

---

(١) عنوانه بالعربية (أرض الألمان) تأليف تلوكوخ ، نشر فى ميونخ سنة ١٩٩١م .

أما الأجانب فى ألمانيا فعددهم ٥,٢ ملايين ، معظمهم من الترك حوالى مليون ونصف ، والآخرون كالآتى :

- يوغسلاف ٦٥٠,٠٠٠ .
- إيطاليون ٥٥٠,٠٠٠ .
- يونان ٣٠٠,٠٠٠ .
- نمساويون ١٨٠,٠٠٠ .
- أسبانيون ١٣٠,٠٠٠ .
- إيرانيون ٩٠,٠٠٠ .
- هنود ٢٨,٠٠٠ .
- تونسيون ٢٥,٠٠٠ .

ومن الملاحظات التى استرعت انتباهى بعد استعراض الكتاب والاطلاع على صوره كثرة القلاع فى ألمانيا ، مما يشير إلى تاريخ حربى طويل ، يتسق مع ما سبق أن قلناه عن الشخصية الأوربية ومعاناة الجماهير المريرة من الحروب الطاحنة التى لا ناقة فيها للناس ، ولا جمل ، فلا ينالهم منها إلا خراب الديار وموت الأحباء ، أو إعاقتهم ، وهذا ما جعل الشخصية الأوربية مقبلة على الاستمتاع الحر بالحياة ، بلا قيد ولا شرط .

على أية حال فقد اقترحت هذه المدرسة أن تتعلم خمسين كلمة من أشهر الكلمات العربية ؛ لأنها تريد زيارة سوريا نهاية ١٩٩٩ ، وبالفعل تعلمت الكلمات المطلوبة بالعامية أو بالفصحى ، أيهما أسهل ، وتعلمتُ مقابلها من الألمانية ، وسوف نتحدث عن هذه التجربة بشىء من التفصيل فى موضعه .

وقد ذكرت أيضاً أن قواعد الألمانية ليست سهلة عند تعليمها ، لاسيما لغير الألمان ، يستطيع الإنسان أن يتكلم الألمانية بسهولة ، ولكنه يقف أمام

القواعد ، يحاول أن يفهمها ، وأن يسبر غورها قبل أن يفكـــر فـــى شـــرحها لتلاميذته .

جــ- الزميل التركى : اسمه جمال يشيليورت ، أو جمال باشا كما كنـت أناديه فكان يسعد كثيراً بهذه الباشوية ، كان يعرف الروسية ، فقد قضـــى قريباً من أربع سنوات فى أكرانيا ، وهو خبير موفد من وزارة الخارجيـــة التركية، قال لى بأن راتبه ١٦٠٠ دولار أمريكى ، إضافة إلى راتبه فى بلده فالسفارة التركية نشطة فى دعم اللغة التركية ، ســـواء بإرســـال الخـــبراء الأتراك ، أو تدريب الطلاب فـــى تركيـا ، ورفـــع مســـتوى المدرســـين واستضافتهم فى بلادهم ، وتقديم الكتب والمناهج ... الخ .

أحسست براحة شديدة عندما جاء هذا الرجل إلى السكن ، كـــذا هـــو الآخر أحس بنفس الإحساس ، ولكن المشكلة أنه لا يعرف غير الروسية فـــلا يعرف لا العربية ولا الإنجليزية ، ولذا كان الكلام معه فى نطاق ضيق ، لأنـــه يحتاج إلى مترجم من الروسية إلى العربية ، وقد عاوننا الطلاب العرب كثـــيراً فى هذه الترجمة .

وكان يزورنا من حين لآخر فى قسم اللغة العربيـــة ، أو نقابلـــه فـــى المعهد بحكم أن القسمين التركى والعربى جزء مـــن كرســـى لغـــات الشـــرق الأوسط ، الذى يرأسه المستشرق ألكسندر بوجومولوف الذى يعرف التركيـــة ويجيد العربية .

وفى أول مقابلة فى القسم قال الزميل التركى : " إن الشـــياطين كلـــها ذهبت من السكن ، لأن هذا المبنى لم يقرأ فيه القرآن منذ أربعين سنة ، أو منـذ أن بنى " فقد كانت تسجيلات القرآن ، خاصة المصحف المرتل للقارئ فضيلـة

الشيخ محمد صديق المنشاوى - رحمه الله - لا تنقطع فى كل يوم ، فضلاً عن تسجيلات من المصحف المجود للقارئ نفسه .

وفى أول يناير من هذا العام أصيب جمال بنزلة برد شـــديدة ، ولـذا جاءنى فى الليل فى حالة يرثى لها ، فأعطيته بعض المسكنات ، وطلب أشرطة من القرآن الكريم ، وكلما انتهى من شريط أخذ آخر ، حتى شفاه الله ، فلم يعـد يطلب ، ولا يسمع شيئاً من القرآن .

وقد حاولت أن أتعلم منه بعض الألفاظ التركية كى أتعامل معه ، ولكن الحاجة بقيت ماسة إلى مترجم ، خاصة إذا كنا نتكلم فى موضـــوع مـــهم ، إذ تناقشنا فى التاريخ العثمانى ، خاصة فى موضوع ركسلانة - كما سبق - وفى زيارتى لتركيا لخدمة العربية ، أو زيارته لمصر .

وقد كان يصوم رمضان - فيما يبدو لى - اشترك معنا فـــى شـــراء ضحية فى العيد الكبير ، ولكنى لم أره يصلى ، فالله أعلم بالسرائر ، فـالواجب التركيز على العالم العربى ، فإن الامتداد الإسلامى خارج الوطن العربـــى لا يناسب أن يبالغ فى أهميته ، إذ العرب - كما قال المرحوم آدم الإلـــورى [١] - هم قاطرة الإسلام .

د - الإيطالى : اسمه سلفاتورى ، جاء من إيطاليا متعاقداً مـــع الجامعـة لتدريس لغة وطنه ، براتب أكرانى - قال لى - مائة وثلاثون دولاراً فـــى الشهر الواحد ، يجيد الإنجليزية ، ولذا تحاورنا كثيراً حـــول موضوعـات عديدة، منها انهيار الأسرة فى الغرب ، وأثره فى تفكيك المجتمع ، فذكر لى أن الأسرة فى جنوب إيطاليا بخاصة ماتزال متماسكة بشكل واضح ، وربمـا

---

(١) أحد علماء نيجيريا ، توفى ١٩٩٢م .

يكون هذا من تأثير العرب ، فى حين يختلف الشمال فى هذا الشـــأن عــن الجنوب .

تحدثنا عن موضوعات عديدة ، منها أصل بعض الكلمات فى الإيطالية مثل كلمة sabbatu فهو يرى أن الإيطالية أخذتها عن العبرية ، وأرى أنـــهم أخذوها من العربية (السبت) يوم السبت .

كما تحدثنا حول القضية الفلسطينية ، فهو يرى أن المشكلة قد حدثـــت فلم لا نتعايش معها ، وعندما قلت له : (نحن نريد التعايش والسلام مع غيرنـــا ولكن المشكلة أن هؤلاء القوم لا يريدون السلام ، قال : إن اليهود يقولون نفس الكلام ، وهو يحتاج إلى الذهاب إلى فلسطين ليرى بنفسه الأمر على الطبيعـــة لأنه ما يراه فى وسائل الإعلام المرئية وغيرها لا يكفـــى) يعنـــى بـــالعربى الفصيح هو مع الجانب الآخر ، وليس معنا .

أما عندما ضرب الصرب فقد كانَ هو وغيره من الأوربيين فى السـكن مع القيادة الصربية ، يعجبون لماذا تضرب صربيا ، ولماذا يشـــنون الحـــرب عليها ، أما مآسى كوسوفو فليس لها مكان فى ذاكرتهم أو تفكيرهم .

وعندما تأجل سفرى بسبب عدم الحصول على تأشيرة الخروج النـــهائى وجدته سعيداً غاية السعادة ببقائى هذا الأسبوع معهم ، يقول : لقد أفدت كثـــيراً من علمك وحكمتك ، وقد أسعدنى كثيراً بقاؤك أسبوعاً آخر معنا [١] .

---

(١) آخر ما نذكره عن الأوربيين الذين كانوا معنا فى السكن أنهم كـــانوا لا يســـتنكفون أن يطلبوا بعض المواعين والآنية ، أو شيئاً من أدوات المائدة ، وكان هذا مثـــار عجـــب منى ، لأنى كنت أعتقد أن الاستقلالية عند الأوربيين تعنى الاستغناء عن اســـتعارة أو طلب هذه الأشياء التافهة .

هـ - العرب : كان فى المبنى طلاب من دول عربية ، مثل الأردن فلسطين لبنان ، تونس ، ليبيا ، المغرب ، سوريا ، ليس فيهم من مصر أحد عددهم أقل من السابق بكثير ، خاصة أيام الاتحاد السوفيتى .

وقد بدأ احتكاكى مع هؤلاء العرب وغيرهم من الطلاب فى صالة كرة الطاولة التى أمارسها منذ المدرسة الثانوية ، ولذا تعرفت على العديد منهم، وقد كانت مفاجأة لهم أن يروا مصر ترسل إلى أكرانيا خبراء فى اللغة العربية حيث إن فكرة العرب عن أنفسهم تحتاج إلى مراجعة ، فالمثل يقول : أنت حيث تُجلس نفسك ، أى مكانتك حيث تضع أنت نفسك ، وليس حيث يراك الآخرون.

كما أنهم لا يعتقدون أن السفارات العربية يمكن أن تقوم بعمل مفيد لخدمة الناس ، أو لخدمة العربية خاصة ، ولذا كان وجودى ومناقشاتى مفاجئة كبيرة لهؤلاء الطلاب .

وقد تطورت العلاقة بينى وبين العديد من هؤلاء الطلاب الذين كان بعضهم يلح على عمل شىء ، أى شىء لخدمة اللغة العربية ، وعندما بدأت الكلام معه ، قال : (إننا دائماً نسمع ، كلاماً فقط ، ولا فعل من أى نوع) ولكنه بمرور الأيام معى غير رأيه هذا .

وتوطدت علاقتى مع عدد قليل من هؤلاء العرب ، مع علاقات عابرة مع الباقى ، ولكنهم كانوا سعداء فخورين بوجود أستاذ عربى بينهم ، أوفدته بلاده ، على حسابها لخدمة العربية .

وفى أول أيام رمضان هذا العام ١٤٢٠هـ دُعيت لحفل شاى أقامه الطلاب العرب ، ثم طلبوا منى كلمة ، ذكرت فيها كيف ساقتنى الأقدار إلى أكرانيا ، وعبرت لهم عن سعادتى الغامرة وسطهم وبينهم ، وتطرق الحديث

إلى موضوعات عديدة ، منها : العربية وانتشارها مقارنة بالإنجليزية - ضرب العراق - بناء الأهرام .

واستمر النقاش ساعتين ، لينتهى عند منتصف الليل ، وقد حضره بعض العرب من غير السكن ، فقد كان الحضور فوق الأربعين شاباً ، كما حضر بعض الشباب غير العرب .

وفى الأسبوع التالى ، السبت ٢٤ / ١٢ / ١٩٩٩ تلقيت دعوة من هؤلاء الطلاب للإفطار معهم ، وكانوا جميعاً متحمسين لجلسة السبت الماضى وأن تتكرر باسم الصالون العربى ، كما أفطر معنا بعض المسلمين غير العرب وكذلك فتاة صينية أسلمت ، أسميت (سحر) وقد سعدت كثيراً بهذه الدعوة .

وفى عيد الأضحى الماضى ذهب معظم الطلاب العرب لصلاة العيد خلف الشيخ أحمد تميم فى إحدى الصالات الرياضية التى استأجرها لهذا الغرض ، فى حين ذهب الآخرون لصلاة العيد فى مكان آخر .

واتفقنا على شراء ضحية للعيد ، وحفل يقام أول أيام العيد ، وقد تم بالفعل هذا الحفل ، إلا أننى لم أتمكن من الحضور بسبب دعوتى للغداء فى منزل القنصل المصرى فى كييف يومها .

وبقيت علاقتى وطيدة مع بعض هؤلاء الطلاب ، يودعونى عند السفر ويستقبلونى فى المطار عند العودة ، حتى سافرت بشكل نهائى فجاء اثنان منهم معى إلى المطار ، حتى اطمأنا على كل شىء ، ثم راسلنى أحدهم بعد عودتى إلى مصر ، ولم تنقطع صلتى بالآخر الذى عاد إلى بلده ليبيا ، وهاتفنى من هناك مؤملاً زيارة مصر .

ثالثاً - مشروع الخمسين كلمة : أبدى بعض الأوربيين معنا فى السكن رغبتهم فى تعلم شىء من العربية - كما سبق - ذكروا لهذا أسباباً

مختلفة منها السفر للعالم العربى ، أو الكلام مع أصدقاء عرب ، وقد استجبت لطلبهم فاخترنا أكثر الكلمات شيوعاً من وجهة نظرنا مثل : كيف حالك ؟ بخير، الحمد لله ، صح ، غلط ، ممكن - بكم ؟ - ماسمك ؟ ...الخ .

وقد فعلنا هذا مع الألمان والإيطاليين والأتراك والروس والأكران فضلاً عن اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وبعد هذه التجربة وجدنا من معنا فى السكن يحاول أن يتعلم مزيداً من الكلمات والتعبيرات العربية ، برغم أنهم ليسوا مسلمين ، وكثيراً ما يستفسرون عن معانى الألفاظ والعبارات التى نستخدمها عند الحديث فى الهاتف ، أو مع ضيفاننا العرب .

وبرغم أن هذه التجربة تحتاج إلى بحث خاص فى دراسة تقابلية ومقارنة بين لسان العرب وهاتيك اللغات فإننا نسطيع أن نقدم بضع ملاحظات هنا :

١- لقد اتضح أن التركية تحتوى على العديد من الألفاظ العربية ، وصلت فى العينة إلى أربعة أخماسها ، مثل : (شكرات - عافية - أكل - أصالة) ... إلخ .

حتى فى الروسية والأكرانية تجد كلمات عربية ، مثل (بقالية - ميدان) ناهيك عن الإنجليزية والفرنسية ، والألمانية والإيطالية .

٢- إن العربية أكثر اللغات اهتماماً بالذوق واللياقة والأناقة فى المعاملة، وأكثر اهتماماً بالعلاقات الإنسانية ، مما لا نجد له نظيراً فى اللغات الأخر ، يدل على هذا عبارات المجاملة والاهتمام بالآخر ، وفى كل المواقف ، مثل :

- بعد الأكل نقول " بالهنا والشفا " .
- عند المغادرة " مع السلامة " .
- عند الحضور " حمدا لله على السلامة " .
- فى التهانى " العقبى لكم " أو " عقبى لك " .

٣- إن العربية هى الفصحى والعامية معاً ، ولذا فإنه عند تعليم العربية لغير العرب يجب أن نفيد من التنوع بين المستويين ، فنختار ما سهل على لسان الأجنبى ، عامياً أو فصيحاً ، بما ان الأمر لا يؤثر على الغرض من تعلم العربية ، وهو معرفة بعض الألفاظ والتعبيرات التى يتعامل بها عند الحاجة أو الضرورة مع الناس ، وليس مع الكتب أو التراث .

فعند الموافقة نقول (نعم) وقد تكون صعبة فى نطقها ، خاصة العين الحلقية ، ولذا فإن من الممكن أن نستبدلها بكلمة (طيب) فى العامية ، التى تشير إلى نفس المعنى ، مع ملاحظة أن الطاء لن تكون مفخمة ، كما فى النطق العربى .

وهنا لا ننسى أن نطق الأجنبى سوف يختلف بالتوكيد عن النطق العربى ، فلابد من نوع من التسامح والواقعية تجاه نطق غيرنا لأصوات لغتنا.

٤- إن أسلوباً بسيطاً متدرجاً واقعياً ، يأخذ فى اعتباره الهدف الذى من أجله يتعلم الناس لغتنا يجعل غيرنا يقبل على العربية ، لأنه يراها سهلة المأخذ حلوة المنطق ، بعيداً عن تعقيدات النحو والصرف ، والقواعد بشكل عام ولذا رأيت كثيراً من غير العرب يتعلّمون منا - بسرعة وشغف - كثيراً من الألفاظ العربية والتعبيرات [1] بهذه الطريقة .

وكنا فى الطريق - مثلاً - نقابل بعض الطلاب ، من آسيا وأوربة وبعضهم يحاول الحديث بالعربية ، وتعجب أين تعلم هذا القدر من العربية ؟ لقد تعلمها من زملائه العرب فى الجامعة ، ولذا فإن احترام العربى للغته وتقديمها

---

(١) انظر بحثنا " عناصر اللغة العالمية المنشودة وتعليم اللغات الأجنبية " ونقصد تعليم العربية كلغة اجنبية لغير العرب ، وقد القى فى مؤتمر لسان العرب هذا العام بجامعة الدول العربية ٦ - ٨ / ١١ / ١٩٩٩م .

بشكل مناسب يمكن أن يكسبها احترام الآخرين ، وسعيهم محاولين تعلم شـــيء منها .

٥- إن اللغة الإنجليزية يمكن أن تسعف فى بعض المواقف ، او الفرنسية، لكن فى مواقف كثيرة ولدى شعوب عديدة فى العالم لا نجد لها وجـــوداً ، ولا أثراً ، وفى بعض المواقف كما فى العمرة والحج تمس الحاجـــة للتعـــامل بصورة أو بأخرى ، ولذا فإن اختيار أكثر الألفاظ شـــيوعاً فـــى العربيـــة والتعبيرات فى حدود المائة والخمسين أو المائة ، مع ترجمة لـــها بتلـــك اللغات غير المشهورة ، والتى لا يهتم أصحابها بلغة أجنبية مثـــل الـــترك والفرس وغيرهم من المسلمين يمكن أن يسهم فى محاولة معرفـــة شـــيء أى شيء من لسان العرب .

وحبذا لو جمعنا هذه الألفاظ والتعبيرات مع ترجمة لها بـــأهم اللغـــات الأجنبية لا سيما غير المعروفة لنا نحن العرب ، والتى لا يهتم أصحابها بغـــير لغتهم ، كما حكى لى أحد المصريين فى أكرانيا حول كتاب يحوى ألف كلمـــة من ٢٦ لغة ، منها العربية .

الجالية المصرية فى أكرانيا :

كان لمصر علاقات قوية مـــع الاتحـــاد السوفيتى السابق ، ولذا تجد كثيراً من الأكران سافر إلى مصر ، أو عمل فيـــه مدنياً أو عسكرياً ، كما جاء إلى أكرانيا كثير من المصريين طلاباً أو غـــيرهم وإن قل عددهم الآن .

كما أن وسائل الإعلام هنا قد تغطى بعض الأحداث المصرية ، ففـــى صحيفة الحقيقة – يوم ٤ / ٣ / ١٩٩٩ – حديث عن المومياء فى الهرم، وعن سقوط أتوبيس أسيوط سوهاج فى ترعة الإسماعيلية ، فمات تسعة عشر راكبـــاً

ودخل سبعة وعشرون راكباً إلى المستشفى ، وعقبت الصحيفة : هـــذا تاســـع حادث فى مصر منذ بداية العام ١٩٩٩ .

وبرغم هذا كله فقد كان بعض طلابنا الذين سافروا إلى مصـــــر لأول مرة فى حياتهم يتخيلون أن بلدنا عبارة عن صحراء بها الأهرام وأبو الـــــهول وجمال يركبها الناس ، ولذا كانت مصر مبهرة جداً بالنسبة لـــهم ؛ لأنـــهم لـــم يكونوا يتصورون بلدنا وقد تطورت على هذا النحو .

على أية حال فقد كانت المرة الأولى التى نتعرف فيها علــــى الجاليـــة المصرية يوم حفل استقبال خبراء اللغة العربية الذى أقامه السفير على شـــرفنا يوم الحد ١١ / ١٠ / ١٩٩٨م حيث تعرفنا لأول مرة على باقى خبراء اللغـــة العربية الثلاثة ، ثم أعضاء السفارة كلهم ، وبعض رجال الأعمال المصريــين المصدرين إلى أكرانيا ، من ناحية العدد الجالية محدودة ، أو من حضر منـــهم على الأقل ، ولكن من ناحية العمل والكيف فالمسألة مختلفة .

تبادلنا الزيارات أكثر من مرة ، غداء هنا وعشاء هناك مـــع أعضـــاء السفارة فى بيوتهم ، أو خبراء اللغة العربية فى منازلهم ، وكانت هذى اللقاءات زاداً طيباً فى الغربة ، فضلاً عن كرم الضيافة والأحـــاديث الوديـــة المهمـــة وتبادل المعلومات والآراء النافعة .

وينساب الحديث كثيراً عن الوطن وشجونه وشئونه ومشاريعه الكـبرى منها على سبيل المثال الربط الكهربى بين مصرنـــا وبيـــن المغـــرب وتركيـــا وفلسطين والعراق ؟ فما الذى يعود على وطننا من هذا الربط ؟ سألت القنصـــل الذى أجاب : توزيع الفائض ، والاستفادة من فرق التوقيت ؛ لاختلاف سـاعات الذروة فى الاستهلاك الكهربى من قطر إلى آخر .

فهناك عدادات ضخمة لحساب كل دولة وبورصة فى القاهرة ، تحسـب ما لكل دولة ، وما عليها لتدفع ما عليها ، أو تأخذ ما لها ، فوجود البورصة فى

القاهرة تجعلها تتحكم وتسيطر على كل شيء ، ولا يتحكم فينا قطر من تلك الأقطار .

على أية حال فإنا نعطى مثالاً هنا لتوضيح الفكرة ، فالعراق إذا أخذ وقت الذروة ٧٠ مليون ك . و . فى حين أخذت مصر وقت الذروة عندنا ٢٠ مليون ك . و . كان على العراق أن يدفع ثمن ٥٠ مليون ك . و .

إن فى مصر فائضاً من الكهرباء تقدره بعض الإحصائيات ب ١٨% وسعر الكهرباء للمستهلك المصرى أقل من السعر فى الدول الأخرى ، ولذا فإن الفائض يصدر بسعر السوق ، كما تصدر أية سلعة أخرى .

العودة إلى مصر :

بعد انتهاء الفصل الدراسى الثانى فى العام الدراسى ٩٨ - ١٩٩٩م وانتهاء ما يخصنى من أعمال الامتحانات ، طلبت من السفارة أن يسمحوا لى بالسفر يوم ٣٠ / ٥ / ١٩٩٩م برغم أن العقد ينتهى بعد شهر من هذا التاريخ، وقد أجيبت إلى طلبى ، و بدأت الاستعداد فى السفر .

فكان علىّ أولاً وداع سعادة السفير فى مكتبه ، وقد دار بيننا حديث طويل حول اللغة العربية وضرورة العناية بها ، وتخليصها من أوشاب الألفاظ الأعجمية ، خاصة فى اللافتات والشاشة الصغيرة ، ووسائل الإعلام بشكل عام.

وقد ساءلنى هل نقول : (شروط مُسْبَقة - قنابل مُسيلة) أو (مسبَّقة - مسيِّلة) ؟ قلت : نعود إلى الفعلين فنسأل هل هما : (سبَق - أسال) أو (سبَّق - سيَّل) ؟ والرأى أنهما (مسبَق - مُسيل) .

ثم أشار إلى أن ثم فروقاً بين (قَطَع - تَسَقط - نتسابق) وبين : (قطَّع - تُساقط - نَستَبق) ؟ وهو ما جاء فى الآيات :

- (وقطّعن أيديهن ، وقلن حاش [1] لله ما هذا بشراً) من سورة يوسف فقطّعن هنا تفيد استمرار التقطيع - بلا وعى أو إحساس - على عكس (قَطَعن) .
- (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) من سورة مريم ، فإن الفعل (تُساقط) على فترات حسب الحاجة ، أما (تَسقط) فيفيد سقوط الرطب مرة واحدة ، جملة لا تقطيعاً ، ولا منجما .
- (إنا ذهبنا نستبق ، وتركنا يوسف عند متاعنا) فالفعل هنا يفيد أن الاستباق لم ينطلق من موعد واحد ، وفى وقت واحد ، بل كلٌّ يخرج فى الوقت الذى يراه ، وبالطريقة التى تناسبه ، فى حين يدل الفعل (نتسابق) على سباق واحد ، ذو بداية واحدة ، فى وقت واحد ، كما نرى فى السباقات الرياضية .

وكان رأيى حسب تجربتى مع المعجم القرآنى أن نبدأ بالسياق ، يعنى الآية التى جاءت فيها الكلمة ، وماسبقها وتلاها من الآيات ، ومعرفة الموضوع الذى تتحدث عنه الآيات ، وبعد هذا نعود إلى التفاسير المختلفة نستشيرها وأخيراً يأتى دور المعاجم وكتب اللغة .

هذا المنهج الذى طبقته فى كتابى (من ألفاظ اللغة فى القرآن الكريم [2]) وفى العديد من بحوثى عن تاريخ الألفاظ فى المعجم القرآنى ، أو غيره ، وهو ما أدى إلى نتائج طيبة ، جديدة وجدية ومهمة .

وفى نهاية الحديث الشيق مع سعادة السفير حول هموم العربية، وبعض استنباطاته حول المعجم القرآنى ، دعانى سيادته لحفل بدار السفارة يوم ٣٠ / ٥ / ١٩٩٩ على شرف كاتب هذه السطور ، واحتفاء بوداعه ونهاية

---

(١) معاذ الله .

(٢) نشر فى القاهرة ١٩٩٠م .

عمله فى أكرانيا ، والذى بدأ السابعة مساء ، وانتهى حوالى الساعة الحادية عشرة بتوقيت كييف .

حضر الحفل أعضاء السفارة وخبراء اللغة العربية ، وباقى أعضاء الجالية المصرية ، ودارت أحاديث طويلة ، ومداعبات كثيرة بين الحاضرين وكان من أبرز الموضوعات التى تحدثنا عنها انهيار الاتحاد السوفيتى ، فقد لمَّع الغرب غورباتشوف ، لاسيما تاتشر .

وقد انهار الاتحاد بسبب اتجاه غورباتشوف إلى سياسة الإصلاح التى سميت (البرتوسترايكا) التى أودت بالاتحاد ، لأنه لا يصلح إلا أن يكون بهذه الطريقة ، فمساحة الإصلاح كانت أوسع مما يتحمله الاتحاد ، وهو ما ينبغى الإفادة منه فى إدارة الأسرة ، بعيداً عن الضغط والإكراه وخنق الحريات والعناية بأسرنا بشكل عام .

وقد ختم سعادة السفير حديثه حول انهيار الاتحاد السوفيتى بقول مروزو رئيس البرلمان الأكرانى السابق · (من لم يحزن على انهيار الاتحاد السوفيتى فلا قلب له ، ومن يتوهم عودة الاتحاد السوفيتى فلا عقل له) .

وفى نهاية الحفل ألقيت قصيدة على شرف أبى الخير ، ألقاها الشاعر د. عاطف عامر ، خبير اللغة العربية بمعهد اللغات والقانون بالعاصمة كييف والذى كان من المنزعجين بسبب عودتى إلى مصر ، وقد ناقشنى كثيراً فى قرار عودتى إلى مصر ، ورغبتى عن تجديد عقدى سنة أخرى ، فقد كنا على علاقة وثيقة وطيدة طيلة عملى هناك ، وخاصة فترة مرضه ، شفانا الله جميعاً ومتعنا بالصحة والعافية .

وفى اليوم التالى الاثنين ١ / ٦ / ١٩٩٩ بدأت بمعاونة أصدقائى حزم الأمتعة للسفر ، وفى آخر لحظة ونحن نستعد للذهاب إلى المطار ، دقق أحد الأصدقاء فى جواز سفرى ليتأكد من تأشيرة الخروج النهائى ، وعندها أخبرنى

أننى لا أستطيع السفر ، وكانت مفاجأة نزلت كالصاعقة ، واضطررت للبقـــاء أسبوعاً آخر رغم أنفى بسبب التأشيرة المطلوبة ، قمت فيه بأعمال مهمة مـــن وجهة نظرى ، ولم يضع سدى ، وهذا من باب الإفادة من الأخطاء ، فالخطـــأ ليس شراً كله ، بل قد يكون فيه الخير ، ولذا قال تعالى : (فعسى أن تكرهــوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا [1]) .

والسلام عليكم ورحمة الله .

---

(١) ١٩ النساء .

الملاحق

محاورات ومقترحات

نقدم هنا بعض المحاورات التى قمنا بــها مــع بعــض الشــخصيات الأكرانية ، د. ألكسى خمراى ، مستشرق يدرس العربية فى قسم اللغة العربيــة جامعة كييف ، ثم حديث مع أحد الداخلين فى الإسلام ، أكرانى يــدرس فــى الجامعة الحمراء بالعاصمة كييف ، ثم نتبع هذا ببعض المقترحات التى كتبــت هناك فى الديار الأكرانية لخدمة العربية فى هاتيك الديــار ، ولدعــم الوجــود المصرى هناك ، وإن كتب بعضها هنا ، أو القليل منها .

نضرع إلى الله أن يمن علينا بالتوفيق والسداد والرشاد ، مع رجــاء أن يتكرم القارئ بتقديم ما يراه من ملاحظات هنا ، وعلى مجمل ما نقول فى هــذا الكتاب برمّته .

حديث مع المستشرق ألكسى خمراى

المحاضر بمعهد الشرق والغرب جامعة كييف الحكومية للغات

جمهورية أكرانيا

في يوم الجمعة الموافق ٢١ / ٥ / ١٩٩٩ وبمقر المعهد حاورت الدكتور ألكسى خمراى :

١- متى بدأت تتعلم العربية ؟ وفى أية جامعة ؟

خمراى : سنة ١٩٨٢ ، فى كلية اللغات الأجنبية ، قسم الترجمة بجامعة شفشنكو ، فأنا متخصص فى اللغة الفرنسية والعربية .

٢- حدثنا عن رسالتك للدكتوراه ؟

خمراى : موضوع أطروحتى " تشكيل الحرف العبرى القديم " .

٣- وبهذا تعاملت مع المخطوطات العبرية هنا فى كييف ؟

خمراى : يوجد فى كييف عدد كبير من المخطوطات العبرية والعربية الشرقية.

٤- مكتوبة بالحرف العبرى ؟

خمراى : بالحرف العبرى والعربى كليهما ، والمخطوطات الآن فى مخازن مكتبة أكاديمية العلوم الأكرانية ، وهناك يوجد القسم الشرقى فى معهد المخطوطات التابع للأكاديمية ، وفى هذه المكتبة فى حدود ألفى كتاب ومائتى مخطوط ، وتجد من بينها المخطوطات العبرية والعربية ، القديمة والحديثة ابتداء من القرن الحادى عشر إلى بداية القرن العشرين .

وقد أحضر هذه المخطوطات رجل اسمه فيركوفيتش ، وهو يهودى من طائفة القرائين ، وقد أحضرها إلى ليننجراد من الشرق الأوسط ، من فلسطين مصر ، المغرب العربى .

٥- كيف انتقلت إلى أكرانيا ؟

خمراى : فى العشرينات أو الثلاثينيات من هذا القرن كانوا يريدون أن يقيمــوا هنا متحفاً يهودياً ، ولكن الفكرة لم تتحقق ، وإن بقيت المخطوطــات ، ونحــن الآن نقوم بفهرستها وإعداد قوائم لها لإعطاء الفرصة للمــــهتمين بالدراســات الشرقية للاطلاع على هذى المخطوطات ودراستها .

ويوجد ضمن هذه المخطوطات قســم صغــير أحضــره المستشــرق كريمنسكى ، وهو أول مستشرق فى أكرانيــا ، هــذا القســم يشــتمل علــى مخطوطات عربية ، وأخرى فارسية وعثمانية بالحرف العربى ، ولكــن هــذا الجزء مفهرس ، وأنا وزملائى نشتغل بالقسم اليــهودى ، لمــاذا ؟ لأن هــذه المخطوطات العبرية منذ سنة ١٩٤٧ إلى ١٩٩٠ كان الاطلاع عليها محظوراً ولكننا الآن فى منتصف الطريق لفهرسة هذه المخطوطات .

ونأمل بعد خمس سنوات أن نتمكن من إنجاز عملنا ، خاصة أن البــاب أصبح مفتوحاً لمن شاء أن يطلع على هاته المخطوطات ، دون أية مشــكلات ولكن الفهرسة لما تتم ، ولذا فإن المخطوطات لما يتم التعرف عليها كلها، وفى كل شهر نرى أشياء جديدة فى المخزن .

٦- إذن الحصر والتصنيف لما يتما إلى الآن ؟ ولذا تكتشفون فى كــل حيــن مخطوطات جديدة .

خمراى : نعم ، وبين هذه المخطوطات نسخ قديمة من النصـــوص اليهوديــة القرائية فى أغلبها ، ولكن يوجد أيضاً تفاسير للتوراة من القرائين والربانيين .

٧- هل يمكن أن تعطينى فكرة موجزة عن الفرق القرائين والربانيين ؟

خمراى : الربانيون هم اليهود الذين يعرفون التلمود ، وعندهــم تقــاليد غنيــة بتفسير التوراة ، والقراءون طائفة يهودية يمكن أن نقول خرجت مــن الديــن اليهودى فى القرن العاشر تقريباً ، والشخصية الأولى من القرائين اسمه أنام بن

دافيد ، وكان يعرف أبا حنيفة النعمان صاحب المذهب ، فقد سجنا فى غرفة واحدة ، ويقال بأن الأول قد تأثر بصاحبه ، وأخذ عنه شيئاً من آرائه ، المهم أن المذهب القرائى قد خرج حقيقة عن التقاليد الربانية اليهودية فقط فى القرن العاشر .

وإذا لم أغلط أستطيع القول بأنه يعيش فى إسرائيل – فلسطين المحتلة – عشرون ألفاً من القرائين ، ويوجد من القرائين أيضاً هنا فى شبه جزيرة القرم – جنوب أكرانيا – ولكنهم يقولون بأنهم أتراك وليسوا يهوداً ، وهذه قضية شائكة ، الكلام فيها مفتوح بغير حدود .

ونعود إلى المخطوطات هنا فنقول إنها تخص القرائين ، وقد كتبت فى القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر تقريباً .

٨- أى قبل انضمام أكرانيا طوعاً إلى روسيا ١٦٥٤م على يد الزعيم بغدان خمينتسكى ؟

خمراى : بالطبع ، ولكن ليس هنا علاقة بين هذا وبين القرائين فى ذلك الوقت لأن كل المخطوطات جاء بها من الشرق الأوسط – كما قلت – فيركوفيتش فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى لينينجراد ، ومنها إلى هنا ، كما سبق .

٩- إذن هل نستطيع القول بأنه توجد فى أكرانيا مخطوطات عربية بالحرف العربى ؟

خمراى : نعم ، وهى عديدة ، وبعضها فارسى أو عثمانى بحروف عربية – كما سبق – وإن كانت بعض المخطوطات ممزقة ومهلهلة .

١٠- نعود إلى رسالتك للدكتوراه ، فما هى أهم النتائج التى توصلت إليها ؟

خمراى : التعرف على الخط العبرى فى زمن معين ، وكيف كان هذا الخط فى ذلك الزمان والمكان .

١١- هل تثبت المخطوطات هنا أنه كانت هناك علاقات بين اليهود هنـــا فـــي أكرانيا واليهود فى الشرق الأوسط ؟ وفى العالم العربى ؟

خمراى : لا ، بيد أنه من المحتمل أن تكون هناك علاقة بين اليهود فى شـــبه جزيرة القرم وبين العالم العربى ؛ لأنهم جميعاً كانوا لســنوات طــوال تحـت السلطة العثمانية ، وفى نفس الدولة مع اليهود من الشرق .

ومن ناحية أخرى فمن المعروف أن اليهود كانوا يسافرون إلـــى كـل مكان للتجارة وغيرها ، ولعلك تعرف حكاية رسالة كييف فـــى القـــاهرة ، أول مرة فى التاريخ تذكر فيها مدينة كييف فى الرسالة اليهوديـــة المكتشـــفة فـــى القاهرة ، باللغة العبرية . أحد يهود كييف أخذ بعض المال من يـــهود مدينتـــه ليهود آخرين فى الشرق ، وقد سافر أولاً إلى القدس ، ثم مات فى القاهرة، وقد عثر على الرسالة فى المعبد اليهودى فى القاهرة ، والآن انتقلت الرسالة إلـــى مكتبة أكسفورد ، وتوجد صورة منها فى كتاب عن المراســـلات الخزريـــة [1] اليهودية بقلم الأكاديمى برتساك وهو مستشرق أمريكـــى الجنســـية ، أكرانـــى الأصل ، والمستشرق الأمريكى نورمال جولد ، وقـــد ترجـم الكتـــاب مـــن الإنجليزية إلى الأكرانية ، ونشر فى موسكو من أربع سنوات - فيما أذكـــر - وفى هذا الكتاب صورة من هذه الرسالة باللغة العبرية القديمة .

١٢- هل هناك رسالة تريد أن توجهها إلى المتخصصين فى اللغـــة العبريـــة والدراسات اليهودية فى مصر ؟

خمراى : كنت فى مصر ثلاث مرات ، اشتغلت فى الطيران الزراعى ، وأريـد أن أحيى كل الزملاء الذين اشتغلت معهم ، الشركة العربية للـــرش الزراعـــى

---

(١) نسبة إلى الخزر الدين كانوا يعيشون على بحر الخزر (بحر قزوين) الآن .

وشركة ستيكو ، ولكن لم تكن لدى إمكانية الحديث مع زملائى المتخصصين فى المخطوطات العبرية والعربية فى مصر ، على كل حال أريد أن أحييكم .

وقد رأيت كتابا بعنوان المخطوطات اليهودية فى المعابد اليهودية المصرية بالعربية والإنجليزية ، وذلك عندما كنت فى القدس .

١٣- هل تحتاجون من العالم العربى إلى معاونة فى عملكم هنا ؟

خمراى : نحن ننعم دائما بالمعاونة من العالم العربى ، فهنا عربيان يعملان فى قسم اللغة العربية هنا فى الجامعة ، وكذلك فى الجامعة الحمراء يعمل بعض العرب ، وعند حسن النوايا وتوفر الإرادة يتقدم العمل .

ونحن نعرف أن مصر من أهم المصادر اللغوية فى العالم العربى قديما وحديثا ، وخاصة الآن ، فنحن نعرف العلماء المصريين ونستعين بكتبهم ونسر بمقابلة أى متخصص فى اللغة ، ونشكر لكم مساعداتكم .

١٤- كيف تقيم وضع اللغة العربية فى أكرانيا ؟

خمراى : فى مدينة كييف فقط أربع مؤسسات تدرس اللغة العربية ، وهى هذا المعهد ، فى جامعة كييف الحكومية للغات ، وهذا المعهد مختص باللغات وبالحضارة أيضا ، فهى شىء مهم جدا .

كما تدرس العربية فى جامعة شفشنكو ، فى قسم اللغات الشرقية إضافة إلى العبرية والفارسية ... إلخ ، وفى معهد اللغات والقانون ، وكذلك فى مدرسة [١] أخرى فى ستوشن – أحد أحياء كييف – والتى تحولت إلى معهد [٢] يهتم بتدريس أعمق للغات الشرقية ، وهذا المعهد تابع لوزراة التعليم .

---

(١) مدرسة اللغات الشرقية رقم ١ .

(٢) منذ أربع سنوات .

١٥- ما هى الأشياء التى تحتاجها اللغة العربية هنا فى أكرانيا ؟

خمراى : الكتب ، السفر للعالم العربى ، وهنا نشكر الجهود المصرية والسفارة المصرية على سفر أبنائنا الطلاب من القسم للدراسة فى مصر [1] ، المهم وجود هيئة تدريس من العالم العربى ، ليس عندنا تنظيم أو متابعة للمناهج الدراسية وليس عندنا كتب دراسية تكفى الطلاب ، مما يضطرنا إلى تصوير الأوراق وإعطائها للطلاب ، وهذه مسألة مكلفة ومتعبة .

١٦- نعود مرة أخرى إلى أطروحة الدكتوراه ، هل تجد شبهاً بين بعض الحروف العبرية والحروف الروسية ؟

خمراى : بعض الحروف الروسية ربما تكون عبرية ، مثل الشين ш لأن إكريل مؤسس الأبجدية الروسية ربما كان يهودياً .

١٧- الدكتور خمراى أول من ترجم معانى القرآن الكريم إلى اللغة الأكرانية نريد بعض التفاصيل ؟

خمراى : لم يترجم القرآن كاملاً إلى الأكرانية ، وقد قمت بترجمة بعض الآيات من سورة مريم حول عيسى ابن مريم - عليه السلام - وبعض قصار السور ، مثل الزلزلة ، وقد قمت بهذا بتكليف من وزارة التعليم لوضع هذه الترجمات ضمن المناهج الدراسية .

١٨- ماذا تقول التجربة ؟

خمراى : لقد خرجت بنتيجتين ، الأولى أن للقرآن لغته الخاصة ، والثانية أن العربية لا تفهم بدون القرآن الكريم .

---

(١) سافر ثلاثة وفود من الطلاب لدراسة العربية لمدة شهر فى جامعة القاهرة ، فى نوفمبر ١٩٩٨ ، فى مارس وفى نوفمبر ١٩٩٩ ، وعلى حساب مصر ، كما سبق .

١٩- ترجم القرآن الكريم كاملاً إلى اللغة الروسية ، فلماذا لـــم يـــترجم إلـــى الأكرانية ؟

خمراى : السبب أن معظم المسلمين الأكرانيين من التتار ، وهم يتكلمون اللغة الروسية أو التترية ، ولذا لا يهتمون بالأكرانية .

كما أننى قمت بترجمة بعض الآيات من القرآن ، وبعض سطور مـــن التوراة إلى الأكرانية للمعاهد العليا والجامعات ، لإعطاء فكرة عن الحضـــارات الأخرى ، لأن الدين عامل مهم فى الحضارة الإسلامية .

٢٠- أمل يراودك وطموح تختم به الحديث ؟

خمراى : أقترح أن يكون هناك **معهد للغة والحضارة العربية ، أو جامعة عربية هنا فى كييف .**

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر فى عيون الآخرين

حوار مع أحد الأكرانيين الذى أشهر إسلامه فى القاهرة

الطالب صلاح الدين سافر إلى مصر فى دورة تدريبية فى اللغة العربية ، وقد عاد إلى كييف ، وهو الآن يحكى عن تجربته فى مصر :

صلاح الدين : أنا طالب فى جامعة شفشنكو ، وقد كنت فى مصر فى شهر أبريل وأوائل مايو ١٩٩٩ ، وأنا مبسوط جداً لأننى استفدت كثيراً فى مجال اللغة العربية ، لقد كان سفرى إلى مصر أهم حدث فى حياتى ، لقد رأيت مصر بأم عينى ، وأستطيع الآن أن أخبر عنها من لم يرها أو يزرها ، بشكل صحيح وبدون تشويش ، فالناس فى مصر طيبون ، وقد سعدت بالتعرف على الكثير منهم .

د. أبو الخير : متى بدأت تتعلم اللغة العربية ؟

صلاح الدين : منذ عامين ونصف ، وذلك فى ١٩٩٦م عندما التحقت بجامعة شفشنكفو .

د. أبو الخير : فى أى تخصص تدرس فى الجامعة ؟

صلاح الدين : أدرس الترجمة من الروسية إلى العربية والإنجليزية ، أو منهما إلى الروسية والأكرانية .

د. أبو الخير : هل تجيد اللغة الأكرانية ؟

صلاح الدين : طبعا أجيد اللغة الأكرانية ، ولكننى أفضل أن أتكلم بالروسية لأنها اللغة السائدة فى أكرانيا ، والتى تكلمت بها منذ ولادتى .

د. أبو الخير : لماذا تحب اللغة العربية ؟

صلاح الدين : سؤال غير سهل وصعب لأننى أحب اللغة العربية ؛ لأنها اللغة العربية ، فأنا أحب الأدب العربى ، والدين الإسلامى ، وكل شىء فى العالم العربى ، وأنا متأكد أنه أمام العربية مستقبل عظيم ، كما أننى أحب تاريخ الدول العربية ، وأود أن أكون متخصصا فى التاريخ العربى .

د. أبو الخير : هل لديك فكرة عن المدارس التى تعلم اللغة العربية هنا فى كييف ؟

صلاح الدين : يوجد معهد اللغات الشرقية ، وبرغم أننى لم أدرس به ، إلا أن بعضا من زملائى دراس اللغة العربية فى هذا المعهد .

د. أبو الخير : هل تحب أن توجه كلمة إلى المصريين ، أو الناس فى مصر ؟

صلاح الدين : طبعا ، أحب جدا جدا ، وأحب أن أتكلم مع الناس باللغة العربية فأنا إنسان منفتح ، غير منطو على نفسى ، وإن كنت لا أجيد اللهجة المصرية ولذا لم أفهم كثيرا مما كان يقول الناس ، ولم أصل معهم إلى تفهم كامل .

أستطيع أن أتكلم بالفصحى بشكل سريع ، بدون بطء ، وبشكل مستمر ولم أكن أستطيع ذلك قبل سفرى إلى مصر ، ولم يكن لسانى ينطلق بهذا الشكل لأننى لم أطبق ، أو أتمرن فى بلد عربى .

كنت أفهم ما يقول الناس فى مصر ، ولكن لم أستطيع أن أجاريهم فى الحديث معهم بالعامية المصرية .

د. أبو الخير : ما هى الأطعمة التى أعجبتك فى مصر ؟

صلاح الدين : أعجبتنى فى مصر كثير من الأطعمة ، الطعميَّة والكنافة والبسبوسة ، وأنا أحب الطعمية جداً ، وقد عرفت أنها مزيج من الفول والبصل والتوابل وكثير من الخضروات ، وقد طلبت من أمى هنا أن تعد لى الطعمية .

د. أبو الخير : ما رأيك فى الفواكه المصرية ؟

صلاح الدين : الفواكه المصرية جميلة جداً ، ورخيصة جداً ، وحلوة جداً جداً وخصوصاً البرتقال والخوخ والتفاح والبطيخ والشمام ، ومن الخضار البندورة والخيار والفلفل ، وخاصة الأخضر ، أحبه جداً جداً .

د. أبو الخير : هل هناك آثار عربية فى أكرانيا ؟

صلاح الدين : نقود عربية كانت على أيام دولة كييف الروسية ، حيث انتشرت النقود العربية آنذاك ، وبعد ذلك انقطع النفوذ العربى عن هذه المنطقة وانقطعت الصلة بين العرب والروس .

د. أبو الخير : كان يجلس معنا بعض العرب ، فوجه أحدهم لصلاح الدين هذا السؤال : هل توافق على مقولة : مصر أم الدنيا ؟

صلاح الدين : طبعاً ، بالضبط .

د. أبو الخير : ما هى أول ترجمة روسية للقرآن الكريم ؟

صلاح الدين : أنا أعرف أن أول ترجمة كانت لسيبوكورت ، ثم ترجمة كراشكفسيا . وأنا لا أستحسن هذه الأخيرة لأنها صعبة فى النطق والقراءة ففيها كلمات روسية صعبة الاستيعاب ، ولكن قراءة القرآن الكريم باللغة العربية سهلة جداً .

د. أبو الخير : هل ترى أن الترجمة تُغنى عن قراءة القرآن باللغة العربية .

صلاح الدين : أعتقد أن على الناس أن يتعلموا اللغة العربية لكى يستطيعوا قراءة القرآن الكريم ، ولكن من لا يعرف العربية لا يستطيع الاستغناء عن الترجمة ، مع الأخذ بالاعتبار أن الترجمة لا تغنى عن قراءة القرآن الكريم

بلغته ، فإن كثيراً من المترجمين أضروا بفهم الدين الإسلامى ، لأن الترجمة لم تكن صحيحة ، لا عفوا ، ولكن قصداً وعمداً ؛ كـــى يشـــوش علـــى الديـــن الإسلامى فيبعد الناس عن هذا الدين ، وخصوصاً أن المترجمين فـــى أوربـــة وأمريكا لا يحبون ، ولا يحترمون الدين الإسلامى .

د. أبو الخير : هل ترى أن ا لشعر العربى يمكن أن يترجم إلى اللغة الروسية؟

صلاح الدين : أظن أن الشعر بأية لغة لا يمكن فهمه بغير لغته الأصلية، وليس الترجمة .

د. أبو الخير : هل تحفظ شيئاً من الشعر العربى ؟

صلاح الدين : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

د. أبو الخير : الأستاذ عبد الرحيم القتيلى ، عربى من المغرب ، مدرس فـــى جامعة شفشنكو ، وقد ذهب إلى القاهرة مشرفاً على طلابه الذين تدربـــوا فـــى جامعة القاهرة ، وكان بصحبة تلميذه صلاح الدين أثناء محاورته ، وقد وجـــهنا هذا السؤال إلى الأستاذ عبد الرحيم : ما رأيك فى رحلة الطلاب الذين تدربـــوا فى القاهرة ؟

فأجاب : لقد تم سفر الطلاب الأكران إلى مصر فـــى دورة مكثفـــة لتحســـين مستواهم فى اللغة العربية ، كانت الثانية فى هذا العام الدراســـى - ١٩٩٨ - ١٩٩٩ - وقد بدأت من ٥ / ٤ إلى ٣ / ٥ / ١٩٩٩ ، وقد تحققت هذه الـــدورة بالتنسيق مع السفارة المصرية فى كييف ، وكـــانت دورة ناجحـــة ، ســـاهمت بنصيب كبير فى تحسين وصقل مستوى الطلاب ، وكل ماأتمناه أنْ تضـــاعف الجهود للعمل على دعم العربية هنا .

د. أبو الخير : الأستاذ حسين صقر لبنانى يدرس الماجيستير فى جامعة كييـــف للغات ، وهو كاتب قصة قصيرة واعد ، وذو أسلوب عربى متمـــيز شـــاركنا

الحوار ، فسألناه : ما رأيك فى هذه الجهود المصرية لدعم العربية فى أكرانيا ؟ مع تمنيات أن يكون لبلده لبنان جهود مماثلة لخدمة لغتنا ؟

فأجاب : هذا أمر بعيد المنال فى الوقت الحاضر ، ولكنه توجه بسؤال لصلاح الدين : بما أنك تعرف عدة لغات ، منها الروسية والإنجليزية والأكرانية والعربية ، فما هى أجمل لغة تتعامل معها ؟

صلاح الدين : أنا أتكلم بعدة لغات على رأسها اللغة العربية ، من هذه اللغات الإنجليزية والفارسية التى تعلمتها منذ ثمانية أشهر فقط ، ولكنى فى تعاملاتى اليومية أستخدم الروسية والأكرانية .

د. أبو الخير : ويسأل الأستاذ حسين صقر سؤالاً آخر عن جمال اللغة العربية؟

صلاح الدين : اللغة العربية لغة جميلة جداً جداً ، ربما أجمل اللغات فى العالم من حيث الموسيقى والإيقاع ، فهى لغة شعرية وموسيقية ، وفيها كثير من الجمال ، جمال فى النطق والتنسيق وفى كل شىء .

د. أبو الخير : وفى الجلسة كان معنا الأستاذ يوسف الأطرش ، وهو كردى تخرج فى الجامعة ويعمل هنا فى كييف ، وقد سأل صلاح الدين هذا السؤال المهم : ما الذى جعلك تسلم ؟

صلاح الدين : فى الإسلام يعجبنى كل شىء ، المعاملات بين الناس والإسلام نظام دقيق للإنسان فى حياته ، ويعجبنى فى الإسلام الصلاة والنظام الروحى والمساواة وعدم الظلم .

د. أبو الخير : ولكن أستاذه عبد الرحيم يسأله عن الزواج ؟

صلاح الدين : لابد أولاً أن أحصل على عمل مناسب ، ثم المال اللازم بعدها أفكر فى الزواج ، لأننى رجل فقير ، فأنا لا أستطيع الزواج الآن .

د. أبو الخير : ما رأى والديك فى إسلامك ؟

صلاح الدين : والدىّ يخافان من إسلامى خوفاً شديداً ، ولكننى أحاول تحسين علاقتى مع أبوىّ ، برغم اختلاف الرأى معهما .

د. أبو الخير : ما الذى يخيف الأكرانيين من الإسلام ؟

صلاح الدين : العمليات الإرهابية - فى الجزائر مثلاً - بعض المسلمين ربما يجعلون المسيحيين يسيئون الظن بالإسلام ، عندما يرتكبون بعض الجرائم مثل القتل وانتهاك حقوق الإنسان ، وقلة الثقافة .

د. أبو الخير : بصرف النظر عن أحداث الجزائر ، هل هناك عوامل أخرى تبعد الناس فى أكرانيا عن الإسلام ؟

صلاح الدين : تربيتنا الشيوعية السوفيتية ، التى أوجدت عداء للدين بشكل عام وليس الإسلام فقط ، بالإضافة إلى أن الناس هنا يرون بعض المسلمين مساكين فقراء ، وقومنا يكرهون الفقر ، هكذا يظن بعض الناس أنهم إن أسلموا فإنهم يمكن أن يكونوا فقراء مثل المسلمين الآخرين ، وهذا وهم بعض العوام الذين ليس لديهم ثقافة أو معرفة ، ممن يعيشون فى قرى أكرانيا وأريافها ، ولم يتعاملوا قط مع مسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع التجنيد الثقافى

إن الوجود الثقافى [1] لأية أمة هو الذى يبقى أثره ، وينفذ إلى أعماق المجتمع ، وإذا نظرنا إلى بلدنا مصر وجدنا الكثير من أبنائنا المتفوقين يتوقون لخدمة بلدهم وثقافتهم ولغتهم .

وهو ما يمكن الإفادة منه فى تجنيد هؤلاء الشباب المتفوقين النابهين فى تعليم العربية خارج الوطن العربى ، حيث نبدأ باختيار الأوائل من أقسام اللغة العربية الذين لم يعينوا فى مصر - من الشباب -وليس من الشابات نظرا لطبيعة العمل - مع إعطائهم راتبا يكفيهم فقط للمعيشة ، فى حدود (٣٠٠) دولار مثلا ، على أن توفر الجهة التى يعملون بها السكن ، أو جزءا من الراتب ، أو تذاكر السفر .

ويقوم الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع إفريقية - مثلا - بتمويل من يرسلهم إلى إفريقية ، ويقوم صندوق الكومنولث بتمويل من يرسلهم إلى الدول التى يتعاون معها ، ويقوم الصندوق الاجتماعى للتنمية بتغطية المناطق الأخرى .

ويكون التعاقد لمدة سنة غير قابلة للتجديد ، إلا إذا قبلت الجهة التى يعمل بها فى الخارج تحمل كافة النفقات ، وأن تقوم بالتعاقد دون الاعتماد على الجهة المصرية فى أية مصروفات .

---

(١) أشار السيد / عمرو موسى وزير الخارجية المصرية إلى أن البعد الثقافى سيكون هو البعد الرئيس للدبلوماسية المصرية فى العقد القادم ، حيث سيتم التركيز على العلاقات الثقافية بين مصر وجميع الدول ، انظر الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٩ / ٨ / ١٩٩٩م.

إن فى بلدنا كثيرا من الشباب الذين يرغبون فى عمل ، أى عمل ، فى الداخل أو الخارج ، وسوف تكون هذه فرصة مهمة للخبرة ، وخدمة الوطن والشباب فى هذه الحالة - غالبا - غير مرتبط بزواج أو أولاد وأسرة وزوجة وفى حالة نفسية وصحية واجتماعية أيضا ، تمكنه من العمل بصورة أفضل .

وضمانا للحيدة وعدم تدخل الوساطات المختلفة فى اختيار هؤلاء الشباب ، نبدأ باختيار الأوائل - حسب الدرجات - من جامعة القاهرة ، ثم عين شمس ، ثم الأزهر ... بالترتيب الذى يراه المختصون فى إدارة المشروع وهكذا .

إن هذا يوفر جيشا جرارا من المثقفين الذين ينتشرون فى كل ركن ومدينة من هذا العالم ، وبتكاليف أقل ، وثمر أكبر ، إن شاء الله .

ولا يقال كيف نرسل إلى الجامعات من يحمل الدرجة الجامعية الأولى؟ لأن كل الجامعات فى كثير من دول العالم - ومنها مصر - فيها ما يسمى بمدرس اللغة ، حيث يؤتى بصاحب اللغة يدرسها للأجانب عنها ، ولا يشترط فى هذه الحالة إطلاقا الحصول على الدكتوراه أو ما قبلها .

وأستطيع أن أقول بصراحة شديدة إن غير العربى مهما كان ذا كفاءة ومؤهلات ، فإنه لا يصل فى إخلاصه وكفاءته إلى مستوى العربى ، صاحب اللغة نفسه ، الذى عايشها ودرسها سنوات طوال ، هذا ما لمسته بنفسى خاصة فى هذه المنطقة التى أعمل بها الآن .

ولذا فإن الممكن والمفيد أن يكون مع كل خبير من خبراء الصندوق واحد أو اثنان من مدرسى اللغة ، يشرف على عملهم ، ويوجههم إلى العمل المثمر المفيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع وجود الكتاب المصرى
فى المكتبات العامة الأكرانية

مما لاشك فيه أن وجود الكتاب الجيد فى المكتبات الأكرانية بالغ الأهمية فى تذكير القارئ دائما ببلدنا ، وترسيخ صورتها فى ذهنه ، كما تفعل الدول الأخرى فى إيجاد كتب لغاتها ، وتوفيرها فى كل مكان ، بشتى السبل والوسائل .

ويمكن أن نبدأ هنا باختبار أربعة مواقع مهمة ، وهى :

- المكتبة العامة فى كييف ، القريبة من حى السالوت .
- مكتبة البرلمان .
- مكتبة جامعة كييف الحكومية للغات .
- مكتبة قسم اللغة العربية بمعهد الشرق والغرب .

يشترك فى اختيار الكتب خبراء الصندوق هنا فى أكرانيا ، ورئيس قسم اللغة العربية وأعضاء القسم هنا ، سواء بتسمية هذه الكتب ومؤلفيها ، أو بتسمية نوعية معينة منها .

ويمكن أن نطلب قوائم دور النشر من مصر عن طريق إدارة الصندوق فى القاهرة ، وعندما تصل القوائم تحدد الكتب المطلوبة بالتشاور مع السفارة .

وهذه الكتب تشمل مبدئيا : (كتب فى تعليم العربية لغير العرب - معاجم إنجليزية عربية متخصصة فى شتى المجالات كالإعلام والاقتصاد

على أية حال فسواء ضمت هذه المنطقة فى أقصى الشرق أم لا ، فـإن من المناسب أن يكون اسم الصندوق (الصندوق المصرى للتعاون الفنى مـــع دول آسيا وأوربة) كما نقول : الصندوق المصرى للتعاون الفنى مـــع الـــدول الإفريقية ، أو الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول آسيا وشرق أوربة .

بل إن الطموح والأمل أن يكون لأمريكا اللاتينية هى الأخرى صندوق للتعاون الفنى هو الثالث ، بعد إفريقية والكومنولث .

بسم الله الرحمن الرحيم

دور القنوات الفضائية والإذاعات الموجهة في خدمة العربية خارج الوطن

لاشك أن الإذاعات الموجهة تلعب دورا مهما فى نشر لغة الوطن، ففى هيئة الإذاعة البريطانية ، وصوت أمريكا العديد من البرامج المنوعة لتعليم اللغة الإنجليزية ، وفى الإذاعة المصرية كانت برامج " العربية بالراديو " تعلم العربية بلغات مختلفة ، كان آخرها اللغة الروسية كمرحلة أولى ، بعدها تعلم العربية بسائر لغات المسلمين بوسط آسيا ، فى دول الاتحاد السوفيتى السابق .

والآن قد من الله علينا بالقنوات الفضائية العربية التى تصل إلى أقصى الأرجاء ، والأشد بعدا عنا ، مما يلفت النظر إلى الدور المهم الذى يمكن أن تلعبه هذه القنوات فى تعليم العربية ودعم وجودها ، ولاسيما خارج الوطن العربى ، إذ الأمر لأهميته يحتاج إلى :

١- مؤتمر يخصص لمناقشة الدور المنتظر المؤمل لكل من الإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية العربية .

٢- وتمهيدا لهذا المؤتمر يمكن أن يخصص محور فى أحد مؤتمرات لسان العرب السنوية - مثلا - لهذه القضية المهمة ، مع دعوة بعض المسئولين عن الإذاعات الموجهة والقنوات الفضائية لمناقشة الموضوع .

٣- من الصراحة الاعتراف بأن الإذاعات الموجهة المصرية إرسالها ضعيف جدا فى خارج الوطن ، مقارنة بغيرها من الإذاعات العربية ، أو الناطقة بلسان العرب ، ولذا فإن العمل على تقوية إرسالها شىء مهم جدا ، خاصة

في الوقت الراهن ، دون أن نتكل على وجود الأطباق المستقبلة للفضائيات لأن هذه إمكانية لا تتوفر لكثير من الناس .

٤- لا يكفي برنامج واحد لنشر العربية بالراديو ، بل لابد من سلسلة من البرامج ، تلح إلحاحا على الأذن المستمعة ، كما تفعل الإذاعات الأخرى .

٥- إن البرامج التي تذاع للمشاهدين في الوطن لا تصلح - أو ربما - لا تصلح للمشاهدين خارج الوطن ، ولذا لابد من برامج خاصة في الفضائيات العربية تخدم متعلم العربية من غير العرب ، برامج بالفصحى المختارة المتأنية ، تعد إعدادا مناسبا لغير العرب ، كي تحقق الثمرة المرجوة ، والهدف المؤمل عليها .

مشروع إنشاء جامعة عربية

فى أكرانيا

إن هذا البلد يشهد الآن تسابقا محموما من جانب دول كثيرة ، الصغيرة منها ، والكبيرة لنشر لغاتها وإنشاء أقسام لها ، أو تطوير الأقسام القائمة ، ومن هذى الدول كمثال وليس من قبيل الحصر : الصين ، واليابان ، وكوريا ، فى الشرق الأقصى ، وتركيا ، وإسرائيل ، وإيران فى أقصى الغرب من القارة الآسيوية ، ناهيك عن الإنجليز والفرنسيين والألمان والأسبان ... الخ ، كل يحاول دعم لغته ، ما اسطاع إلى ذلك سبيلا .

ومن هنا فإن إنشاء جامعة عربية بمصروفات معقولة تدرس لغتنا وأدبها ، وتاريخنا وكل ما يتصل به ، أو ما شئنا من تخصصات ، يصبح فكرة جديرة بالمناقشة .

وقد يكون اقتراح إشراف الأزهر على الجامعة الإسلامية التى أنشأتها الإدارة الدينية هنا بديلا مقبولا لفكرة إنشاء الجامعة العربية المقترحة ، ونأمل أن يكون هذا الاقتراح جديا ، وأن يتحقق له النجاح ، لأن الجامعة فى هذه الحالة سوف تكون مركزا مهما للوجود العربى المصرى ، تنطلق منه أفكار وأعمال تدعم وجود بلادنا وحضورها على الساحة الأكرانية .

الإعارة وخبراء الصندوق

بعد أن يتم الاتفاق مع الصندوق يبدأ الخبير فى مخاطبة جامعتـــه فـــى إعارته للعمل فى جامعة كذا فى دولة كذا ، وفى هذه الحال يدخل المتعاقد فـــى إجراءات قد تكون طويلة ومضيعة للوقت ، وفى النهاية قد توافـــق الجامعـــة وربما لا توافق ، مع الأخذ فى الاعتبار أن العمل فى الصندوق يتطلب تـــأهيلا وخبرات ، ربما لا تتوافر فيمن تنطبق عليه شروط الإعارة فى جامعته ، وذلك مثل الإلمام بلغة أجنبية على الأقل ، وخبرة فى تعليم غير العـــرب ، والعمـــل خارج العالم العربى .

ومن ثم فالرأى أن يتم الاتفاق مع وزير الدولة للتعليم العالى علـــى أن تتم مخاطبة الجامعات على أساس معاملة من يتعاقد مع الصندوق معاملة الندب الكامل - بدون راتب من الجامعة - للعمل بالصندوق ، فكأنه ندب من جهـــة مصرية إلى جهة أخرى مصرية أيضا ، أو على الأقل معاملة المتعـــاقد مـــع الصندوق معاملة زميله الذى يذهب إلى الخارج فى مهمة علمية .

إن هذا يتيح اختيارا أوسع للصندوق ، ويختصر كثيرا من الإجـــراءات التى تعطل سفر المتعاقد فى الوقت المطلوب .

فإذا كان الصندوق قد اتفق مع وزارة الداخلية على أن يكون تصريـــح العمل للمتعاقدين مع الصندوق مجانيا ، وكذا تأشيرة البلد مجانية هى الأخـــرى وذلك بالاتفاق مع السفارة المعنية ، فإن من الممكن أيضا أن يتفق مـــع وزارة التعليم العالى على أن ينتدب المتعاقد للعمل فى الصندوق ، ثم يحدد العقد ما هو مطلوب من الطرفين المتعاقدين ، أى الصندوق والخبير .

ويمكن مراجعة البنود الخاصة بالندب والإجازات والإعارات فى لائحة المجلس الأعلى للجامعات المصرية لمخاطبة جامعاتنا بالطريقة التـــى تيسـر التعاقد مع من يراه الصندوق ، بصرف النظر عن شروط الإعارة الخارجيـــة وقيودها .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقترحات د. إسماعيل عمران رئيس قسم اللغة العربية

١) العمل على دعم المدرسين ماديا .

٢) العمل على إفساح مجال للمدرسين فى المشاركة فى الندوات والمؤتمرات المعنية فى تدريس اللغة العربية كلغة أجنبية .

٣) العمل على تطوير القسم العربى فى أى مجال ممكن (وأى مجال لا يضر).

٤) قضية التطبيق العملى للطلبة .

٥) العمل على ربط قسمنا مع أكبر عدد ممكن من الجامعات فى ج.م.ع. والمؤسسات المعنية فى تدريس العربية .

٦) العمل على ربطنا بجامعة الدول العربية خاصة .

٧) العمل على ربطنا بمنظمة الثقافة والعلوم والتربية العربية .

الصندوق المصرى لرعاية اللغة العربية خارج الوطن العربى

آلية مقترحة

مما لا شك فيه أن العربية خارج الوطن العربى لها وجـــود واضـــح ومؤسسات قائمة ترعاها ، مدارس وجامعات وجمعيات وهيئـــات ، حكوميـــة وأهلية يقوم عليها العرب فى مهاجرهم ، أو من تعلموا العربية فى أوطانهم، أو هنا فى العالم العربى .

هذه المؤسسات هى امتداد مجانى لنا – نحن العرب – ومن حقها علينا أن نرعاها ، وفى ذات الوقت نفيد من هذا الامتداد الموجود على أرض الواقـع ومن هنا نجد من واجبنا تجاه أنفسنا أولا ، قبل أن يكون تجاه الآخر أن يكـــون لدينا آلية محددة ترعى هذا الامتداد ، تفيد منه ، وتفيده فى ذات الوقت .

ومما نقترحه هنا أن يكون لدينا – مثلا – ما يمكن تسميته (الصنـــدوق المصرى لرعاية اللغة العربية خارج الوطن العربى) يكـــون تابعـــا لـــوزارة الخارجية أو لوزارة التعليم العالى ، يرعى وينسق كل الجهود للإفادة والاستفادة من المؤسسات العربية خارج الوطن العربى .

نعم هناك جهود يبذلها الأزهر والجامعات ووزارة الخارجية ... الـــخ ولكن هذا الصندوق المقترح يمكن أن ينسق كل هذى الجهود القائمة ويدفعـــها قدما إلى الأمام ، ويقترح ما يراه من خلال العمل على أرض الواقع .

هذا على المستوى القطرى ، ففى كل قطر عربى يمكن أن يكون هناك صندوق من هذا النوع ، بطريقة أو بأخرى ، ومن خلال هذه الصناديق فى كل قطر عربى يكون هناك (المجلس الأعلى لرعاية اللغة العربية فى الخارج) .

وبطبيعة الحال فإن هذا كله لا يعارض الجهود القائمة ، سواء على المستوى القطرى ، أو العربى ، أو الإسلامى ، أو غيرها ، بل هو ينسق بين هذى الجهود ويرعاها ، ويدفعها إلى الأمام ، ويوجهها الوجهة الأصلح الأمثل.

بل يمكن أن يفيد من تبرعات الأفراد وجهودهم ، من المؤسسات الأهلية والحكومية ، أى من جهود وإمكانيات الأمة كلها .

ونختم حديثنا هنا بمثال يوضح ما نسوقه من مقال ، فإذا كان لدينا مثلا مدرسة عربية بها خمسة آلاف تلميذ أو حتى ثلاثة آلاف ، من الحضانة إلى الثانوى ، فكم تكلفنا إذا أردنا أن نبنيها ونهيئ لها الأثاث وغيره ، والمدرسين والعاملين والإدارة ؟ إنها تكلف الكثير ، خاصة فى بلاد بعيدة نائية عنا .

وكم تكلف الإنجليز أو الفرنسيين أو الألمان إذا أرادوا بناء مدرسة كهذه لخدمة لغتهم ؟ إنها ربما تكلف الملايين ، الملايين ، فإذا كنا – نحن العرب – ليس لدينا مدرسة عربية واحدة من هذا النوع ، بل مدارس عديدة فى شتى أرجاء العالم وأقطاره ، ومعاهد ومؤسسات كثيرة جاهزة ومعدة ، إنها جديرة بعنايتنا ورعايتنا ، لصالحنا نحن أولا ، قبل الآخرين .

والله من وراء القصد الهادى إلى سبيل الرشاد

القســـــم الثانـــى

١- لسان العرب فى الاتحاد السوفيتى الســـابق

٢- العربيـــة فـــى جنـــوب شـــــرق آســـيا

١- لسان العرب فى الاتحاد السوفيتى السابق .

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الاتحاد السوفيتى يتمتع بعلاقات قوية مع كثير من الأقطار العربية مثل مصر وسورية واليمن .... إلخ ، وكان لمراكز الاستشراق - خاصة فى موسكو - دور مهم فى دعم العلاقات مع العالم العربى ، ومن ثم رعته دولة الاتحاد السوفيتى بكل ما تملك ، تحدوها دوافع سياسية ، وعملية نفعية ، لاسيما فى ظل أجواء الحرب الباردة مع الغرب .

ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، وانفراط عقده ، واستقلال جمهورياته عن روسية وانتهاء الحرب الباردة - ولوفى الشكل والظاهر - تضاءلت أهمية الاستشراق ، ولم تعد الحاجة إليه ماسة كما كان فى سابق عهد الاتحاد ، وفى ظل الأزمة الاقتصادية التى أعقبت التحول من نظام شيوعى، أو اشتراكى ... إلى محاولة إرساء نظام آخر ، يعتمد بالدرجة الأولى على آليات السوق ، والانفتاح على العالم الرأسمالى ، فى ظل هذى الأجواء لم يعد الاستشراق يحظى بالاهتمام كما كان على عهد الاتحاد السوفيتى الذى كان القوة الثانية فى عالمه ، وعلى أيامه .

على أية حال فإن بعض المستشرقين قد عاد إلى الحاضرة السوفيتية موسكو حيث أملٌ فى حياة أفضل وعيش أرغد ، وإمكانيات أوسع ، وكذا عادت كوادر وكفاءات كثيرة من مختلف الجمهوريات المستقلة - ومنها أكرانيا- إلى جمهورية روسيا الاتحادية .

ومنذ الوهلة الأولى لاستقلال [1] أكرانيا فى بداية هذا العقد الأخير من القرن العشرين كان على أكرانيا أن تبنى مؤسساتها ومدارسها وجامعاتها كدولة مستقلة ، مع إحساس مهم آخر هو التواصل مع دول العالم كافة ، بالتعرف على لغاتها وثقافاتها وحضاراتها ، أو بتعبير آخر التعرف على كل أمة أو دولة بلغتها ولسانها .

ومن هنا بدأ التفكير الجاد بتعليم اللغات الأجنبية فى أكرانيا ، ومنها اللغة العربية ، عبر المدارس والمعاهد والجامعات التى سوف نشير إليها ، ولا ننسى أن اللغة الأكرانية أصبحت لغة رسمية منذ الاستقلال ، بعد سيطرة اللغة الروسية لقرون ، بدأت فى راينا وبشكل جدى – سنة ١٦٥٤ م [2] عندما أعلنت أكرانيا انضمامها طوعا إلى روسيا على يد الزعيم بفدان خميلنتسكى الذى وجد أن بلاده لن تصمد ضد الطامعين فى الغرب والشمال والجنوب سيما بعد أن توحدت المملكة البولندية والإمارة الليتوانية الكبيرة فى دولة واحدة ١٥٦٩ م .

ويلاحظ أن المراجع الروسية تقول : (إعادة ضم أكرانيا إلى روسيا) ذلك أننا إذا عدنا إلى التاريخ القديم ، فى القرن التاسع الميلادى ، وبالتحديد ٨٦٠ م وجدنا المصادر الروسية ترى أنه قد (أشير فى هذا العام لأول مرة إلى روسيا فى المصادر المكتوبة ، وعندئذ بدأت الأرض الروسية تسمى هكذا لقد وحد الأمير أليج أراضى نوفغورود وكييف فى نهاية القرن التاسع –عام

---

(١) استقلت أكرانيا فى ديسمبر ١٩٩١ م .

(٢) يبيفانوف ، فيدوسوف : تاريخ الاتحاد السوفيتى ، ترجمة خيرى الضامن ونقولا طويل ص ١٨٣ .

٨٨٢ م - وشكلت أراضى السلاف الشرقيين المتاخمة للطريق العظيم من الفارياغ إلى اليونان - من بحر البلطيق حتى البحر الأسود - نواة الدولة الروسية القديمة ، وصارت عاصمتها كييف - أم المدن الروسية - وتحولت دولة روسيا الكييفية القديمة على أعتاب القرن الحادى عشر إلى أقوى وأكبر دولة فى أوربة [٣]) .

وهكذا كانت الدولة الروسية الأولى بقيادة كييف - عاصمة جمهورية أكرانيا الآن - فى حين لم تجد أكرانيا بدا من العودة مرة أخرى إلى الدولة الروسية ، ولكن بقيادة موسكو هذه المرة ، وليس كييف التى أصبحت منذ ١٦٥٤ م تابعة ، وليست متبوعة .

وطوال هذى القرون حتى استقلال أكرانيا - ١٩٩١ م - كانت الروسية لغة العلم والثقافة ولسان الناس فى كل رجا من أرجاء أكرانيا ، خاصة فى منطقة الشمال ، بينما توارت الأكرانية بعيدا فى القرى وعلى ألسنة الشيوخ والعجائز مفسحة المجال للروسية ، لغة رسمية فى التعليم ووسائل الإعلام والدوائر الرسمية والحكومية ، بل يصل الأمر أحيانا إلى أن تجدها لغة وحيدة واحدة فى هذا البلد ، أكرانيا .

ومن ثم بدأ العمل منذ الاستقلال فى خطين متوازيين ، الأول إحياء اللغة الأكرانية والثانى تعليم اللغات الأجنبية ، شرقية أم غربية ، وأظن أن الحط الأول شديد التعقيد والصعوبة فى ذات الوقت ، فقد نشأت أجيال وأجيال لا تعرف غير الروسية ، وهو ما يلمسه من يزور أكرانيا .

---

(٣) السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

وفى الخط الآخر فإن العمل جاد ودءوب فى تعليم اللغات الأجنبية ، ومنها لغة العرب حيث يؤمل القوم هنا فى علاقات مثمرة مع العالم العربى بإمكانياته وثرواته ، ودعمه لأكرانيا المستقلة .

ويكفى الإشارة إلى أن معهد اللغات والقانون [٤] - وهو معهد خاص - به خمس وعشرون لغة أجنبية يدرسها الطلاب ، منها التركية والفارسية والعربية أيضا ، فضلا عن اليابانية والصينية والكورية ... إلخ .

وتجدر الإشارة إلى أنه فى سنة ١٩٩٤ تحولت العديد من المعاهد العالية إلى جامعات ومنها جامعة كييف الحكومية للغات التى كانت قبل ذلك (معهد كييف الحكومى للغات الأجنبية [٥]) لقد أصبح الآن جامعة رائدة فى مجال تعليم اللغات الأجنبية ، بها عشرة أقسام ، ومعهدان أحدهما معهد الشرق والغرب ، الذى تدرس به ست لغات شرقية ، هى : (الصينية واليابانية والكورية ، والتركية والفارسية ، ثم العربية) وكذا اللغات الأوربية كالإنجليزية والألمانية .... إلخ وذلك لإعداد معلمين ومترجمين لهاتيك اللغات .

وقبل أن نفصل الحديث عن مواقع تعليم العربية ودراستها تجب الإشارة إلى نقطتين مهمتين هنا ، الأولى معرفة العرب منذ القرن الرابع

---

(٤) أسس هذا المعهد فى كييف أحد الأساتذة الأكران ، سنة ١٩٩٤ م وهو يستفيد من التسابق المحموم من جانب دول كثيرة لدعم لغاتها ونفوذها فى دولة حديثة الاستقلال وعلى رأس هذى الدول الداعمة اليابان وكوريا والصين فى الشرق الأقصى ، وفى غرب آسيا تركيا وإيران ، ويدرس اللغة العربية فى المعهد ثلاثة من المستشرقين الأكران ، واثنان من العرب ، منهم خبير مصرى ، أوفدته وزارة الخارجية المصرية على حسابها فى العام الدراسى ٩٨ - ١٩٩٩ م .

(٥) أسس المعهد سنة ١٩٤٨ م .

الهجرى – على الأقل – أو قل منذ بداية ذلك القرن لهذه المنطقة والتى تسمى الآن أكرانيا ، وللحاضرة كييف وللنهر الأكبر الذى يشقها من الشمال حتى الجنوب على البحر الأسود ، وهو نهر دينبرو ، أما النقطة الثانية التى نعالجها فكلمة عن هذى الدولة الأكرانية ، وهاك التفصيل :

أولا – الكتابات العربية حول المنطقة :

إن مما يجمع عليه العرب والمستشرقون على السواء أهمية المصادر العربية والمراجع التى كَتَبت عن المنطقة بشكل خاص ، وعن مناطق كثيرة فى العالم القديم ، فمن الأكران المستشرق الكبير أمليان بروتساك [٦] ، والذى ألف الكثير من الكتب وقدم العديد من البحوث والمقالات عن دولة كييف الروسية والاحتلال المغولى، فهو يؤكد فى كل ما سبق أهمية المصادر العربية ، ومنها رسالة ابن فضلان وكتابات المسعودى ، المؤرخ العربى الكبير .

ويفسر المستشرق الأكرانى اسكندر بوغومولوف [٧] إجماع الرأى على أهمية المصادر العربية بقوله : (أقدم المراجع التى كتبت عن المنطقة هى الكتابات اليونانية ، ثم العربية فالمحلية والأوربية ، وكان العرب أدق فى

---

(٦) هاجر إلى الولايات المتحدة ، وحصل على الجنسية الأمريكية ، ولكنه عاد إلى بلاده فى بداية التسعينات إبان عصر الانفتاح ليعيد تأسيس معهدالاستشراق فى أكرانيا ، وهو الآن أستاذ فى جامعة هارفارد الأمريكية .

(٧) رئيس كرسى الدراسات الشرقية – التركية والفارسية والعربية – بجامعة كييف الحكومية للغات ، وقد أدلى بهذى المعلومات فى حديث معه فى الثانى من فبراير ١٩٩٩ .

الكتابة ، وخاصة عن الاحتلال المغولي لروسيا بسبب الحياد لدى العرب وعدم الحياد في الكتابات المحلية ، ففيها تحامل واضح على المغول).

وقد جاء في تاريخ الاتحاد السوفيتي [(٨)] تحت عنوان : (الكاتب العربي ابن رسته يتحدث عن السلاف) ما نصه :

عند بداية حدود بلاد السلاف تقع مدينة كوياب - هي كييف على ما يبدو - ويمر الطريق إلى بلادهم عبر سهوب وأراض خالية من الدروب وعبر نهيرات وغابات كثيفة ، إن بلاد السلاف بلاد سهول وغابات ، ويعيش أهلها في الغابات ... أما البرد في بلادهم فيصادف أن يكون شديدا إلى درجة جعلت كل واحد منهم يحفر لنفسه في الأرض سردابا يغطيه بسقف خشبي مدبب ، وعلى السقف يضعون ترابا ، وينتقلون للعيش في مثل هذه السراديب مع جميع أفراد عوائلهم ، ويأخذون معهم بعض الأخشاب والأحجار، ويشعلون النار ، ويحمون الأحجار على النار حتى الاحمرار ، وعندما تحمر الأحجار حتى أقصى درجة يصبون عليها الماء ، فيتصاعد البخار الذي يدفئ المسكن لدرجة أنهم يخلعون ملابسهم ، ويعيشون في هذا المسكن حتى الربيع .

وقد راجعت هذا النص في كتاب الأعلاق النفسية لابن رستة [(٩)] ،وكذا بعض المصادر العربية التي تحدثت عن السلاف ، أو ما سماه العرب الصقالبة لا سيما ما أشار منها إلى كويابة - كييف - فعرفت منهم الإدريسي [(١٠)] في

---

(٨) ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٩) طبع المجلد السابع من الكتاب في ليدن ١٨٩٣ م ، انظر النص المشار إليه ص ١٣٥م.

(١٠)كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٩١٧ ، القاهرة ١٩٩٤م.

القرن السادس الهجرى ، والحميرى [١١] فى القرن الثامن الهجرى ، فمما قال الأول : (من بلغار إلى أول حدود الروس عشر مراحل ، ومن بلغار إلى كويابة نحوا من عشرين مرحلة) . أما ابن رستة فقد ألف كتابه المذكور هنا أواخر القرن الثالث الهجرى ، حوالى ٩٠٠ م .

ومن المصادر التى اهتم بها المستشرقون اهتماما كبير رسالة ابن فضلان ، ففى خلافة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) جاء رسول ملك الصقالبة إلى الخليفة ليرسل إلى القوم من يفقههم فى الدين ، وينشئ لهم مسجدا وحصنا يتحصنون فيه من أعدائهم ، وينتدب الخليفة وفدا عالى المستوى ، على رأسه الفقيه أحمد بن فضلان الذى شد الرحال إلى حيث أمره الخليفة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م ، وعندما عاد سجل كل ما رآه [١٢] تحت عنوان : (رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة) تلك الرسالة على صغر حجمها قد حظيت بعناية تفوق الوصف من جانب المستشرقين ، خاصة الروس [١٣] .

ولعل أهمية الكتابات العربية فى تأريخ القوم وراء اهتمامهم بتعلم العربية ودرسها ، وقد أضيف إليها الآن الانفتاح على لغات العالم وحضاراته

---

(١١) الروض المعطار فى خبر الأقطار تحقيق د. إحسان عباس، ص٥٠٣، لبنان ١٩٨٤م .

(١٢) زيادة ، د. نقولا : الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٩٥ ، بيروت ١٩٦٢ م .

(١٣) قام د. سامى الدهان بتحقيق الرسالة المذكورة،ونشرت طبعتها الثانية فى بيروت١٩٨٧م نشرت صحيفة الجمهورية القاهرية بتاريخ ١٩٩٩/١٢/١٦ ص٩ (يعرض الآن- من إنتاج هوليود- أحدث إنتاج سينمائى عالمى فى فيلم بعنوان المحارب ١٣ ، بطولة أنطونيو بانديراس وعمر الشريف إخراج جون كايرنان ، مأخوذ من رواية أدبية للكاتب مايكل كريتون ، بعنوان " آكلى لحوم الموتى " وهى مستوحاة من رسالة الرحالة أحمد بن فضلان) إذن العرب هم الأصل ، وكتاباتهم هى الأهم والتى يستوحى منها الآخرون .

دون التركيز على لغة واحدة ، كما يفعل بعض بنى العـــرب حيـــن يتعلقـــون بأهداب الإنجليزية فقط ، أو الفرنسية ، أو غيرهما من اللغات الأجنبية .

ثانيا : بقى أن نشير فى عجالة إلى كليمة عن أكرانيا (١٤) ، فنقول :

إنها دولة زراعية وصناعية ناهضة ، وهـــى - جغرافيـــا - أوربيـــة تتوسط ، من الشرق والشمال الشرقى روسيا ، ومن الشمال الغربـــى روســـيا البيضاء ، ومن الغرب رومانيا وبولندة ومن الجنوب البحرالأســـود ، وبحـــر الآزوف .

عدد السكان ٥٦ مليونا ، سكان العاصمة ٣ ملايين ، الشعب الأكرانـــى متعدد الأعراق روس ، تتر ، أرمن ، أذربيجانيون ، إفريقيـــون ، آســـيويون أوربيون .... إلخ عدد المسلمين ٣ ملايين ، ٤٠ ألفا فى العاصمـــة ، ولكـــن معظمهم في الجنوب شرقا وغربا ، فقد كان الجنوب على ســـواحل البحريـــن الأسود والآزوف من المناطق التى ضمت إلى الدولـــة الروســـية بحـــد القنـــا وخاصة بعد حروب دامية مع الإمبراطورية العثمانية .

على أية حال فإن مساحة أكرانيا ٦٠٠,٠٠٠ ك م^2 تقريبا ، فهى ثـــانى دولة أوربية من حيث المساحة بعد روسيا الاتحادية .

الجالية العربية هنا تقلص عددها الآن ، خاصة المصرية منها ، إذ كان العرب بشكل عام فى دولة الاتحاد السوفيتى السابق هنا أكثرمنـــهم الآن ، وإن كانت بعض التقديرات ترى العرب الآن فى حدود المائة ألف ، منـــهم أعـــداد

---

(١٤) كلمة أكرانيا معناها الأطراف البعيدة القصية ، فقد كانت أكرانيا فى أقصى الغرب من الاتحاد السوفيتى السابق ، وعندما كانت تضم إلى بولندة كانت أيضا بلاده قصية عن مملكة وارسو .

كبيرة من الطلاب ، أو ممن يعملون فى التجارة والأعمال وفى أكرانيا سفارات عربية ، مصرية ، كويتية ، جزائرية ، ليبيـــة ، وملحقيـــات ثقافيـــة لســـوريا والأردن .

والآن نبدأ الحديث عن مواقع تعليم العربية ودرسها فنراها الآن :

١- قسم اللغة العربية بمعهد الشرق والغرب ، جامعة كييف الحكومية للغـــات وقد بنى هذا القسم أحد الشباب العرب الطموحين (١٥) ، الذى عـــاش هنـــا فوق العشرين عاما ، بدأت الدراسة بالقسم ١٩٩٥ م ، وعندنا الآن الفرقـــة الرابعة ، فضلا عن الثالثة والثانية والأولى .

أما هيئة التدريس فثلاثة فى الأكران ، ومثلهم من العرب ، اثنان مـــن فلسطين ، وخبير مصرى على حساب وزارة الخارجية المصرية .

مدة الدراسة بالقسم خمس سنوات للحصول علـــى الدرجـــة الجامعيـــة الأولى ، والعمل فى الترجمة والتدريس ، عدد الطلاب الآن أقل من خمســـين هم من جنسيات مختلفة من الأكران وغيرهم من الاتحاد السوفيتى السابق .

٢- لا يوجد قسم آخر للغة العربية فى أكرانيا غير قسمنا ، كما يقول القوم هنـــا من مؤسسى القسم ، وإنما تدرس العربية كلغة شرقية - أو قل كلغة أجنبية - فى بعض الجامعات والمعاهد مثل :

أ - جامعة أودسا على البحر الأسود ، ففى مدرسة العلاقات الدولية نجد لغـــات شرقية ، هى العربية والفارسية والتركية والعبريـــة بجـــانب الإنجليزيـــة واليونانية ، يقول المستشرق ألكسى فولوفينتش الذى يدرس العربيـــة فـــى

---

(١٥) د. إسماعيل عمران من مواليد بيت المقدس فى فلسطين .

المدرسة المذكورة : (تدرس اللغة العربية عندنا فى قسم العلاقات الدولية فنحن نعد المتخصصين فى العلاقات الدولية ، وليس علماء اللغة ، ومن ثم فإن دراسة العربية تحمل طابعا تطبيقيا ، تخدم التخصص الرئيس للطلاب وهو علم العلاقات الدولية ، والتاريخ) .

ب- كذلك تدرس العربية فى معهد العلاقات الدولية التابع للجامعة الحمراء فى الحاضرة كييف ، وكذا فى بعض أقسام الجامعة نفسها ، وقد أرسلت مصر لهذا المعهد خبيرا موفدا من الصندوق المصرى للتعاون الفنى .

وتدرس العربية أيضا فى معهد اللغات والقانون فى كييف ، وهو معهد خاص كما أسلفت الإشارة ، وفى أكاديمية شركاسى [١٦] للعلاقات الدولية، وهى غير حكومى أيضا ، أوفد إليها خبير مصرى من جامعة القاهرة فى الفترة من مارس ١٩٩٨ إلى نهاية فبراير ١٩٩٩ م ، وذلك لخدمة العربية التى تدرس ضمن لغات عديدة بالأكاديمية .

٣- أما الإدارة الدينية لمسلمى أكرانيا ، وعلى رأسها فضيلة الشيخ أحمد تميم[١٧] فقد افتتحت مدرسة الإرشاد فى العاصمة كييف لتستقبل الأطفال من سن أربع سنوات ، كى يتعلموا العربية ، مع الروسية والإنجليزية، وقد أنشئت المدرسة ١٩٩٦ م ، وهى تابعة للجامعة الإسلامية التى أسستها الإدارة الدينية ١٩٩٤ مخططة لافتتاح الكليات الآتية :

---

(١٦) تقع شركاسى جنوب العاصمة كييف بحوالى مائتى كيلو متر .

(١٧) وهو من أصل لبنانى ، ولكنه قضى فى أكرانيا ما ينيف على العشرين عاما ، ولذا فهو يجيد الروسية بطلاقة ، كما نال قسطا من تعليمه الدينى فى لبنان ، وقد أسس الإدارة الدينية فى ٩ / ٩ / ١٩٩٢م.

- أصول الدين .
- العلوم الاجتماعية والاقتصادية الإسلامية .
- هندسة العمارة والبناء الإسلامى .
- اللغات الشرقية وإعداد المعلمين .
- إعادة تأهيل الدعاة .

مدة الدراسة فى الجامعة أربع سنوات ، الأوليان بالروسية، والأخيرتان بالعربية ، وقد بدئ بكلية أصول الدين ، طلابها الآن فى الفرقة الثانية .

وهناك اتجاه إلى إشراف الأزهر على الجامعة ، وذلك بعد الانتهاء من إعداد المبانى الجديدة ، وهو ما يحقق حلم المخلصين من العرب الذين يتشوقون لجامعة عربية هنا فى الحاضرة الأكرانية .

كما تقوم الإدارة الدينية بإصدار صحيفة المنار العربية ، وبعض المطبوعات والكتب بلسان العرب ، فضلا عن الروسية [١٨] .

٤- بل هناك مؤسسات أكرانية غير حكومية معنية بالعربية ، مثل مركز دراسات الشرق الأوسط وهو مركز بحثى معنى باهتمامات شتى ، منها العربية .

ولا ننسى هنا مراكز الاستشراق ، مثل معهد الاستشراق التابع للأكاديمية الأكرانية ، وإن كان مخصصا للبحوث ، والدراسات العليا دبلومة ماجستير ، دكتوراه ، وفيه طلاب عرب فضلا عن الأكران .

---

(١٨) وكان على رأس إنجازات الإدارة الدينية هنا وضع حجر الأساس لمسجد الرحمة فى كييف ١٩٩٤م فقد جاهد الناس لإقامة مسجد لهم فى العاصمة قرنا طويلا من الزمان.

٥- ولا يقتصر الأمر على ما سبق ذكره ، بل هنـاك مـدارس عربيـة وأكرانيـة تدرس فيها لغتنا منها :

أ - المدرسة الليبية فى كييف ، فإلى جانب أية سفارة ليبية فى الخارج مدرسـة مـن هـذا النـوع وإن كـانت تـدرس المنـاهج والكتـب الليبيـة فقـط ، وربمـا مدرسون ليبيون فقط .

ب- وفى المدرسة رقم ١١٤ (١٩) فى كييف وهى مدرسة حكوميـة بـدأ تدريس العربية ضمن لغات أجنبية أُخَر ، وذلك منذ العام الجامعى الحـالى ٩٨ - ١٩٩٩ ، يقوم بالتدريس فيها أحد المدرسين العرب .

جـ- وفى مدرسة اللغات الشرقية رقم ١ يدرس التلاميذ اللغات الآتية : العربيـة الفارسية الهندية ، اليابانية ، الكورية ، التركية ، وتدرس العربية من عشر سنوات ، حيث يدرسها التلاميذ فى الصـف العاشـروالحادى عشـر ، وتقـع المدرسة إلى جوار معهد اللغات والقانون ومـن ثـم يـأتى الطـلاب للتطبيـق العملى فى المدرسة .

زرت المدرسـة بصحبـة ثلاثـة مـن المدرسـين العـرب ، دخلنـا أحـد الفصـول وجدنـا المدرسـة الأكرانيـة تسـتعين بكتـاب سـورى للقـراءة ، مؤلـف للعرب ، ولكنها تحـاول أن تعد منـه دروسـا مناسبة لتلاميذهـا الأكـران ، وقـد ذكرت لنا أنها تخرجت فى الجامعة الحمراء فى كييف ، إن عربيتها لا بأس بها وقد ذكرت أن معها عربى من الكويت يدرس معها لسان قومه .

---

(١٩) فالمدارس هنا فى أكرانيا تعرف بأرقامها ، أو قل بالأرقام العربيـة ، وليـس بالأسـماء كما هو الحال فى العالم العربـى ، مـأثرة أخرى للرقم العربـى ، الذى أراه عنصـرا مهما ، بل بالغ الأهمية فى اللغة العالمية التى تطمح إليها البشرية .

د- مدرسة عربية أقامها أحد أبناء فلسطين منذ خمس سنوات ، وهى تعمل يومى السبت والأحد فقط ، وقد ذكر لى مديرها أن هناك مدارس أخرى عربية فى العاصمة - وغيرها - أقامها التتر ، ولكنها ربما لا تستمر ، كما استمرت هذه المدرسة العربية فى كييف .

هذى أهم المواقع التى استطعت رصدها ، وإنى لجاد فى ملاحقة أية معلومة عن مواقع أخر ، تظهر فى أى وقت ، حيث تسجل من آنها ، من فم أصحابها ، أو من خلال المطبوعات التى تصدرها الجهة صاحبة الشان .

أما قسم اللغة العربية هنا فقد حاول الاتصال والكتابة إلى السفارات والهيئات والمؤسسات العربية ، وذلك بشكل كثيف دءوب وملح فاستجابت مصر من خلال سفارتنا فى أكرانيا :

١- أرسلت أربعة من أساتذة العربية لتلبية الحاجة الملحة لتعليم لغتنا فى هذا البلد .

٢- نظمت دورات مكثفة لطلاب العربية الأكران [٢٠] فى مركز تعليم اللغة العربية بجامعة القاهرة ، وذلك ليعيش الطالب فى وسط عربى ، وفى أجواء عربية أيضا ، يتلقى لغتنا من أفواه بينها ، وفى ديارهم ومضاربهم .

٣- استضافت مصر رئيس كرسى اللغات الشرقية بمعهدنا والذى يدرس اللغة العربية فى قسمنا المستشرق إسكندر بوجومولوف ضمن وفد صحافى زار القاهرة لمدة أسبوعين ، فى ديسمبر ١٩٩٨م .

---

(٢٠) كان ذلك فى الفترة من ٢ / ١١ إلى ٧ / ١٢ / ١٩٩٨ ، وقد ضم الوفد الطلابى ١٢ طالبا من قسمنا إضافة إلى ٨ طلاب من أكاديمية العلاقات الدولية فى شركاسى .

كما استضافت الدكتور إسماعيل عمران رئيس قسم اللغة العربية فى يناير الماضى ١٩٩٩ ، حيث تجول فى القاهرة وبعض المحافظات المصرية وتقابل مع بعض المسئولين والمعنيين والمختصين بالعربية وبعض الإعلاميين فىمصر ، مثل د. عبد الحافظ حلمى نائب رئيس مجمع اللغة العربية ، والذى وعد بإرسال ما يتيسر من مطبوعات المجمع ، كما زار د. عاطف نصار رئيس جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية ، وأهداه الرجل نسخا من مؤلفاته ، وكذا التقى بالإعلامى الكبير الأستاذ طاهر أو زيد .

كما التقى بالسفير أشرف زعزع أمين الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث ، وشرح احتياجات القسم ومتطلباته وجهوده الدءوب للنهوض بمسئولية تعليم العربية فى أكرانيا ، وقد وعد سعادة السفير ببذل ما يستطيع لدعم القسم ومؤازرته بما فى الوسع والمستطاع .

وكذلك استضافت جامعة القاهرة مدير أكاديمية العلاقات الدولية وأحد مساعديه فى دار ضيافتها لمدة أسبوع فى يناير ١٩٩٩ ، حيث التقى ببعض المسئولين فى جامعة القاهرة والسفير أشرف زعزع فى وزارة الخارجية .

٤- وافقت سفارتنا فى كييف على سفرى إلى القاهرة لحضور مؤتمر لسان العرب فى نوفمبر الماضى ١٩٩٨ للحديث عن العربية فى أكرانيا بناء على رجاء القسم هنا وطلبه .

٥- أهدت مصر الإدارة الدينية هنا مقرئا مصريا فى العام الماضى ، وهذا العام ، حيث أسهم الرجل فى تحفيظ تلامذة مدرسة الإرشاد القرآن الكريم إضافة إلى قراءته على الناس .

أما السفارات العربية هنـا فقد أسـهمت هـى الأخـرى فـى تقديـم عطايـا عينيـة إلـى قسـمنا الحاسـوب ، وتسـجيل مرئـى (فيديـو) ، وطبـق لاسـتقبال الفضايات العربية ، فإن الجامعـة لا تدفـع شيئا ، أى شـىء لقسـمنا – اللهـم إلا رواتب لعلها لا تسمن ولا تغنى من شىء – برغم أن الطالب يدفع ألف دولار أمريكى فى السنة ، وهو مبلغ ضخم هنا ، تفغـر الأفـواه عنـد سـماعه ، ولعلهـا تصعق . كما حصل القسم على هدايا أخرى من الكتب والمطبوعات من مجمـع اللغة العربية فى القاهرة ، وقد حملت إليهم بعد سفرى لحضور المؤتمر ما يزيد عن المائة كيلو مـن الكتـب العربيـة والمجـلات والصحـف والمطبوعـات ، مـن مؤلفاتى ومن كتاباتى ، ومن المراجع المهمة التى تمس إليهـا الحاجـة هنـا بنـاء على معرفة الاحتياجات الحقيقية عـن قـرب وكثـب وعلـى الطبيعـة ، ولا سـيما كتب تعليم العربية لغير العرب ، والحديثـة منهـا علـى وجـه الخصـوص ، ممـا طبع فى مصر ، أو خارجها .

والآن ماذا يحتاج إليه الميدان هنا لخدمة العربية ورفع رايتها :

أولا : مد الجسور مع العالم العربى ، خاصة مصر .

ثانيا : الكتب والمواد التعليمية والبرامج والوسائل وتقنيات التعليم ، ولاسيما ما يخدم تعليم المبتدئين من غير العرب (٢١) .

٣- المنهج .

---

(٢١) تخطط البرامج الموجهة باللغة الروسية فى الإذاعـة المصريـة لتعليم العربيـة باللغـة الروسية أولا كمرحلة أولـى ، ثم باللغـات الأخـرى الإسـلامية فـى الاتحـاد السـوفيتى السابق .

٤- الدراسات التقابلية بين العربية والأكرانية ، وكذا الروسية حقل بكر تماما تماما ، وخصب فى ذات الوقت ، نعم قد تكون هناك دراسات من هذا النوع بالروسية ، أو غيرها ، ولكنّا ليس لدينا دراسات عربية ، وقد رصدت العديد من الدراسات التقابلية العربية ، فلم أرَ منها دراسة تقابل بين العربية والروسية ، أو الأكرانية .

٥- القنوات الفضائية عربية اللسان أصبحت الآن فى كل قطر ورجا وركن من أرجاء العالم وأركانه وأقطاره ، ويمكن لهذى الفضائيات أن تسدى خدمة جليلة لنشر لساننا ، خاصة خارج الوطن ، لكننا نحتاج إلى برامج خاصة لهذا الهدف والغرض ، برامج فصيحة ، ثقافية تاريخية ، ويفضل ويفضل أن تكون فصيحة ، لا عامية ، كما أنه من المفيد جدا جدا أن يكون بعضها على مَهَل ، كما يفعلون فى برامج بعض الإذاعات المونجلة اللسان فيما يعرف بالإنجليزية الخاصة ، إن هذا مما يفيدنا جدا فى عملية تعليم العربية لغير العرب ، ذلك أن بعض طلاب العربية ، لا سيما فى المراحل الأولى ، لا يتمكنون من متابعة المتكلم وفهم ما يقول إذا كان يتكلم بالسرعة العادية .

٦- وفى النهاية ، المقترحات عديدة ، والحديث واسع ، ذو شجون ، وهو مما يحتاج وقفة خاصة أو وقفات ، نفصل الحديث عنه فى مكان آخر ، مع محاولة تقديمه إلى بعض المسئولين كما وعدت من قابلنا منهم ، ولكن حسبنا أن نختم بأمرين :

أ – إننا نحتاج إلى آلية خاصة تتبناها جامعة الدول العربية أو أية هيئة عربية لمساعدة أقسام العربية فى الخارج ، وكذا المؤسسات والمدارس والمعاهد التى تخدم العربية [٢٢] .

ب – إن مسئولية نشر العربية خارج الوطن لا تقع إلا على عاتق العرب أنفسهم ، فإن غير العرب مهما كان إخلاصهم وتفانيهم فى خدمة لغتنا لن يستطيعوا النهوض بهذى المسئولية أو على الأقل لا يَسْتطِيعون وحدهم ولذا فإن خدمة العربية ورعايتها خارج الوطن بحاجة إلى العرب، أصحاب اللغة أنفسهم ، ليس غيرهم ، هى بحاجة إلى عقول جبارة وجيوش جرارة من المختصين والمخلصين لها أكثر من الحاجة إلى الأموال والرواتب والإمكانيات المادية ، والله من وراء القصد ، هو المعين والمستعان فالحمد لله أولا وآخرا .

د. أحمد مصطفى أبو الخير

قسم اللغة العربية - جامعة كييف للغات

أكرانيا

---

(٢٢) صاحب هذا المقترح د. عيسى درويش سفير سوريا فى القاهرة ، وقد قدمه بعد حديثنا هذا عن العربية فى أكرانيا ، فى مؤتمر لسان العرب ١٩٩٨، حيث كان الرجل رئيسا للجلسة التى قدمت فيها الورقة المكتوبة فى هذى الصفحات .

٢- العربية فى جنوب شرق آسيا

بين يدى الموضوع

ماذا تعنى العربية بالنسبة للقوم هناك ؟ وفى الشرق الأقصى ، البعيد البعيد ، نائى الشقة عنا ، فى العالم العربى هنا ؟ إن العربية تعنى بالنسبة للمسلمين هنالك الحصن والملجأ والملاذ جزء مهم ، وركن ركين فى هوية الجناح الشرقى للأمة الإسلامية ، الذى يمثل ١/٤ عدد المسلمين ، حوالى ثلاثمائة مليون نسمة .

إن الوعى بالهوية لدى شعوب هذى المنطقة ينمو ويزداد باستمرار خاصة فى السنوات الأخيرة ، حيث برزت تحديات كثيرة أمام القوم هناك وقوى عملاقة مخيفة ، بدءا من اليابان وكوريا ، ثم الغزو العسكرى لفيتنام الذى أسفر عن تكوين رابطة جنوب شرق آسيا (الأسيان) سنة ١٩٦٧ - من الفلبين وأندونيسيا وسنغافورة وماليزيا وبروناى [١] - فى وقت حمى فيه وطيس الحرب الباردة والصراع الفكرى (الأيدلوجى) بين الشرق والغرب .

وفى الثامن عشرمن يناير ١٩٩٢م وقع زعماء الأسيان (إعلان سنغافورة) لإيجاد منطقة تجارة حرة فيما بين دول الأسيان ، فى غضون خمس عشرة سنة ، ولتدعيم العلاقات السياسية والأمنية فيما بين الأعضاء وذلك رداعلى التكتلات الاقتصادية التى أخذت تظهر فى الآونة الأخيرة بين الدول المتقدمة ، وفى سنة ١٩٩٣م بدأت الأسيان فى تنفيذ خطتها الطموح بشأن حرية التجارة بين دولها [٢] .

---

(١) ثم انضمت دول أخرى فيما بعد .

(٢) نقل لنا هذه المعلومات عن مركز المعلومات فى صوت العرب بالقاهرة الإذاعى فؤاد فهمى .

وهكذا القوم هناك ، إحساس زائد واضح بالهوية والذاتية ، وهو سبب رئيس من أسباب نهوضهم ، وكذلك المسلمون هنالك لهم نفس السمة والمزية ومن هنا كان تمسكهم بالعربية ، ولا ننسى الهجرات العربية منذ قرون التى كان لها أثر بارز فى ترسيخ دور لغتنا فى هاتيك الديار برغم نأيها ، وبعد المسافة بيننا وبينهم .

ومن ناحية أخرى فإن وجود المسلمين بين جيران ومواطنين من ديانات أخرى أسهم هو الآخر فى ترسيخ دور العربية فى حياة القوم وهويتهم .

وأستطيع أن أرصد هنا جزءا من وجود العربية وحضورها فى حياة القوم وهويتهم :

١- وجود ألفاظ وتعبيرات عربية فى لغات القوم ، بل وصوامت فى بعض الأحيان ، كما فى لغة الملايو [٣] .

٢- تسمية الأبناء بأسماء عربية ، وعدم الخروج عن هذا المنحى ، خاصة الآن ، سواء فى ذلك الذكران أو الإناث .

٣- وفضلا عما سبق ، وتوكيدا عليه ، فإن القوم لا يكتفون بما سبق ، بل يضيفون شيئا مهما نتلوه عن بنى العُرْب ، وهو فلان بن فلان ، وفلانة بنت فلان ، وخاصة عند الملايو ، إن هذا تعبير عن الهوية ، أى الإسلامية ، وفى ذات الوقت إفادة بكون المسمى ذكرا أو أنثى وفرقا وتمييزا بين اسم الولد واسم والده ، وهكذا [٤] .

إذن فالعربية عنصر مهم من عناصر الهوية لدى المسلمين ، فى هذا الجزء المهم من العالم ، والذى أطلقنا عليه الجناح الشرقى للأمة الإسلامية .

---

(٣) أبو الخير : العربية والملايو ، ص ٦٠ .

(٤) السابق ، ص ٦٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت سأبدأ حديثى هنا بالتعريف بالشرق القصى ، وجغرافية المكان والتاريخ والزمان لكنى عدلت إلى كليمات عن اللغة وخطورة شأنها فى حياة الشعوب والأمم تاركين تفصيل المجمل هنا إلى بحث مستقل .

عندما قدمت ورقتى إلى مؤتمر التعريب الرابع تساءلت فى بدء كلامى: هل الأهم الأرض أم اللغة ؟ وأجبت بأن باحثين من فلسطين ، أو متخصصين فى العبرية ذهبوا إلى أن اللغة أهم من الأرض [(١)] ، إجابة مفاجئة لم تكن تخطر على ذهن الباده أو تبدو للواهل [(٢)] !! فالأرض عند الفلسطينى هى قضية القضايا ، ومعركة المعارك .

وعندما أمعنت النظر فى المسألة هالنى خطورة اللغة ، ودورها الأهم والأساس فى حياة الناس وتفكيرهم وما يتولون من وُجُهات (ولكلٍ وجهه هو موليها [(٣)]) واتجاه يسير إليه ، للغة قصب السبق فى التحكم فى وجهات المرء وتوجهاته .

وإذا كنا بدانا بالأرض المقدسة المباركة فإن الأمر يجرجرنا رغم أنوفنا إلى التاريخ البعيد عنا فى الزمان ، القريب إلينا فى تأثيره ومغزاه ، نطل إليه ممسكين بالخيط نبدؤه من الفردوس المفقود ، حيث قضى على العرب والعربية ، واجتثا من الأصل والجذور ، بوسيلتين مهمتين أساسيتين ، هما بسط السنان ، وقطع اللسان ، أى العنف والقتل والتشريد ، ثم محاربة العربية

---

(١) أبو الخير : إدراك أهمية العربية ، ص١ .

(٢) الوَهَل الظن ، انظر : الزمخشرى - أساس البلاغة ، مادة (و هـ ل) .

(٣) ١٤٨ / البقرة .

بل مطاردتها بشتى السبل والوسايل ، وبذر لسان آخر مكانها لتنبت لغة أخرى مكان لغة القرآن .

يقول الدكتور على المنتصر[٤] : (فى ١٢ - ١٠ - ١٥٠١م صدر مرسوم بإحراق جميع الكتب الإسلامية والعربية ، فأحرقت آلاف الكتب فى ساحة الرملة بغرناطة ، ثم تتابع حرق الكتب فى جميع مدن وقرى مملكة غرناطة ، ثم صدر الأمر بمنع استعمال اللغة العربية ... وقرر القانون منع التخاطب بالعربية وكتابتها ... وأجبر الأندلسيون على ترك لغتهم العربية فانقرضت فى القرن الثامن عشر بعد مقاومة طويلة) .

وتولت محاكم التفتيش معاقبة كل من يخرج عن هاتيك القوانين بكل قسوة وحشية وهمجية ، حتى انقطع اللسان العربى ، وانبت وانقط ، وانقطع وزرعت الأسبانية والبرتغالية مكانه .

وفى سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م - فى الثانى من يناير - سلمت فيه غرناطة آخر الحصون الإسلامية إلى فرديناندو وإيزابيلا [٥] ، وفى ذات العام - ٣ أغسطس - أبحر كريستوف كولمبوس من الساحل الأسبانى متجها نحو الغرب وعبر المحيط الأطلنطى قاصدا جزر الكناريا ومنها [٦] إلى الهند ، كما كان يخطط .

---

(٤) الكتانى : الصحوة الإسلامية فى الأندلس ، ص ٤٣ ، ٧١ .

(٥) عويس : أوراق ذابلة من حضارتنا ، ص ٥٠ .

(٦) فايد ، د. يوسف وآخرون : جغرافيا إقليمية ، الأمريكتين واستراليا ، ص ١٦ .

فهل من قبيل المصادفة أن يبحر كولمبوس فى نفس العام الذى سُلّمت فيه غرناطة ؟ سؤال نرجو من ورائه التفكر والتمعن والنظر ، دون إجابة بالسلب أو الإيجاب .

وكان الاستعمار الإسبانى يهدف إلى الفتح والغزو ، فكون الأسبان طبقة خاصة لم تختلط بالوطنيين ، هدفها استغلال موارد البلاد ، واستنزاف ثرواتها ، ونقلها إلى الوطن الأم ، فاستولى الأسبان على أحسن الأراضى وعلى مناجم الذهب والفضة فامتلأت بهما الخزائن (٧) .

وفى الأرض الجديدة طبق المستعمر نفس السياسة التى قضت على العرب فى الأندلس السنان واللسان ، فسادت اللغة والثقافة الأسبانية فى كل أنحاءأمريكا التى وسمت بأنها لاتينية باستثناء البرازيل التى تسودها اللغة البرتغالية (٨) .

أما الجزء الباقى من الأمريكتين ، كندا والولايات المتحدة فى الشمال فقد عرف باسم أمريكا الأنجلو سكسونية بسبب سيطرة الإنجليزية والفرنسية .

وهكذا ذهب المستعمرون إلى الأمريكتين فقضوا على شعوبها ، وعلى الحضارات العظيمة والامبراطوريات التى شيدها الهنود الحمر، مثل الأزتك

---

(٧) السابق .

(٨) السابق .

والإنكا[٩] والمايا[١٠] وزرعوا مكانها لغاتهم وثقافاتهم ، لاتينية أو أنجلو سكسونية .

وعلى أية حال فإن الأوربيين تمكنوا فى أمريكا الشمالية والجنوبية من القضاء فقط على مائتى لغة فى هذه المنطقة من العالم !!

وعلى الجانب الآخر ، وفى هذا الركن القصى من الكرة الأرضية استراليشيا = أستراليا + نيوزيلاندة[١١] طبق المستعمر الأوربى ذات السياسة إنها سياسة أستراليا البيضاء التى تضع القيود ضد دخول العناصر غير البيضاء إلى هذه القارة ، وفى ذات الوقت انخفض عددالسكان الأصليين من ١/٤ مليون مثلا سنة ١٧٨٨م إلى ٥٠ ألف نسمة أخيرا ، يعيشون فى معازل ، خاصة فى شمال أستراليا ووسطها ، وأقلية من شعب الماورى الأصليين فى جزر نيوزيلاندة[١٢] .

---

(٩) الهنيدى : دراسة فى تاريخ الأمريكتين ، ص ١٦ .

(١٠) تقول زيجريد هونكة : (ولم ينجح سوى الهنود والمايا فى العالم كله فى الوصول إلى تقييم الأرقام تبعا لمراكزها فى الخانات ، مما مكنهم من القيام بعمليات حسابية كبيرة استحال على غيرهم - نتيجة جهلهم بتلك الأصول - القيام بها) .

فمن هم المايا ؟ تجيب المستشرقة الألمانية هونكة : (هنود من أمريكا الوسطى بلغوا شأوا عظيما من الحضارة قبل اكتشاف أمريكا ، وقد تركوا آثارا فنية بديعة كالأهرامات والقصور والنقوش والتصاوير على الجدران) شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٣ .

(١١) فايد وآخرون : جغرافيا إقليمية ، ص ٢٠٧ ، ٣١٥ .

(١٢) كانت معاهدة استسلام غرناطة ٢٥ / ١١ / ١٤٩١ ، وكان مؤتمر مدريد ١٩٩١/١٠/٣١ ، نفس العام ، وتقريبا ذات الشهر ، بعد خمسة قرون ، خلت واكتملت هذا هو التاريخ .

والأمر لا يحتاج إلى فطنة وبصيرة لتسأل لماذا تناقص أصحاب البلد وأين ذهبوا ، ولماذا يوضعون فى معازل خاصة ؟؟

ويصحب هذا كله زرع الإنجليزية ، لتصبح استراليشيا قارة أوربية مؤنجلة ، أو جزءا من القارة الأم ، لغة وثقافة ، وهكذا .

وبعد هذا كله ، وعود على البدء لم يكن من قبيل المصادفة وحسن النية أن يجمع العرب وجيرانهم الألداء فى مدريد مرة أخرى ، لتذكر بأصلها الأندلسى مجريط .

فإذا كان اليهود فى فلسطين قد أقاموا دولتهم على أساس السنان واللسان ، وقبلهم كان ما كان فى الأندلس ، ثم فى الأمريكتين فى أقصى الغرب ، وأستراليشيا فى أقصى الشرق فإن الحفاظ على لغتنا وحمايتها بالنفس والنفيس ، كما نحمى الأرض والعرض لهو أوجب الواجبات وفرض عين على كل عربى فيه نبض حياة ، أو نفس يتردد بين الجوانح ، حتى لا نتعرض لنفس المصير الذى انتهت إليه الشعوب الأمريكتين وأستراليشيا وغيرها .

إننا فى عصر العولمة ، ومحاولات طمس الهوية ، وتداعى الأكلة إلينا لن يبقى لنا حصن غير اللغة ، فهل يرضى عرب اليوم أن يسلموا هذا الحصن المهم لأعدائهم طائعين مختارين مستسلمين للغات المستعمر ، متخلين عن عربيتهم ؟ اللهم لا ، اللهم لا .

وبعد هذى المقدمة المحذرة من خطورة التخلى عن اللغة أو إهمالها أو التفريط فى شىء منها ، نبدأ الحديث عن جنوب شرق آسيا مشيرين قبل شئون العربية وشجونها هناك إلى جغرافية المكان ، وهى بلا شك لها أثر كبير على حياة البشر وثقافتهم ، وطرائق معيشتهم :

يضم هذا الإقليم -جنوب بشرق آسيا - شبه جزيرة الهند الصينية فيتنام ولاوس وكمبوديا وتايلاند ، وبورما التى أصبحت تعرف الان باسم (ماينمار) فضلا عن ماليزيا وسنغافورة وأندونيسيا وبروناى وجزر الفلبين، كما فى الخريطة ، إقليم متسع للغاية تبلغ مساحته حوالى ٤,٥ مليون كم٢ ، يضم عددا ضخما من السكان (١٣) ، فأندونيسيا رابع دولة من حيث عدد السكان، بعد الصين والهند والولايات المتحدة ، ففى إحصائية الأمم المتحدة ١٩٩٤ نجد سكان جنوب شرق آسيا حوالى خمسمائة مليون .

وقد عرف هذا الإقليم بغناه منذ القدم ، فقد كانت هناك صلات تجارية منذ أقدم العصور بين هذى البلاد والعالم الخارجى ، وقد لعب العرب دورا رئيسا فى هذا التبادل ، وخاصة أهل حضرموت .

وتنقسم هذى البلدان من حيث عدد السكان المسلمين إلى قسمين ، دول بها أكثرية مسلمة وعلى رأسها أندونيسيا وبروناى وماليزيا ، وقسم آخر به أعداد من المسلمين ، تصل إلى بضعة ملايين ، مثل تايلاند والفلبين ، خاصة فى الجنوب ، ثم أقليات فى باقى الدول .

على أية حال فقد اتجهت كل هاتيك الدول إلى تنمية التعاون فيما بينها خاصة فى المجال الاقتصادى ، وقد توجت هذا التعاون فى عصر التكتلات المختلفة برابطة الأسيان رابطة دول جنوب شرق آسيا .

وسوف نركز على البلدان ذات الكثافة المسلمة ، مثل ماليزيا وبروناى وجنوب تايلاند وسنغافورة (١٤) وجنوب الفلبين ، على اعتبار أن المسلمين

---

(١٣) صادق ، د. دولت : جغرافية العالم دراسة إقليمية ، ص ٨٣ .

(١٤) راجع ما كتبناه حول سنغافورة فى مجلة المنهل ص ١٠٦ ، ١٠٧ مايو ١٩٩٤م .

هناك يشكلون ما أسميناه الجناح الشرقي للأمة الإسلامية الذى يمثل من ناحية الكم ١/٤ المسلمين ، حوالى ٢٨٠ مليون نسمة [١٥] .

فمتى بدأت علاقة هؤلاء القوم مع العرب والعربية ؟ يقول فيصل السامر سفير العراق السابق فى أندونيسيا : (ويمكن أن نجزم بأن التجارة العربية وصلت إلى هذه البقاع منذ عصور ما قبل الإسلام) ثم يفسر هذا موضحا ما يلى [١٦] :

ظهر كثير من الأدلة على قيام علاقات موغلة فى القدم بين بلاد العرب وأندونيسيا والفلبين ، ويبدو أن أهل بلاد العرب الجنوبية القديمة ألفوا التجارة مع تلك البقاع النائية ، بدليل ما عثر عليه من أحجار ، نقش عليها بخط المسند الحميرى ، لعلها من بقايا بناء قديم ، كان بمثابة مركز تجارى ، ومن الجدير بالذكر أن أهل حضرموت وعمان وسواحل الخليج العربى ، امتطوا ظهر البحر ، وأوغلوا فيه إلى ما وراء الهند .

وحين نهضت الدولة العربية الإسلامية بعثت فى التجارة العالمية روح النشاط والحيوية وفى هذا العصر الإسلامى قام العرب والمسلمون بنشاط تجارى واسع ، امتد من البصرة أو من سيراف على الخليج إلى ساحل عمان وعبروا المحيط الهندى مرورا بسرنديب وجزائر البحار الجنوبية حتى وصلوا كانتون فى الصين .

---

(١٥) مؤتمر عن مسلمى آسيا وآخر عن الإنترنت ، مجلة العالم اللندية ص ٤١ ، يناير ١٩٩٨م .

(١٦) السامر : الإسلام فى أندونيسيا ، عالم الفكر ص ٢٠٦ .

وقد سيطر العرب المسلمون على تلك الموانى والبحار ، وكثر عددهم فى جاوة وسومطرة وبورنيو والفلبين ... إلخ ، فقد مثلت جاليات عربية عديدة محطات وسيطة على طول الطريق التجارى فى جنوب شرق آسيا ، بل ترعرت جاليات عربية على الساحل السومطرى منذ ٦٧٤م ، وإن شواهد القبور الكثيرة التى كشفت هناك لتعتبر دليلا على وجود مستوطنات للتجار العرب والمسلمين وأسرهم [١٧] .

وهذا ما يتفق مع ما ذكره لى أحد العرب المقيمين فى جاكرتا - ١٩٩٢م - من أن شواهد القبور العربية تمتد إلى القرن السادس الميلادى .

صفوة القول أن الوجود العربى فى جنوب شرق آسيا يمتد إلى ما قبل البعثة النبوية ولكنه ازدهر فى ظل الحضارة الإسلامية التى امتد شذاها إلى كل رجا وركن فى العالم القديم .

وقد امتد الوجود العربى تجارة وحضارة من طريقين ، طريق البحر - كما مر - وطريق الحرير الذى كان يشق القارة من شرق الصين وسواحلها عبر وسط آسيا إلى أن يصل إلى سواحل المتوسط ، فى صور وأنطاكية ، هذا الطريق تحاول بعض دول غرب آسيا إحياءه مرة أخرى ، وقد فصلنا الكلام عن هذى المسألة فى بحث مستقل .

والآن نستطيع الحديث عن طبيعة شعوب المنطقة هناك ، خاصة ما يؤثر منها على وجود العربية وحضورها بادئين بالإشارة إلى الموقع الجغرافى الذى يمثل أبعد نقطة من العالم الإسلامى عن العالم العربى .

---

(١٧) السابق .

يقول العلامة جمال حمدان [١٨] : (السمة الجوهرية فى هذا القطاع الشرقى الجزرية هى تلك السمة ، والتقطع هو مفتاحها ، وأهم ما يميز هذا القطاع أنه أرخبيل يتألف من كوكبة محدودة من الجزر الحقيقية ، – فى أندونيسيا – أو المجازية فى تضاعيف الغابة الموسمية على القارة ، جزر صغير اتساعها نسبيا ، ولكن ضخم حجمها سكانيا ، بفضل كثافة واسعة تعوض عن المساحة ، وهذا التقطع يعكس درجة البعد المكانى عن قلب الإسلام ، فى مهده العربى ، فمع المسافة البعيدة تضعف قوة الإندفاعة ، وهو يعكس من ناحية أخرى طبيعة المسرح الجغرافى أشباه جزر وجزر قطعتها البحار القارية من الخارج ، والجبال الوعرة من الداخل [١٩]) .

وإذا كان جمال حمدان يرى العالم الإسلامى على هيئة هلال فإن جنوب شرق آسيا – وخاصة دول الكثافة الإسلامية مثل أندونيسيا وبروناى وماليزيا – تقع فى أقصى نقطة فى هذا الهلال شرقا ، أو فى أقصى اليمين كما هو واضح فى الخريطة .

إن هذا البعد المكانى عن العالم العربى قد أثر بلا شك سلبا ، أو إيجابا فى الأول الحركة إلى عالمنا العربى أو منه ، حد منها بعد المسافة ، وهو ما أدى إلى عدم وصول الإذاعات المسموعة والمرئية والمطبوعات ، كما نجدها فى الأقطار المتاخمة أو قريبة المكان منا .

---

(١٨) جغرافى مصرى توفى فى ظروف غامضة ١٧ / ٤ / ١٩٩٣ بالقاهرة .

(١٩) حمدان : العالم الإسلامى المعاصر ، ص ٤٦ .

وفى الجهة الأخرى الإيجابية فإن هذا البعد جعل القوم هناك يحسون بمدى المسئولية وجسامتها ، مما يحتم الاعتماد على النفس ، والتحلى بروح المبادرة والمبادأة ، ولهذا تفصيل نسرده فيما بعد .

وتتميز شخصية القوم هناك بالهدوء والدهاء وقلة الكلام ، وعدم الميل إلى الاختلاط مع الأجانب ، فضلاعن أنهم لا يحبون أن يأتوا بشىء إلا على تمامه وكماله ، الذى يصل فى أحايين كثيرة إلى حد الجمال والتأنق (٢٠) ،ويُمثل الملايو قِمّة هاتيك الصفات ، وتظهر بشكل أو بآخر عند غيرهم المجاورين لهم فى المنطقة .

وينعكس ما سبق على تعلم اللغات ، ومنها العربية ، فيظهر لدى الطلاب عزلة واضحة عن غير أبناء بلدهم ، وميل للتأنق فى النطق ، وكل هذا يؤدى إلى عدم قدرة الطالب على الانطلاق بالحديث بالعربية ، فى حين نجده حريصا بشكل واضح على نطق أصوات العربية ربما يفوق نطق بعض العرب الذين ربما لا يكلفون أنفسهم شيئا من الالتفات نحو قواعد النطق الصحيح ، أو الاكتراث بها من بعيد أو قريب .

ويتضح هذا جليا فى نطق القرآن الكريم – كما سجلناه من هناك ١٩٩١-١٩٩٢م ، ويتضح أيضا من مقارنة الشخصية هناك بالشخصية الإفريقية التى تتميز بالبساطة والوضوح وعدم التحفظ ، وتتمتع بقدركبير من الإقدام والصراحة .

---

(٢٠) أبو الخير : العربية والملايو ، ص ٦٧ .

وكل هذا نجد صداه لدى متعلم العربية الإفريقى - نيجيريا مثلا - حيث نجد لديه القدرة على الانطلاق فى الحديث بالعربية ، على حساب دقة النطق وانضباطه .

ولذا وضعنا هذى الاختلافات نصب أعيننا عندما كنت فى الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا - ١٩٩٠ - ١٩٩٢م - فحاولنا تشجيع طلابنا على الحديث بالعربية ، وقد كانوا من أقطار شتى ، وإن كان أكثرهم من ماليزيا وتايلاند الجنوبية وأندونيسيا وسنغافورة ، وقد نجحنا فى مسعانا إلى حد كبير وذلك بسبب استخدام وسائل غير تقليدية ، سوف نشرحها فى موضعها .

والآن ننتقل إلى نبض العربية وواقعها هناك ، لنرصد هذا الواقع من خلال رؤيتنا لهذا الواقع رأى العين عندما كنت أعمل فى الجامعة الإسلامية ومن خلال زياراتى [٢١] لبعض بلدان الشرق الأقصى ، أو الحديث مع مختلف أبنائها ، وقراءة ما وقعت عليه العين فيما يخص هذه المنطقة ، سواء ما كتبه أبناؤها أنفسهم ، أو غيرهم ، منشورا فى بلادهم ، أو فى سواها .

وأستطيع أن ألخص بتركيز ومن غير إخلال بجوانب المسألة ما أراه من وجود العربية وحضورها هناك بما يلى :

١- مدارس دينية ، وخاصة فى مناطق الكثافة الإسلامية ، وهذى المدارس يمكن تقسيمها إلى قسمين :

أ - مدارس دينية لا تدرس إلا العربية والدين ، ولا دخل لها بما يدرس فى المدارس الحكومية فى بلدها ، ولذا فإن شهادتها لا تؤهل إلى استمرار

---

(٢١) منها زياراتى أثناء عملى فى الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ١٩٩٠ - ١٩٩٢ وكذا زيارتى لتايلاند وماليزيا فى يونيه ويوليو من هذا العام ١٩٩٨م .

التلميذ فى التعليم العام فى بلده ، أو الالتحاق بجامعاتها ومعاهدها ومؤسساتها التعليمية المختلفة .

ب- مدارس تؤهل الطالب للتعليم العام فى بلدها ، فيدرس الطالب مع العربية والدين وعلوم العصر ، والمواد التى تؤهل الطالب للاستمرار فى التعليم العام والجامعات فى بلده(٢٢).

وكلا النظامين له مؤيدوه ومساندوه ، ومختلف الحجج والمبررات وأرى أننا بحاجة ماسة إلى كليهما ، وإن بدرجات أو أعداد مختلفة .

٢- معاهد وجامعات أو كليات إسلامية : وهنا نجد مثلا كليات أو حتى جامعات موسومة بالإسلامية ، مثل الجامعة الإسلامية العالمية فى ماليزيا وكلية الدراسات الإسلامية فى فطانى ، أو الكلية الإسلامية فى جالا ، فى تايلاند الجنوبية .

وبعض هذى المؤسسات مدعوم ـن الدولة ، وبعضها غير مدعوم وإنما هو قائم على تبرعات الناس ومبادراتهم ، مثل الكلية الإسلامية فى جالا .

وفى الجانب الآخر نجد بعض الجامعات الحكومية بها أقسام للعربية والدراسات الإسلامية ، مثل جامعة الملايو فى ماليزيا ، وجامعة بروناى . دار السلام ، ولها نشاط وافر واضح فى خدمة العربية والإسلام ، منها إقامة العديد من الندوات والمؤتمرات ، مثل :

أ - ندوة نطوير تعليم اللغة العربية فى ماليزيا ، الجامعة الإسلامية العالمية ١٩٩٠م .

---

(٢٢) الهيئة الخيرية الإسلامية لشئون التعليم بتايلاند : التعليم الإسلامى فى جنوب تايلاند ص ١، ٢ .

ب- المؤتمر الدولى فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، جامعة بروناى ١٩٩٢ .

جـ- قضايا اللغة العربية وتحدياتها فى القرن الواحد والعشرين ، الجامعة الإسلامية بماليزيا ١٩٩٦م [٢٣] .

د - الندوة العالمية للدراسات الإسلامية بمنطقة الآسيان ، التاريخ والواقع واتجاهات المستقبل [٢٤] ٢٥ - ٢٨ / ٦ / ١٩٩٨م ، كانت العربية لغة رسمية فى الندوة فضلا عن الملايو والإنجليزية .

٣- جهود أخرى فردية لخدمة العربية ، مثل نشر بعض الكتب العربية [٢٥] أو أشرطة تسجيل مسموعة أو مرئية [٢٦] بالعربية ، أو إعداد برامج عربية فى الإذاعة أو المرناة (التلفاز) أو استيراد برامج من العالم العربى ، أو إنشاء مكتبات عربية ، أو استيراد الكتاب العربى ... إلخ .

فضلا عن دراسة أعداد من أبناء الشرق الأقصى فى العالم العربى وخاصة فى جامعة الأزهر فى مصر ، حيث تخرج فيها عدد من القادة والرؤساء .

---

(٢٣) فى الملاحق تفصيل للندوات أ ، ب ، جـ .

(٢٤) عقدت فى كلية الدراسات الإسلامية ، فى فطانى جامعة الأمير سنقلة ، وذلك برعاية مؤسسة تويوتا اليابانية وقد شرفت بحضورها وإلقاء بحث فيها .

(٢٥) نشر الصحافى الأندونيسى كتابين بالعربية : (جولة فى ربوع جزر مورو) نشرته هيئة البحوث الإسلامية فى جاكرتا ١٩٧٩ ، وقبله (صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة) ط ٢ ، بيروت ١٩٧١ .

(٢٦) مثل مؤسسة دار الأرقم فى ماليزيا التى أنتجت أشرطة عربية ، فيها أناشيد عربية، أو دعاية مسموعة ومرئية .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المؤسسات التعليمية قد رسخت أقدامها فى مجال تعليم العربية ، وأصبح لها إسهام مميز ، ففى معاهد مارا للتقنية بماليزيا نجد العربية تدرس إلى جانب اللغات الأوربية والآسيوية مثل الفرنسية والألمانية واليابانية والصينية ، لقد كانت البداية فى الستينات ، وفى ١٩٧٦ بدأ تدريس العربية بطريقة حديثة ، أى كلغة اتصالية ، مع اختيار كتاب معاصر وهو العربية للناشئين [٢٧] ، منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية ، وزارة المعارف السعودية .

وتعكس الأهداف العامة والخاصة لدراسة اللغات فى هذا المعهد التقنى فكرة متقدمة جدا وعصرية ، واقعية نفعية فى ذات الوقت ، تتمثل فى التعامل مع كل دولة بلغتها ، ولذا فإن دراسة اللغات فى المعهد تسير بشكل يخدم هذه الفكرة ، كما تسير أيضا بشكل عصرى ، بل ومتقدم أيضا ، وهى تجربة جديرة بالدراسة ، ومن الممكن الإفادة منها .

٤- ولا ننسى الجاليات العربية هناك ، وخاصة فى أندونيسيا ، سواء من هجرات قديمة أو حديثة أو وجود فى الشرق الأقصى للعمل أو التجارة أو السياحة .... إلخ .

وفى المقابل نجد بعض أبناء الشرق الأقصى يأتى إلى العالم العربى لذات المنافع أوغيرها ، وهو يتعلم هنا قدرا من العربية .

---

(٢٧) حسينى وعبد الرشيد : اللغة العربية فى معهد مارا العالى للتكنولوجيا ، الخبرات والتحديات ، ص ٢ ، ٣ المؤتمر الدولى فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها جامعة بروناى ١٩٩٢م .

ونحن فى العالم العربى بحاجة ماسة إلى إحصائيات دقيقة عن العرب فى مختلف مهاجرهم ، مهما تناءت الديار والأقطار ، قل العدد أو كثر ، وكذا من تعلم لغتنا من غير العرب فضلا عن المدارس والجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية ، وغير التعليمية التى تعلم العربية أو تدرسها ، أو تعنى بها بشكل ، أو بآخر .

وقد فصلنا مقترحنا هذا فى غير موضع ، لأننا بدون إحصائيات واضحة ، ومعلومات موكدة ، ومتوفرة للباحثين هنا فى العالم العربى ، لا نستطيع أن نرصد بدقة إمكانات القوم هنا وما يحتاجونه لدفع مسيرة العربية فى بلادهم ، فالكثير من علمائنا وباحثينا لا يستطيع بسهولة أن يذهب إلى الشرق القصى البعيد لدراسة شأن العربية هناك .

وإلى أن نجد ما نرومه من إحصائيات ، ومن خلال عملى وزياراتى وقراءاتى حول الشرق الأقصى أستطيع أن أجمل ما نحتاج من أجل دفع العربية إلى مزيد من الوجود والحضور ، ودعم هذا كله هنالك :

وقبل أن نتحدث عن الاحتياجات والنواقص وأنواع القصور نشير إلى إنجازات مهمة تحققت على الساحة ، منها :

١- وجود جهات كثيرة ومؤسسات تعليمية ومدارس وكليات ، وأيضا جامعات وأقسام للغة العربية ، وكل هذا مما يهتم بلسان العرب ، بل يقدم هذا الاهتمام إلى أولية اهتمامه ، مثل :

- المدارس العربية الحديثة والتى حلت محل الكتاتيب القديمة فى ماليزيا وأندونيسيا وبروناى وجنوب تايلاند وغيرها .

- الكلية الإسلامية فى جالا - تايلاند - والتى يرأسها مجلسها رئيس مجلس الأمة ، وكذا كلية الدراسات الإسلامية بجامعة أمير سنقلة - تايلاند - والتى نظمت مؤتمر الدراسات الإسلامية فى يونيه ١٩٩٨ ، فضلا عن معهد الدراسات الإسلامية والعربية فى جاكرتا .
- أقسام اللغة العربية فى العديد من الجامعات هناك (الجامعة الوطنية الماليزية - الجامعة الإسلامية العالمية - جامعة بروناى) وفى الفلبين مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية والعربية ، بجامعة منديناو الحكومية [٢٨] .

٢- إقامة العديد من الندوات الدولية هنالك والمؤتمرات حول العربية ، لا سيما فى أندونيسيا وماليزيا وبروناى ، مما سبقت إليه الإشارة .

٣- ولا ننسى هنا الإصدارات العربية مطبوعة ومقروءة ، بل مرئية ومسموعة مثل :

- مجلة التجديد ، وهى مجلة فصلية محكمة ، تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية فى ماليزيا.
- الموجه فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، يصدرها معهد الدراسات الإسلامية جاكرتا .
- أخبار الكلية ، نشرة شهرية تصدرها الكلية الإسلامية فى جالا ، تايلاند .
- أناشيد عربية ومواد دعائية أصدرتها مؤسسة دار الأرقم فى ماليزيا مسموعة ومرئية وبعضها كان يباع هناك بشكل تجارى .

---

(٢٨) تشيك : آفاق تعليم اللغة العربية ومقوماته فى جنوب شرق آسيا ، إسلامية المعرفة ص ١٦٧ - ١٦٨ العدد ١٢ ، ماليزيا ١٩٩٨م .

٤- لقد أصبح لدى القوم هنالك كتب فى تعليم العربية خاصة ومؤلفة هناك بما يتناسب - فى نظرهم - مع بيئتهم هم ، وتصورهم هم ، مثل كتاب الدكتور محمد أكرم سعد الدين مدير مركز اللغات فى الجامعة الإسلامية العالمية (القلم) ١٩٩٧م ، وذلك لتعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية .

٥- إقبال الطلاب على الحضور إلى العالم العربى للدراسة ، وخاصة فى جامعة الأزهر .

هذا فيما يخص القوم فى الشرق القصى ، فماذا عن العرب ؟ نقول : على الرغم من اتجاه كثير منا للتشاؤم والاقتراب من دائرة اليأس والقنوط فإن الإنصاف والموضوعية يقتضينا الإشارة بتركيز واختصار إلى منجزات بادية للعيان ، مثل :

١- الدور المصرى الرائد فى فتح أبواب الدراسة فى جامعاتها ، لا سيما فى جامعة الأزهر وإرسال مبعوثين لهذى الدول فى الشرق الأقصى وغيره من علماء الأزهر والمتخرجين فيه ... إلخ من المساعدات المهمة فى هذا السبيل .

وقد حذت بعض الدول العربية حذو مصر ففتحت أبواب الدراسة فى جامعاتها ومعاهدها لأبناء الشرق الأقصى ، وساعدتهم هنالك على نشر العربية بوسائل مختلفة .

بل وصل الأمر فى قمته إلى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية والعربية يتبع جامعة الإمام السعودية ، وذلك فى حاضرة أندونيسيا ، وقد زرت هذا المعهد سنة ١٩٩٢م .

٢- إقامة العديد من الندوات والمؤتمرات حول تعليم اللغة العربية لغير العرب وكذا المعاهد المختصة بذلك ، أو الدوريات المتخصصة فى هذا المجال وذلك فى العديد من الجامعات والحواضر العربية ، مثل الرياض ومكة المكرمة والخرطوم ..... إلخ .

٣- لقد أصبح لدينا فى العالم العربى كتب كثيرة جدا فى تعليم اللغة العربية لغير العرب ، ولذا فإن الجامعات والمؤسسات التعليمية خارج الوطن تختار ما تشاء منها ، بل لعلها فى النهاية تقوم بتأليف كتب خاصة بها كما سلفت إليه الإشارة .

٤- جهود المنظمتين العربية والإسلامية للتربية فى تونس ، وفى المغرب لنشر العربية بجهودهما المختلفة ، فى إقامة الندوات والدوريات المتخصصة وتدريب المعلمين غير العرب ... إلخ .

ونخص بالذكر ما قامت به المنظمة الإسلامية للتربية من تنميط الحرف العربى لكتابة ست عشرة لغة إفريقية ، ثم اتجاهها لتنميط الحرف العربى لكتابة اللغات الآسيوية .

إذن هذه هى المنجزات بإيجاز ، فماذا تحتاج إليه الساحة ؟ نستطيع القول بأن الحاجة تمس إلى ما يلى :

١- هذه الجهود المباركة بحاجة إلى التنسيق فيما بينها ، سواء هنا فى العالم العربى ، من خلال جامعة الدول العربية مثلا ، وهناك من خلال رابطة الآسيان ، وإن القوم هنالك جادون فى التعاون فيما بينهم .

٢- ونحن فى العالم العربى بحاجة إلى سجل دقيق حديث لكل من :

– المدارس والمؤسسات العربية هناك .

- الجاليات العربية .

- المتحدثين بالعربية .

٣- وفى مصر وفى العالم العربى مؤتمرات وندوات علمية تعقد بالعربية أو حول العربية ، وفى الشرق الأقصى - وغيره - [٢٩] عدد لا يحصى من الباحثين لديهم رغبة فى الحضور والمشاركة ، ولذا فنحن فى العالم العربى ، وفى مصر خاصة بحاجة إلى خريطة دقيقة لهذى الندوات للإعلان عنها بطريقة أو بأخرى ، حتى تتاح الفرصة لمن يريد حضورها من الشرق الأقصى .

وعلى الجانب الآخر فإن مؤتمرات عديدة وندوات تعقد هنالك ، ولا يمارى أحد فى أن الحضور العربى هنالك هو فرض واجب ، لا محيص عنه وخاصة الحضور المصرى .

ولا ينبغى التعلل بقلة ذات اليد وشح المال والميزانيات والاعتمادات فإن الأمر هنا جد ليس بالهزل .

٤- وإن وجود الكتاب العربى والصحيفة العربية والمجلة العربية ، وبرامج الحاسبات والإذاعات والبرامج الإذاعية والمتلفزة ، كل هذا من الأهمية بمكان ، فضلا عن العائد الاقتصادى المهم الذى يمكن أن يرفد اقتصاد بلدنا .

---

(٢٩) وقد استطعنا فى تربية دمياط دعوة كثير من الوفود العربية وغير العربية لمؤتمر أعلام دمياط ، من نيجيريا والصين وتايلاند وأوزبكستان ، فضلا عن وفود عربية من الجزائر والبحرين والسعودية .. إلخ .

صحيح هناك إذاعات عربية تصل إلى هناك ، مثل إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة والمولود الجديد قمر النيل ، حيث أصبحت القناة الفضائية المصرية متاحة هنا فى الشرق الأقصى ، كل هذا صحيح وله تأثير على الساحة ، ولكن الطموح يدفع إلى أبعد من هذا ، إن شاء الله تعالى .

٥- إننا فى مصر على وجه الخصوص ، وفى العالم العربى على وجه العموم لمدعوون إلى تيسير سبل استقدام المزيد من الطلاب (٣٠) ، سواء لدراسة العربية ، أو الدراسة بالعربية فى أى فرع من فروع الدراسة ، حيث نعالج مشكلة المصروفات الدراسية المرتفعة جدا ، إذ يقال إنها لابد أن تدفع بالجنيه الإسترلينى ، ألوف الجنيهات الاسترلينية حتى يتمكن الطالب من الدراسة فى مصر ، فضلا عن بعض الموافقات التى تتطلب وقتا طويلا ، أو قل مفتوحا بغير حدود .

٦- وفى كل حاضرة عربية تمس الحاجة إلى معهد دولى لتعليم العربية لغير العرب ، وإعداد معلمين عرب للتدريس لغير العرب ، وإعطاء شهادات دراسية - دبلومة - ماجستير - دكتوراه - فى تعليم اللغة العربية لغير العرب على وجه الخصوص .

هذا على الجانب العربى ، فإذا ما انتقلنا إلى الشرق الأقصى وجدنا القوم بحاجة إلى :

---

(٣٠) ولولفترات محدودة ، فى دورات مكثفة .

١- طلاقة الحديث بالعربية ، أو إطلاق عقدة اللسان ، خاصة فى ماليزيا، حيث يحتاج الطالب إلى تشجيعه على الحديث بالعربية ، وذلك بوسائل غير تقليدية .

٢- وإن مشكلة مهمة تجابه العربية وتعليمها فى كل مكان ، ألا وهى ممارسة العربية ، قراءة وكتابة ، ونطقا واستماعا ، وخاصة خارج فصول الدراسة.

٣- الوسائل التعليمية وتقنيات التعليم وتحديث التعليم بشكل عام هو ما تحاوله دول الآسيان وهو ما يحتاج إلى دفع وتشجيع ، وتطوير أيضا .

صفوة القول : هناك عمل دائب فى هذه المنطقة المهمة من العالم لدفع العربية إلى تبوء مكانتها الصحيحة ، إذ هى بالنسبة لهؤلاء القوم حصن مهم من حصون الهوية .

وعلى الجانب العربى أيضا هناك عمل واضح وإنجاز ملموس ، لكنه بحاجة إلى التنسيق والتطوير والمتابعة .

وأخيرا أقول لبنى العرب ، يا قوم لا تيأسوا ، فإن ما أنجزه العالم فى قرون يمكن أن يتجاوزه العرب فى سنوات ، يشهد بهذا ، وعلى هذا ، التاريخ فى القديم والحديث .

ولعلنا فى بحث مقبل نتحدث عن العربية فى منطقة أخرى من العالم هى منطقة الاتحاد السوفيتى السابق ، وخاصة أكرانيا ، وأختم كلامى إلى قومى العرب : لا تيأسوا ، فإن لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الكويابة ١٤ / ١٠ / ١٩٩٨م

المراجع

أبو الخير ، د. أحمد مصطفى :

- إدراك أهمية العربية وتراثها أساس ضرورى للتحرك نحو التعريب مؤتمر التعريب جامعة عين شمس ، ١٩٩٨م .
- دراسات ألسنية ، القسم الثانى ، مكتبة نانسى بدمياط ، ١٩٩٦م .
- الشرق الأقصى بعيون عربية ، مجلة المنهل ، مايو ١٩٩٤م .
- العربية بين الواقع والطموح ، مجلة المنهل ، يوليو ١٩٩٥م .
- العربية والملايو ، دراسة تقابلية على مستوى الأصوات والدلالة مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث ، كلية التربية بدمياط ، ١٩٩٧م .

تشيك ، د. عبد الرحمن : آفاق تعليم اللغة العربية ومعوقاته فى جنوب شرق آسيا ، إسلامية المعرفة ، مجلة يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، والجامعة الإسلامية في ماليزيا ، العدد ١٢ ، كوالالمبور ١٩٩٨م .

حسينى وعبد الرشيد : اللغة العربية فى معهد مارا العالى للتكنولوجيا الخبرات والتحديات المؤتمر الدولى فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، جامعة بروناى ، ١٩٩٢م .

الزمخشرى : أساس البلاغة .

السامر ، فيصل : الإسلام فى أندونيسيا ، عالم الفكر ، الكويت ١٩٨٤م .

الشبينى ، ألفت وآخرون : المعلومات ، نشرة دورية يصدرها قسم المعلومات والبحوث بالتعاون مع نادى الأهرام للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤م .

شهاب ، محمد أسعد :

– جولة فى ربوع جزر مورو ، هيئة البحوث الإسلامية فـــى جاكرتـــا ١٩٧٩م .

– صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة ، ط٢ ، بيروت ١٩٧١م .

صادق ، د. دولت : جغرافية العالم ، دراسة إقليمية ، جـــ١ ، آســيا وأوربـــا، القاهرة ١٩٨٩م .

الطيب ، عمر : التعليم الإسلامى فى جنوب تايلاند ، الهيئة الخيرية الإســلامية لشئون التعليم ناراتيوات ، تايلاند (بدون تاريخ) .

عنان ، محمد عبد الله : نهاية الأندلس وتـــاريخ العـــرب المنتصريـــن ، ط٣ القاهرة ، ١٩٦٦م .

عويس ، د. عبد الحليم: أوراق ذابلة من حضارتنا ، دراسة لســقوط ثلاثيــن دولة إسلامية القاهرة ١٩٩٢م .

غلاب ، د. محمد : جغرافية العالم ،دراسة إقليمية ، جـــ٣ العـــالم الجديـــد ، ط٥ القاهرة ١٩٨٦م .

فايد ، د. يوسف – الغلبان ، شاور : جغرافيا إقليمية ، الأمريكتين وإســـتراليا وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٨٦م .

الكتانى : الصحوة الإسلامية فى الأندلس اليوم ، جذورها ومسارها ، كتـــاب الأمة ، قطر ، يناير ١٩٩٢م .

الصنيدى ، د. حسين : دراسة فى تاريخ الأمريكتين ، القاهرة (بدون تاريخ) .

هونكه ، زيجرد : شمس العرب تسطع على الغرب ، أثر الحضارة العربية فى أوربة ، ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقى ، بيروت ، ١٩٩٣م .

القسم الثالث

١- طـريــق الحــريــر



فى الثالث عشر من مايو ١٩٩٦ م ، وبحضور كوكبة من الرؤساء وعشرات من الوفود رفيعة المستوى ، افتتح خط السكك الحديدية (مشهد - سرخس - تجن) بطول ٢٩٥ ك م ، منه ١٦٥ك - من سرخس إلى تجن - تقع داخل الأراضى التركمانية .

وهذا المشروع الجديد هو امتداد مكمل لما تم إنجازه فى مارس ١٩٩٥ بين بافق وبندر عباس بطول ٧٢٠ ك ، وهذا الأخير ربط السواحل الإيرانية المقابلة للعديد من بلدان مجلس التعاون الخليجى وموانيه بشبكة السكك الحديدية الإيرانية ، فى حين ربط مشروع (مشهد - تجن) إيران بآسيا الوسطى عبر الأراضى التركمانية .

وقد بلغت تكلفة المشروعين معا حوالى مليار دولار أمريكى ، وذكرت وسائل الإعلام ما للمشروعين من فوائد ومزايا مثل :

أ- إن ربط هذى البلدان الإسلامية بشبكة سكك حديد حديثة ، سريعة وزهيدة التكاليف فى ذات الوقت ، وآمنة أيضا سيخدم مسيرة التنمية الاقتصادية فى هاتيك البلدان ، سيما الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى ، التى ستجد لها طريقا إلى المياه الدافئة على الخليج ، بعد أن ظلت عشرات السنوات أسيرة المساعدات الروسية .

ب- وعلى الصعيد الحضارى والثقافى فإن المشروع يعتبر من الناحية العملية إحياء لطريق الحرير التاريخى الذى ظل قرونا متواصلة الطريق الرئيس الأثير لحركة التجارة العالمية ولحركة التواصل الحضارى والثقافى والفكرى بين قارتى أوربة وآسيا .

فخلال العهود الإسلامية كان طريق الحرير يمثل رمزا مضيئا للتواصل بين العالم الإسلامى وبين العالم الأوربى ، وبقى حتى القرن الثامن عشر معلما مهما من معالم العلاقات المتينة التى كانت بين المسلمين .

وفى ضوء ما سبق من معان ودلالات سميت المحطات الثمانى بين مشهد وسرخس بأسماء مشاهير المفكرين والشعراء والأدباء فى بلدان المنطقة مثل الشهيد مرتضى مظهرى من إيران والشاعر مختوم مكى من تركمان والشاعر شيرنواى من أوزبكستان .

وفى لفتة معبرة جسدت التواصل الحضارى بين الشعوب ، فى الماضى والحاضر ، فقد رافق تحرك أول قطار بين مشهد وسرخس الذى كان يستقله اثنا عشر رئيسا ، مع عشرات الوزراء ، ومئات الصحفيين ، رافقته حركة أعداد من الجمال المحملة بالبضائع ، ومنها أقمشة حرير .

جـ- وفى حفل الافتتاح الذى أقيم تحت خيمة كبرى فى سرخس ، وضمت من الحضور الآلاف ألقى بعض الرؤساء كلمات مقتضبة :

- هاشمى رافسنجانى : دعا إلى تسمية الثالث عشر من مايو بيوم التلاحم بين شعوب المنطقة وبلدانها .

- سليمان ديمريل : ستسفيد من المشروع كافة البلدان الأسيوية ، وهو مثال حى ورائع للتعاون الإقليمى.
- رئيس تركمانستان : تطل بلدان منظمة الإيكو على القرن الحادى والعشرين ككتلة اقتصادية دولية .

د- سيختصر المشروع المسافة بين عشرات البلدان :

- المسافة بين جمهوريات آسيا الوسطى وبين الصين - عبر سيبيريا - ستختصر منها ثلاثة آلاف كيلو.
- المسافة بين جمهوريات آسيا الوسطى وبين تركيا سوف يختصر منها ٤٥٠٠ ك م .
- أما بلدان مجلس التعاون وجمهوريات آسيا الوسطى التى لم تكن مبادلاتها التجارية تسجل أرقاما مهمة بسبب بعد الشقة بينهما ، فإن الطريق الجديد سيختصر المسافة إلى ثلاثة أيام فقط .
- وعند الانتهاء من المشروع الآخر الذى سيربط بين بافق ومشهد بشكل مباشر بطول ٩٢١ ك م سيختصر المسافة بين جمهوريات آسيا الوسطى والخليج بمقدار ٩٠٠ ك ، ومن المتوقع أن يتم إنجازه قبل سنة ٢٠٠٠ .

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن شق هذى الطرق وإحياءها لم يكن سهلا ميسورا ممهدا ، كيف ذلك وقد تطلب الأمر اختراق ثلاثة أنفاق بطول ٥٨٠٠ متر ، وعبور أكثر من عشرين جسرا على الأنهار والوديان ، وبلغت كمية التراب والصخور التى نقلت عن مكانها ٢٠ مليون طن ، فقط ليس إلا؟ [1]

(١) مجلة العالم اللندية ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، يونيو ١٩٩٦ م

إن إعادة الحياة إلى طريق الحرير يمثل زلزالا قادما يمكــن أن يــهز منطقة الإيكو هزة عنيفة تحرك أمورا وأشياء وأحداثــا مــن رقــاد وســكون وسكوت ، بل لعل هذه الزلزلة تمتد إلى العالم الإسلامى خاصة ، وغيره مــن العوالم عامة .

على أية حال فإنه بمجرد قراءة بعض المعلومات الأولية عن طريــق الحرير وجدت هذا الاسم (طريق الحرير) يلمس شغاف القلب وأوتاره ، ولـذا بدأت أرجع إلى مكتبتى ، وهى معنية كصاحبها فــى جــزء منــها بالتــاريخ والجغرافيا ، خاصة ما يتصل بالعالم الإسلامى .

وهنا بدأت أنظر فى المراجع والأطالس بحثا عن معلومات عن طريــق الحرير ، حتى عرفت أنه كان أهم الطرق القديمة ، وأشدها تأثيرا فى التجــارة والحضارة والاستنارة ، طريق مهم أو قل مجموعة من الطرق تربط بين شرق القارة العملاقة ، وغربها ، من سواحل الصين عبر وسط آسيا حتــى ســواحل المتوسط ، فى أقصى الغرب ، أنطاكية وصور ، بل يمتد أحيانا إلى الجنوب أو الشمال [1] ، كما هو واضح فى الخرائط المرفقة .

وقد سمى بطريق الحرير نسبة إلى حرير دودة القز التى كانت تــهجن فى الصين ، وتصنع الأقمشة القيمة ، وتصدر إلى الهند والشرق الأوسط، ومنه إلى أوربة وإفريقية .

---

(١) يونج : طريق الحرير ، ص ٢٢ ، رسالة اليونسكو ، الطرق التجارية الكبرى ، القاهرة يونيو ١٩٨٤ م .

هذا الطريق الذى ظل يخدم التجارة والحضارة ما يربو على عشـــرين قرنا من الزمان [1] تقوم الهمم الذكية الزاكية المشمرة بمحاولة إحيائه مرة أخرى بوابة لدخول القرن الحادى والعشرين .

يقول يونج وهو صينى [2] متخصص فى تاريخ شنجيانج : (وقد انتــهى الدور التاريخى لهذا الطريق العظيم فى أواسط القرن الخامس عشر الميــلادى حين طرأت على الوضع العالمى تغيرات عميقة ، وكانت هناك ثلاثة أســـباب رئيسية لهذا الاضمحلال) وهى فى رأيه :

١- إن العلاقات الصينية الأوربية لم تعد تحتاج هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر عبر القارة الأوراسية الشاسعة ، والتى تقطع فى سنة أو ســنتين ، وذلــك بسبب تطور الملاحة البحرية واكتشاف طرق بحرية جديدة ، منها طريــق رأس الرجاء الصالح ، واكتشاف الأمريكتين .

٢- بعد موت تيمورلنك ١٤٠٤ م عمت الفوضى السياســية آســيا الوســطى وحلت بها الكوارث الاقتصادية والثقافية ، مما جعلها غير مؤهلــة للقيــام بدور همزة الوصل بين الشرق والغرب .

٣- إغلاق حدود الصين الشمالية الغربية ١٤٢٤م بقــرار مــن الامــبراطور يونجل .

---

(١) فرانك وديفيد براونستون : طريق الحرير ص ٧ ، ترجمة أحمــد محمــود ، القــاهرة ١٩٩٧ م .

(٢) رسالة اليونسكو ، ص ٢٢ .

ومع هذا فقد استمرت علاقات التجارة والثقافة مع بعض بلدان آسيا الوسطى ، غرب مرتفعات البامير ، غير أنها ظلت علاقات إقليمية فقط ، ولم يكن لها شأن يذكر خارج تلك المنطقة .

يقول يونج : وهكذا غاب طريق الحرير تدريجيا عن مسرح التاريخ بعد أن ظل أكثر من ١٥٠٠ عام يحتل مكان الصدارة كوسيلة للربط بين شرق العالم القديم وغربه .

ومع هذا كله فقد طرأت فى السنوات الأخيرة – هكذا – يستمر يونج – تغيرات ربما تكون حاسمة فى مناطق وسط آسيا وغربها ، حيث ظهر العديد من حركات النهوض الوطنى ، كما طرأت على الوضع العالمى تغيرات مهمة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، فمشكلات الطاقة المقترنة بتطور الصناعات الحديثة ، والوضع المهم لمنطقة الخليج ، وتطور وسائل النقل الجوى كلها عوامل ساهمت فى استعادة مناطق مرور طريق الحرير بعض ما كان لها من أهمية فى الماضى .[1]

وعليه فليس من المستبعد إطلاقا أن يعاود هذا الطريق الدولى العظيم القيام بالدور التاريخى الذى كان له قبل أن يغط فى النوم فترة دامت زهاء ٥٠٠ عام (٥)

---

(١) السابق .

لقد نشر هذا الذى تنبأ به يونج منذ أربعة عشر عاما تقريبا ، وبالتحديد ١٩٨٤ م ، وقد صدق حدس الرجل ، ونهض القوم فى آسيا لإعادة الحياة إلى طريق الحرير قبل أن تطل علينا الألف الثالثة الميلادية ، وهو ما يلفت النظر إلى أهمية استشراف المستقبل والتنبؤ به ، والعناية بما يحدث العلماء والباحثون بمستقبل الناس وقابل أيامهم وأزمانهم .

وبعد أن استقر فى يقينى أهمية هذا الطريق ، وضرورة إحيائه مرة أخرى وقع فى يدى كتاب الجغرافى الراحل ، الدكتور جمال حمدان (العالم الإسلامى المعاصر) وبرغم أن الكتاب قديم ، صدر أول مرة ١٩٧٢م ، إلا أن هذا الكتاب القيم قد رسم صورة دقيقة ورشيقة لجغرافية العالم الإسلامى وسكانه ، اتضح منها بجلاء ووضوح أن الكثافة السكانية المسلمة تتركز حول طرق التجارة القديمة ومن أهمها طريق الحرير .

إن قراءة هذا الكتاب صغير الحجم ، عظيم الفائدة ، لتطبع فى ذهن قارئه وتغرس فيه مدى تركز الكثافة المسلمة حول الطرق القديمة ، كى نضع هاتيك الطرق فى مكانها ومكانتها الصحيحة حيث كانت الشرايين التى تدفقت إليها الجيوش والدعاة لنشر الدين القيم ، وحمله إلى العالم كله .[1]

انظر إلى المسلمين فى آسيا ، وخاصة كلما بعدنا عن أقصى الشرق واتجهنا لمركز الثقل الإسلامى ونواته جزيرة العرب ، خاصة فى الحرمين فى مكة والمدينة ، ولعل القارئ إذا انتقل إلى القارة الإفريقية وجد أن الطريق

---

(١) شنايدر : الطريق الرومانى عبر شمال إفريقية ص ٧ ، رسالة اليونسكو ، القاهرة ١٩٨٤م .

الساحلى الذى ربط بين الإسكندرية فى مصر وبين جبل طارق عبر سواحل المتوسط ، مرورا بالأراضى الليبية والتونسية والجزائرية والمغربية ، هذا الطريق الذى كان يسمى بالطريق الرومانى ، إضافة إلى العديد من طرق القوافل التى اتجهت جنوبا عبر الصحراء الكبرى إلى أن تصل إلى غرب القارة كل هذى الطرق والبلدان هى كثافة إسلامية واضحة لكل ذى عينين .

وهكذا الأمر بشرق القارة الإفريقية ، وشرق القارة الأوربية أيضا وهذا ما يفسر لنا لماذا لم يتجاوز الإسلام خط الاستواء فى القارة السوداء إلى جنوب القارة ، على الأقل بالصورة التى وجدناها فى الغرب والشمال والشرق لقد قطعت الغابات الاستوائية الكثيفة طريق المسلمين إلى جنوب القارة فلم نجد فيه تواجدا إسلاميا ، كما وجدنا فى مناطق أخرى ، وهو ما يتضح جليا من خلال الخرائط الملحقة .

وفى العام الماضى ١٩٩٧م ذهبت إلى العمرة عن طريق البر ، وكانت رحلة شاقة ، وإن كانت ممتعة ، وعندها أدركت قيمة طرق البر بوسائله البسيطة البطيئة ، وكيف أن هذى الوسائل بهذا البطء كانت سببا فى نشر الدين الخاتم ، ولو كانت سريعة – كما هو الحال الآن – ما انتشر ديننا بهذا الشكل كيف ؟

إن المرء الآن يستطيع أن ينتقل داخل بلده – أو خارجها – إلى حيث يريد فى دقائق أو ساعات، وإن زادت إلى أيام فهى أيام قلائل ، والأهم من هذا كله أن المرء الآن يركب السيارة أو العبارة أو الطيارة ، أو غير ذلك ، لا يقف

إلا عند الهدف الذى سافر من أجله ، فى الأغلب الأعم لا يرى أحدا ، ولا يراه أحد ، وإن حدث شىء من هذا ففى أضيق نطاق يكون الملتقى و الالتقاء .

أما فى السابق فقد كان المسلم يخرج ماشيا أو راكبا مطيته ، وهى فى أحسن الأحوال الخيل السريعة المثابرة ، أو الجمال الصابرة ، لا يمشى قليلا حتى يقف ، يريح ركائبه والركب ، يسقيها أو يطعمها يبيع ويشترى ، وهو ما أعطى فرصا ذهبية لا تعوض للاتصال والالتقاء بغير المسلمين الذين يرون فى المسلم ما يلفت أنظارهم من الأمانة والطهر والعفاف والنظافة ، ومن شعائر لا إلف للناس بها من الصوم والصلاة ، والوضوء والاغتسال ، وهنا تستيقظ الفِطَر البشرية من رقادها ليدخل الناس فى دين الله أفواجا .

وفى رحلة البر رأيت أن المسلم لابد أن ينزل فى سفره للوضوء والصلاة ، وهما فى السفر متعة ما بعدها متعة ، ولذا فهمت الرأى الفقهى الذى يذهب إلى أن الصلاة لا تقبل تامة فى السفر ، بل لا بد أن تقصر ، ليس على سبيل العزيمة ، بل على سبيل الفريضة ، لأن الصلاة فرضت مقصورة فى السفر ، وأتمت فى الحضر ، فالأصل فيها القصر .

وكلما سار المسلمون فى طريق عطروه بشذا ماء الوضوء الطاهر ينثروه كلما نزلوا للصلاة وهكذا نشرت الأيادى الطاهرة المتوضئة بماء السماء دين الله فى الأرض التى تدب عليها الأرجل المسلمة المنظفة المطهرة .

وقد عجبت من بعض رفقاء الرحلة البرية إلى العمرة ، بعضهم وبعضهن طعنوا فى السن بعضهم لم يكن يذوق من الطعام إلا القليل ، تعب واضح فى الطريق ، ولكن هذا التعب يزول بمجرد الوصول ، وفى كل عام

يعود هؤلاء المعتمرون لطريق البر مرة أخرى ، بل فى كل مرة ، وفى كـــل سنة للعمرة ، أو للحج .

وهكذا ورثت الأجيال الحاضرة وأُشْرِبَت حب هاتيك الطرق التى ســار عليها الأجداد ، وجاءونا بهذا الدين من طرقها ، حيث انطلق الإشعاع المبـارك من مكة والمدينة إلى الناس كافة .

وعلى مقربة من هذا المكان [١] الذى أسطر فيه هذى الصفحات وعلــى مرمى البصر يقع الطريق الدولى [٢] ، الذى يراد له أن يربط بين مصرنا وبيــن المغرب العربى ، عبر سواحل المتوسط فى ليبيا وتونـــس والجزائـــر ، هــذا الطريق سيكون له أثر أى أثر على مصر ، وبلدان الشمال الإفريقـــى أيضـا وربما غيرها من الأقطار والديار .

ويكفى أن نقول هنا إننا كنا نقطع الطريـــق مـــن دميــاط مثــلا إلــى الإسكندرية عبر وسط الدلتا فى خمس ساعات ، لكن الطريق الساحلى الدولــى اختصر هذى المسافة إلى ١٦٠ ك م ، أقل من ساعة ونصف وهكذا .

ولا نفيض فى مزايا هذا الطريق أو غيره ، بل نشير هنا إلى أن مصر تسعى الآن لإحياء كوبرى الفردان على قناة السويس ، والذى دمر فى حـــرب ١٩٩٧ بيننا وبين إسرائيل ، وهناك مقترحات تقدم من حين إلى آخـــر لربــط السعودية بمصر عن طريق نفق تحت البحر الأحمر ، فإذا تم ما سبق فإنه مــن الممكن أن يرتبط طريق الحرير بعد استكماله بالطريق الدولـــى (الرومـــانى)

---

(١) مدينة دمياط الجديدة تقع على ساحل المتوسط ، على بعد ١٦ ك من دمياط القديمة .

(٢) مكان الطريق الرومانى القديم .

ليكونا طريقا يمتد من شرق الصين عبر آسيا إلى القارة الإفريقية ليُصل إلـــى جبل طارق .

وعندما زار سفيرُ تركيا فى القاهرة السيد يشار يقش جامعةَ المنصـورة سألناه عن طريق الحرير فى حوار رقيق :

- ماذا عن طريق الحرير ؟

⇦ **ليس طريقا واحدا ، إنما عدة طرق ، وليس المهم التجارة ، بل الحضارة.**

- هل يمكن أن يلتقى طريق الحرير مع الطريق الدولى (الرومانى) الـــذى نحييه فى مصر ؟

⇦ **بكل توكيد .**

- هل يمكن أن يحلم المرء بالسفر عن طريق البر من المغرب إلى الصين فـى المواصلات العامة أو الخاصة ؟

⇦ **ممكن .**

وإذا أضيف إلى ما سبق سعى دول الأسيان إلى تحسين سبل الاتصـــال فيما بينها - خاصة الطرق البرية - فإن الأمل يراودنا بأن نســافر بـــرا مـــن مغرب العرب عبر الساحل الشمالى للقارة الإفريقية ثم مصر ، فـــالأردن ، أو السعودية ، ثم من غرب آسيا عبر طريق الحرير مخترقا وسط آسيا إلى شـوق الصين ، ومن هناك إلى الجنوب ، عبر فيتنام وتايلاند وماليزيـــا وســنغافورة حيث نرى الطرق البرية عبر العالم الإسلامى تعج بالحياة والحركة ، كما كانت فى السابق طرقا للتجارة والحضارة وشرايين تسير فيـــها الأرجـل الطــاهرة

وتلمسها الأيدى المتوضئة والجباه المشرقة ، التى تزين وجوها مضيئة مشـوقة (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) [1] .

ولنا أن نتساءل ما قيمة السفر عن طريق البر [2] مقارنة بغيرهـــا مـــن طرق الجو والبحر .؟

- الإحساس بالأمان .
- تكاليف أقل .
- حرية الحركة والتوقف فى أى مكان ، دون حاجة إلى ميناء أو مطار ، وإذن وسماح وإعداد واستعداد .
- إن الطرق الدولية البرية تفيد البلد فى الداخل ، وفى الخارج على السواء .
- إنها تذكر بخطى الأجداد والآباء ، وتنشر ماء الوضوء الطاهر والصلـــوات فى كل مكان تمر عليه .
- إنها فى الغالب وسط الكثافة المسلمة .
- معالجة أى عطل للمركبة فى أى وقت يظهر فيه .
- التزود بالغذاء والماء والوقود عند الحاجة ، دون تحميـــل المركبـــة عـــبء كميات كبيرة مما سبق ، إذا كانت تسير فى الجو أو البحر .
- مرونة فى الحركة ، دون مسارات مجددة اضطرارية ، لا نستطيع التحـــول عنها عند ركوب الطيارة أو العبارة .
- وجود معالم وعلامات مرشدة طوال الطريق .

---

(١) ٨/ التحريم .

(٢) سافرت مرارا فى البحر والجو ، فلم أجد أمتع من سفر البر .

- عند ظهور أى خطر يمكن التوقف بأمان شديد ، ودون عواقب وخيمة ، كما يحدث فى الجو والبحر.
- أمان تام من القرصنة وقطع الطريـــق واســتكبار المســتكبرين وحصـــار المتربصين الشانئين .
- ثم إنه فى عصر الخصخصة والعولمة وإعطاء الحرية للفرد - ما أمكــن - فإن كل فرد الآن يمتلك سيارة أو دراجة أو غير ذلك من ركائب الــبر ، أو يستطيع استئجار ما يريد من هذا كله ، ويستطيع بحرية أن يستخدم مركبتــه متى شاء ، وفى أى وقت يريد ، فى حين نجد وسائط النقل البحرى والجوى لا تتيسر إلا للقليل جدا من الناس ، ولا يمكن استخدامها إلا بإذن خاص من سلطات البلد حتى وإن رام المرء ركوبها فى بلده ، وداخل الوطــن ، ممــا يجعل طرق البر أقرب إلى روح المستقبل ، فى الخصخصة وإعلاء شـــأن المبادرة الفردية ، وإبداع الفرد ونبوغه والحريات .

وعندما نصل إلى نهاية كلامنا حول طريق الحرير والطـــرق البريـــة وجغرافية العالم الإسلامى نتسائل : ما صلة هذا كله بالدراسات الإسلامية، وفى منطقة الأسيان ؟

إن استشراف المستقبل يجعلنا نرنو إلى شبكة مواصلات برية ، تبـــدأ مثلا من أقصى الجنوب الشرقى فى شبه جزيرة الملايو ، فـــى ســنغافورة أو جوهور أو ملقة ، لتأخذنا إلى الشمال حتى الصين ، ثم إلى الغرب حتى سواحل المتوسط فى تركيا والشام ، ثم نعبر البحر الأحمر إلى مصر ، ومنـــها عـــبر الطريق الدولى (الرومانى) إلى جبل طارق .

ثم تمتد الطرق شمالا أو جنوبا فى آسيا أو إفريقية الشمالية ، ولعلها تسير بنا بعد ذلك إلى الدول الإسلامية فى شرق أوربة .

ولعل بعض من سمع ما يونج أو غيره فى الثمانينات يتحدث عن إحياء طريق الحرير كان يرى أن هذا قول موغل فى الوهم ، ناء عن الواقع المنظور ولكن الأيام أثبتت صدق ما تنبأ به الرجل وحدس له ، مما يجعلنا نعطى الاهتمام المناسب لرؤى العلماء والباحثين المستقبلية .

ومن ناحية أخرى فإن جغرافية العالم الإسلامى ودراسة الكثافة السكانية المسلمة المتمركزة حول الطرق البرية لتعطى للمتخصص فى الدراسات الإسلامية يقينا بعالمية هذا الدين ، وبوجود هذه الأمة الصابرة الخالدة المتحدية لكل المحن والشدائد ، والأعداء الذين يتربصون بها من كل جانب .

إن جغرافية العالم الإسلامى بالتصور الذى رسمناها لهى مادة مهمة يجب أن يدرسها ويلم بها أى متخصص فى الدراسات الإسلامية ، لا سيما فى هذه المنطقة بالغة الأهمية للعالم الإسلامى ، برغم بعد المكان عن نواة هذا العالم ومركزه .

إن هذا التصور الذى رسمناه ليضع صورة الأمة دائما أمام ناظرى أبنائنا وبناتنا وتلامذتنا تجسيدا لأمة الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو

تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى [1] ، وتجسيدا لمقولة سيد الخلق (من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[2] .

نحن لا نريد متخصصا فى الدراسات الإسلامية يحصر نفسه فى أحكام الحيض والنفاس ومفردات أحكام ، وقضايا جزئية ، يعيش فى جزيرة منعزلـــة فى إقليمه أو بلده ، أو مسقط رأسه ، بل نريد رجلا يفـــهم تـــاريخ المســـلمين وجغرافيتهم وشئونهم وشجونهم ، وفى ذات الوقت يعيش العصر ويفهم العصـــر ويرنو إلى المستقبل ويتفكر فيه ، وينير طريق الأمة فى حاضرها ومستقبلها .

إننا لا نريد عقلية الجزر المنعزلة المنغلقة على تخصص ضيـــق ، لا تتجاوزه إلى غيره مطلقا وتتكفئ على تخصصها فقط ، مما يجعلها ترى جــزءا فقط من الحقيقة ، غير قادرة على تنمية الرؤية المتكاملة الشاملة للصورة ، مما يؤدى إلى هيمنة التفكير النمطى الجامد ، بعيدا عن التفكير الابتكارى المتحـــرك والمتحرر [3] .

وما لنا نذهب قريبا أو بعيدا ، إن لنا فى سلف الأمة وعلمائها القــــدوة والمثل الأعلى ، حيث لم يكن العالم أو الفقيه مضيقا على نفسه ما وسعه الله من العلم والفقه والمعرفة .

وأعطى هنا مثالا واحدا ، واحـــدا فقـــط ، ليـــس إلا ، إنـــه العلامـــة الخوارزمى (ت ٩٩٧ م) لقد حضرت ندوة الأرقام بمجمـــع اللغـــة العربيـــة

---

(١) نص حديث فى مسلم : (مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم وتعاطفهم مثل الجســـد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ٢ / ٤٣١ .

(٢) العجلونى : كشف الخفاء ومزيل الالتباس ٢ / ٢٢٧ .

(٣) وجيه :مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى ، ص ٢٦٥ .

بالقاهرة ١٩٩٧ ، وندوة الرموز بنقابة العلميين بالقاهرة ومؤتمر التعريب بجامعة عين شمس بالقاهرة ، فرأيت هذا الاسم الخوارزمى يتكرر بين الفينة والفينة هو أكثر الأعلام تكرارا فى الكلام ، أو قل أشد الألفاظ تكرارا فى هاتيك الندوات والمؤتمرات .

فمن يكون هذا الخوارزمى ؟ بدأت أسائل نفسى ، وأبحث فى الكتب والمراجع عن هذا الرجل حتى وقع فى يدى كتاب (مفاتيح العلوم) فبدا لأول وهلة أن العنوان أكبر من الموضوع ، أو الموضوعات ، ولكننى بعد مطالعة الكتاب سطرت بضع كليمات : (لست أفخر بالكتاب ، أو مؤلفه وإنما أفخر بتلك الحضارة العظيمة التى أنتجت مثل هذا السفر العظيم ، جليل الشان والخطر) .

وهاك المبررات والأسباب :

١- تعدد الموضوعات التى تناولها الكتاب ، بل وشدة تباعدها - على الأقل فى الظاهر عند البادة - بدءا من الفقه والكلام إلى : النحو ، الكتابة ، الشعر والعروض ، الأخبار ، الفلسفة ، المنطق ، ثم الطب ، الأرثماطيقى - علم العدد - الهندسة ، علم النجوم ، الموسيقى ، الحيل ، الكيمياء ، أرأيت مؤلفا يمكن أن يحيط بكل هاتيك العلوم ، أو بكل أو بجل علوم عصره ؟ .

٢- والأمر لا يقتصر على الكتابة فى كل ما سبق من علوم وموضوعات، بل إن العلامة الخوارزمى قد كتب فى كل علم - وباقتدار باهر وظاهر - أهم المصطلحات .

٣- إنه لا يتضمن المصطلح العربى فقط ، بل يدرس فيه مصطلحات وألفاظ غير عربية ، وهى كثيرة جدا من الفارسية والتركية واليونانية ... إلخ .

ولقد كانت هذه السمة الموسوعية ، الرحبة ، ذات الأفق المتسع أهم عناصر القوة فى حضارتنا الإسلامية ، وأهم جوانب العبقرية فى علمائنا وفقهائنا الأفذاذ ، رضى الله عنهم ورحمهم أجمعون .

إن الأهمية القصوى التى نعطيها للمتخصص فى الدراسات الإسلامية باعتباره ممثلا لهذا الدين وصورة له على الأقل فى نظر الناس ، يجعلنا لا نغفل عن إعطائه جرعة من علوم أُخَر مهمة تساعده فى عمله ومهمته ، وإن بدت للباده بعيدة نائية عن تخصصه ، ومن هاتيك العلوم جغرافية العالم الإسلامى ، والطرق البرية على وجه الخصوص ، ولعل ندوتنا المباركة لا تبخل علينا بتوصية من هذا القبيل .

ومسك الختام هنا تحية خالصة ملؤها الود والتوقير والتقدير من العالم العربى ، من مصر ، قلب العروبة النابض ، إليكم هنا فى ندوتكم وبلدكم ، بل إليكم جميعا يا معشر الأسيان ، وإنا لعلى ثقة أن هاتيك المؤامرات على شرتها وشراستها وحبكتها لن تعصف بالنهضة الواعدة فى بلادكم ، بل على العكس سوف تشد الأزر وتقوى الظهر ، وتسقط الأقنعة عن الوجوه الشائنة المبغضة التى تتربص بكم ، فامضوا على بركة من الله يوفق ويسدد الخطى ويهدى إلى سبيل الرشاد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د. أحمد مصطفى أبو الخير
دمياط الجديدة

بعض المراجع

إدارة المساحة العسكرية : الأطلسى العربى ، وزارة التربية والتعليم ط ٣ القاهرة ١٩٦٨ م .

البحرانى ، محمد حسن : خمسون بلدا تشارك فى افتتاح سكك الحديد التاريخية بعد ثلاثة قرون طهران تحيى طريق الحرير مجددا ، مجلة العالم ، يونيو ١٩٩٦ م .

بدران ، شارل جورج : أطلس العالم ، أطلس جغرافى مصور ، فالاردى ١٩٨٠ م .

حمدان ، د. جمال : العالم الإسلامى المعاصر ، ط ٢ بالقاهرة ١٩٩٣ م .

الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، تقديم وإعداد الدكتور عبد اللطيف العبد ، القاهرة ١٩٧٨ م .

شنايدر : من الإسكندرية إلى جبل طارق ، الطريق الرومانى عبر شمال إفريقية ، رسالة اليونسكو (الطرق التجارية الكبرى) يونيو ١٩٨٤ م .

العطار ، عدنان : الأطلس التاريخى للعالمين العربى والإسلامى ، من أقدم العصور إلى اليوم ، ط ٣ دمشق ١٩٩٢ م .

فرانكوبراونستون : طريق الحرير ، ترجمة أحمد محمود ، القاهرة ١٩٩٧ م .

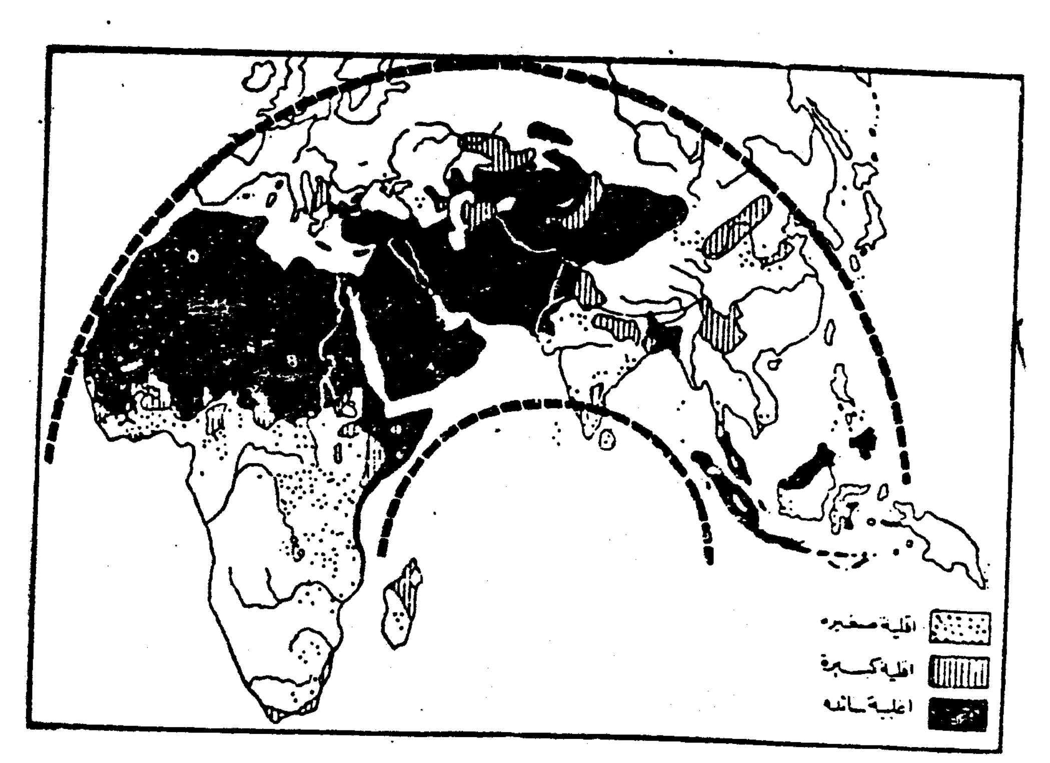
فهمى ، د. نعيم : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) القاهرة ١٩٧٣ م .

وجيه ، د. حسن : مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى دراسة لتنمية مهارات الأداء من واقع الحوار ، عالم المعرفة بالكويت ، يناير ١٩٩٤ م .

يونج : من الصين إلى أنطاكية ، طريق الحرير ، رسالة اليونسكو (الطرق التجارية الكبرى) يونيو ١٩٨٤ م .

مجموعة من الخرائط مقبوسة من :

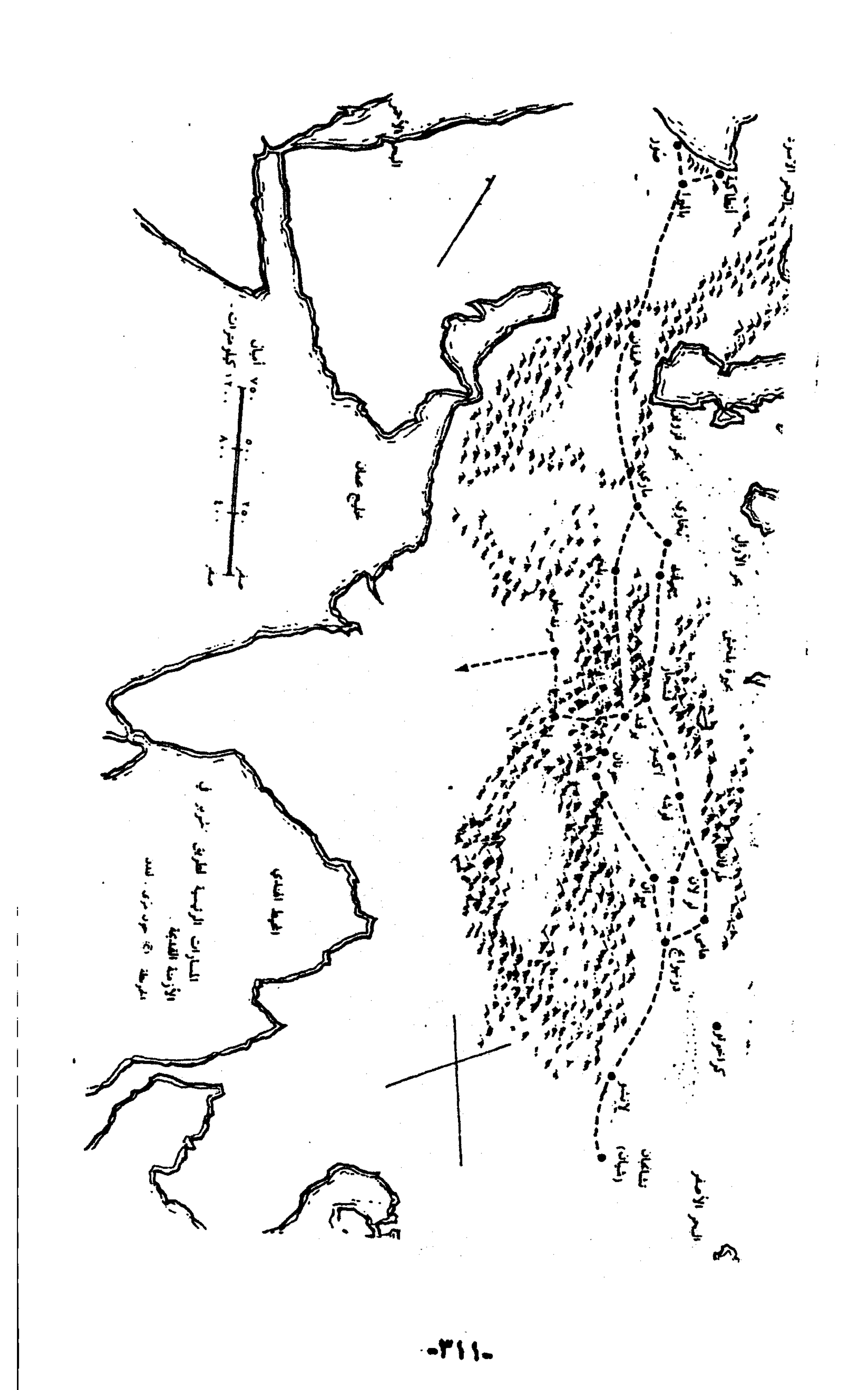
- حمدان : العالم الإسلامي المعاصر، ص ۲۷ ، ٦٨ .
- رسالة اليونسكو، الطرق التجارية الكبرى ، ص ۲۳ .



شكل (١) هلال الاسلام فى العالم القديم



شكل (٣) محاور زحف وإشعاع الاسلام



٢- العرب والعربية والتعريب



لقد آن الأوان أن نقف مع هؤلاء المترددين الذين يثبطون الداعين إلى التعريب ، بل ويزرعون بآرائهم المرتعشة اليأس والقنوط فى قلوب المخلَصين من هذه الأمة ، ويعيبون العرب بما لم يستطعه عدو محارب ، نقف معهم وقفة موضوعية ، نقول رأينا - نحن المتخصصين - خالصا قولنا لوجه ربنا الكريم فنلخص القضية فيما يلى :

أولاً : حال العربية وما آلت إليه على ألسنة بنيها مما يعرفه القاصى والدانى ، الخطأ هو القاعدة ، والصح استثناء واحتراز وشذوذ ، ولهذه كانت جمعية لسان العرب ثم الجمعية المصرية لتعريب العلوم ، ثم جمعية هندسة اللغة ، ثم المسك ، ليس بالختام ، كانت جبهة العربية ، فعندما زادت الأمور وفاضت وفاقت الحدود والسدود قامت هذى الجهود المخلصة من بنى مصر تنافح وتكافح وتجاحش عن لغتنا ، فدور مصر وبنيها دور رائد ومهم فى عالم بنى يعرب ، وغيره من عوالم الدنا الواسعات الرحيبات .

ثانياً : يجب أن نوكد حقيقة مهمة تغيب عن كثير من الناس ، إذ يتوهم بعضهم أن اللغة العربية هى الفصحى فقط ، وهو تصور غير صحيح على الإطلاق ، إذ العربية فى رأينا - نحن المتخصصين - هى الفصحى بشتى صورها ، تراثية أو معاصرة ، أو غيرهما ، إضافة إلى اللهجات العامية إذ هى جزء لا يتجزأ من لغتنا ، ولا نرى أنها يمكن أن تموت أو تتمحى فى يوم ما ، إن هذا الأمر فى القياس بعيد وبديع ، لكن المرجو والمستهدف أن نرقى بهذى اللهجات درجات درجات ، نشدها بعيدا عن الدركات المسفة التى يمكن أن تنزلق إليها ، وسعيا من جانب آخر كى نقيم الوشائج والصلات

والتقارب بين العامى والفصيح من الكلام ، ليتقارب المستويان بلا بعد سحيق أو نفور عميق ، وليس بالضرورة أن يحل الفصيح مكان العامى ليملأ الأول الشارع والبيت والسوق ... إلخ .

ثالثاً : إن هذه العبارة التى رددها بعض بنى العرب ، هذه العبارة ظالمة جاحدة تنضح بالعقوق والنكران لفضل أمة العرب ، ولكنا - بكل أسى - نسمعها تردد كثيرا : (لو كتب تاريخ العلم اليوم لم يحتل فيه العرب سطرا واحدا ، فإنهم عالة على العلم ومنجزاته) ياإلهى !! ما أقسانا على أنفسنا ! ما أشد بأسنا بيننا !! إن هذى العبارة تقدم لأعدائنا المتربصين بنا أقصى ما يتمنون ، بل أقصى مما به يحلمون ، وأقول للحق والحقيقة ، وليس دفاعا عن أمتى :

١- إن ما أنجزه العرب فى السابق كان أساسا مهما وضروريا لما أنجزه العلم فى العصر الحديث والمعاصر ، ويكفى أن نذكر هنا فضلا واحدا للعرب واحدا فقط ، هو الأرقام[١] العربية ، تقول المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه : (لولا الأرقام العربية ... ولما وجد اليوم هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضيات والطبيعة والفلك ... إلخ ، بل لما وجدت الطائرات التى تسبق الصوت ، أو صواريخ الفضاء ، أو الأقمار الصناعية[٢]) .

وإن تراث العرب فى شتى العلوم والمعارف مما تصعب الإحاطة به أو الإشارة إلى شيء منه ، وحسبى أن أسمى هنا بعض ما ترك الأجداد مما

---

(١) انظر بحثنا (الأرقام العربية أساس الحضارة ، وأهم عناصر اللغة العالمية) مجلة آفاق تربوية ، العدد ١٣ سبتمبر ١٩٩٨ ، قطر .

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٦٨ .

قرأت ، إذ لو كنا ننظر إلى شيء أي شيء مما كتب العرب لما قلنا عليهم ما قلنا ، أو لما تقولنا عليهم هذى الأقايل :

أ - كتاب وصف إفريقية للحسن الوزان ، وهو من أهم مصادر تاريخ القارة التي اعتمد الغرب عليها ، حيث ألف الكتاب في إيطاليا[1] ، ثم ترجم بعد ذلك إلى العديد من اللغات .

ليس إفريقية التي كتب بنو يعرب عنها ، بل هناك أيضا مناطق كثيرة من العالم لا يمكن التأريخ لها بدون الكتابات العربية ، وليرجع من شاء إلى (رسالة ابن فضلان ، مبعوث الخليفة العباسي المقتدر إلى بلاد الصقالبة ، عن رحلته إلى بلاد الترك والخزر والصقالبة[2] واسكندنافيا) في القرن العاشر وبعد مائة سنة من العناية بهذا الكتاب المهم في أوربة وروسيا نشر الكتاب في العالم العربي ، في دمشق ١٩٥٩ ، ثم بيروت ١٩٩٤م .

ب- كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ، الذي وضع فيه أهم المصطلحات لعلوم عصره كلها ، من الطب والموسيقى والحساب والفقه والنحو والصرف والعروض ... إلخ وعندما نظرت إلى عنوان الكتاب تصورت أن العنوان أوسع من الكتاب وأكبر ، إذ كيف يحتوى كتاب واحد على مفاتيح العلوم كل العلوم ، ولكني بعد قراءتي الفاحصة قد تأكدت تماما أن العنوان أقل بكثير جدا جدا من الكتاب وما حوى .

---

(١) ألف الكتاب ونشر أولا في إيطاليا باللغة اللاتينية ، ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغات الأخرى ومنها العربية .

(٢) السلاف .

٢- وفى العصر الحديث – يا سادة – إسهام العلماء العرب ، وعلى مستوى التميز والتفوق كما وفى الكيف مما يشهد به العالم ، أو مما يشهده العالم ويلمسه ، سواء فى خارج الوطن العربى أو فى داخله ، وخاصة العلماء المصريين ، ومن نافلة القول ومكروره أن نسمى هنا (فاروق الباز – أحمد زويل – مجدى يعقوب) وفى داخل الوطن مالا يحصى من الدارسين والباحثين والعلماء المبرزين ، مثلا د. على مشرفة – جمال حمدان ... إلخ) .

وبعد هذا نقول : (لو كتب تاريخ العلم اليوم لم يحتل فيه العرب سطرا واحدا ...) هذا ظلم ما بعده ظلم ، إنه ليذكرنى بأحد الأساتذة [١] السويسريين الذى كان يُدَرِّس تاريخ العلوم لطلاب الدراسات العليا فى جامعة جنيف ١٩٩٨م ، حيث يتجاوز العرب ، ولا يذكرهم بكلمة واحدة لماذا ؟ لأن العرب ليس لديهم – فى زعمه مِنهج ؟ وعندما ذهب هذا الأستاذ إلى باريس اشترى كتابا ضخما باللغة الفرنسية بعنوان (تاريخ العلوم [٢] عند العرب) فى ثلاثة مجلدات ، لا يحمل الواحد منها إلا رجل ذو قوة ، ومع هذا يدعى أن هذا كله كان بدون منهج !!

---

(١) ماريو بوشجاليا ، وهو كاثوليكى ملحد ، يعمل فى كلية العلوم ، جامعة جنيف ، قسم التاريخ الطبيعى .

(٢) نشرت الكتاب فى فرنسا إحدى المؤسسات الأكاديمية الفرنسية ١٩٩٧م ، وقد أفادنا بهذه المعلومات د. الصادق نعيمى بقسم اللغة الفرنسية ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية وكان فى العام ٩٧ – ١٩٩٨ يدرس فى جامعة جنيف .

رابعاً : ولو سلم أحد - جدلا أو مراء أو شغبا أو عنادا - بمقولة أن ليس للعرب فى تاريخ العلم حرف أو حتى حُرَيْف فإننا لسنا ملزمين - نحن العرب - أو غيرنا بالمسمى الأجنبى لأى مخترع من المخترعات ، بل من حق كل أمة التعليق بأهداب لغتها ، وإطلاق ما تراه من المسميات على هذا المختَرَع ، فإطلاق المسمى المحلى لا دخل له من بعيد أو قريب بالمخترع أو وطنه أو لغته ، فجهاز (الفاكس) ليس اختراعا عربيا - وإن اعتمد على الأرقام العربية - ومع هذا فقد سمته الجمعية المصرية لتعريب العلوم بالناسوخ أو الناسخ ، وأنا سأطلق عليه (اللّقن) لسرعة التقاطه للرسالة التى ينقلها ، إن هذا كله لا دخل له بكون الناسخ اختراعا غربيا ، أوربيا أو أمريكيا ، لقد أصبح الآن ملكا للإنسانية كلها ، ومن حق أى شعب على وجه البسيطة أن يطلق عليه ما يراه من ألفاظ لغته هو ، فى إطار حرية الإنسان المطلقة والتعدد اللغوى واختلاف الألسنة ، دون أن نضيق ما وسعه الله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم[1]) فمن يتصور أنه يستطيع أن يحمل الناس كلهم - على اختلاف ألسنتهم - على كلمة واحدة ، لا يبرحونها ، لأنها كانت لغة المخترع أو تسميته ليحملنا - نحن العرب - على التخلى عن مسميات عربية لهذى المخترعات ؟ الأمر بحاجة إلى تفكر وتدبر وروية ، فلن يبقى لنا من حصن فى عصر العولمة غير اللغة فإن ضاعت أو أضعناها فسوف نبيد كما بادت شعوب العالم الجديد ، وقد كانت ذات حضارة من الزمان البعيد .

---

(١) ١١٨ هود .

خامساً : لقد حظيت العربية بما لا يحصى من المعاجم ، مما لا نظير له فى اللغات الأُخَر - كمًا وكيفا - على السواء ، وفى القديم والحديث ، بما فى ذلك المعاجم المتخصصة فى شتى العلوم لا سيما المعاصرة ، مثل الحواسب والاقتصاد والإعلام ... إلخ .

وفى العام الماضى وفى إحدى الندوات كان أحد الفضلاء يتحدث عن ضرورة هذا النوع من المعاجم العربية المتخصصة ، وما إن خرجنا من الحجرة المغلقة حتى وجدنا معرضا لهذا النوع من المعاجم ، وفى شتى التخصصات التى كان يتحدث عنها ، وكان إلى جانبى الأستاذ الدكتور محمد يونس الحملاوى فقلت له : هذه هى المعاجم المتخصصة التى ينادى بها الناس ويرنو إليها المتحدثون ؟! قال : يا سيدى المشكلة أن الناس لا تقرأ .

وأنا لا أتحدث عن تفاصيل المسألة هنا فإن لها موضعها ، ولكنى أدعو دور النشر التى تطبع هذى المعجمات أن تعدم إحصاء لهذا النوع من المعاجم الحديثة مكتفيا الآن بالقول : إن المعاجم المتخصصة الحديثة فى شتى علوم العصر موجودة فى لغتنا العربية ، لكن الطموح لايقف عند حد ، فإنا نطمح أن تزيد كمًا ، وتثرى وتنضج كيفا ، فهذا مما يسر كل عربى ، وتقر به عينه .

ومن ناحية أخرى فإن العربية تختلف عن غيرها من اللغات فى تاريخها ، وفى تطورها فإنك تجد فى اللغات الأخريات تطورا سريعا متلاحقا بحيث تبدو اللغة وكأنها تحولت إلى أخرى مختلفة عن سوابق عهودها ، ولا يستطيع الجيل اللاحق أن يفهم بسهولة لغة الجيل السابق ، فاللغة الروسية الآن تختلف عنها فى العصر السوفيتى السابق ، وهى فى ذياك العصر تختلف عنها قبل العصر السوفيتى ، كما أن الناس لديهم الحرية المطلقة فى تغيير ما يرون

فى لغتهم ، وبالشكل الذى يروق لهم ، وبطبيعة الحال الروسية هنا مثال فقط لا حصر ، ولا خصوصية .

والعربية تختلف عما سبق فى أن عناصر التطور والتغير أقل من عناصر الثبات والاستمرار ، عناصر الثبات فيها أقوى من عناصر التغير، ولذا فإن تاريخها منذ أن كان لها أدب – مكتوب أو مروى – يختلف عن تاريخ غيرها من لغات العالم ، إننا نستطيع أن نقرأ الشعر الجاهلى ونثره بسهولة – منذ كانا – قد نرجع إلى المعجم نستشيره فى بعض ما غَرُب لفظه ، أو معناه وهذا ما لا نجده فى غير العربية .

وبرغم ذلك كله فإن المعجم التاريخى وما ينادى به بعض المخلصين من حاجة العربية إليه لا دخل ولا صلة بين هذا وبين قضية التعريب ، لأننا إذا كنا نصر على التمسك باللفظ الأعجمى وتدريس العلوم بغير العربية فلن يجدى نفعا أن يكون لدينا معاجم متخصصة أو تاريخية ، أو حديثة من أى نوع ، إن العكس هو الصحيح الأقرب إلى العقل والمنطق ، نعرب أولا ، ثم نحاول تطوير المعجمية العربية وسد الثغرات ، إن كان ثم ثغرات ، وليس أن ننتظر حتى يكون لدينا كذا وكذا ... إننا لن نفعل شيئا ، وسنبقى مكاننا ، فى حين لو تحركنا إلى التعريب فإن العجلة سوف تدور ، وتثرى من جانب آخر العمل المعجمى العربى .

وإذا كنا نرغب فى الإبقاء على اللفظ الأعجمى المستورد فليس ثمة حاجة لا إلى المعاجم المتخصصة ، ولا التاريخية ، فما دمنا لا نريد لفظا عربيا بدل الأعجمى ، فلن تجد شيئا من الألفاظ نضعه فى معاجمنا المتخصصة أو غيرها .

سادساً : والآن لابد أن يتأكد لدينا أن العربية لغة عبقرية ، تختلف عن غيرها ، وتمتاز عنها ، فإذا اختارت العناية الإلهية لسان العرب للكتاب السماوى الخالد والأخير فهل هذا كان مجاملة للعرب ؟ أم يستطيع أحد أو يجرؤ على القول بأن هذا الاختيار كان غير صحيح ؟! لا يمكن القول بهذا ألبتة .

ومن ناحية أخرى لابد أن هذى اللغة قد أعدت لهذه المهمة الجليلة، ولا نستطيع القول بغير هذا مطلقا ، فإذا كانت العناية الإلهية هى التى اختارتها وأعدتها فهل نسطيع بعد هذا كله أن نَسِمَها بالعجز أو نرغب عنها إلى غيرها من اللغات ؟

ونعود نتساءل : ما هى مظاهر العبقرية فى لغتنا ؟ إنها كثيرة عديدة تناولناها فى العديد من أبحاثنا ودراساتنا وكتاباتنا ، تذكر منها طرفا - بفتح الراء - كأمثلة فقط ، ليس إلا ، تثبت هذه العبقرية المتمثلة - فى رأينا - فى شىء مهم جدا جدا ، هو فى رأينا يخص الإنسان ، دون الجماد أو الآلة أو الحيوان ، ذلك أن الإنسان له من القوانين ما يلزم نفسه بها ، وفى ذات الوقت يخرج عن هذا عند الحاجة والضرورة ، دون نمطية محددة ، كما نجد عند الآلة التى تسير طبق نظام ما ، لا تبرحه ، ولا تغادره ، فعندها خطة تطبقها وتسير عليها ، ولا تعرف غيرها.

فالطيار الذى يقوم بعملية الهبوط بطائرته ، أو الصعود بها من على الأرض يستطيع التصرف والتدخل إذا وجد خطرا أمامه يعترض هبوط الطائرة أو صعودها إلى السماء ، ولكن جهاز الهبوط الآلى أو الصعود لا دخل له بشىء ، فعنده خطة يطبقها ، ليس إلا .

إذن من أهم مميزات العربية البعد عن النمطية والآلية ، وقد أعطينا العديد من الأمثلة فى بحوثنا السابقة ، ونعطى هنا مثلا واحدا فقط .

إن اللغة العربية لم تجمع بين أداتى النداء والتعريف فى أية كلمة من الكلمات ، فالتعبير: (يا الرجل - يا الولد) مرفوض شكلا وموضوعا ، فى الشكل توالى ثلاث ألفات هكذا (ياالرئيس) ومن ناحية النطق أيضا لا استساغة أيضا ، ولذا عدلت العربية عن واحدة من الأداتين وهى أداة التعريف ، ليس النداء ، وإلا فقدت الجملة معناها ومغزاها ، فكانت (يا رجل) بدون أداة التعريف .

ولكن كيف عبرت العربية عن التنكير والتعريف ، أو كيف ميزت بينها؟ لقد اختارت البناء على الضم تعبيرا عن التعريف ، أو ما سماه النحاة بالنكرة المقصودة ، وعند التنكير أو النكرة غير المقصودة كان المنادى منونا منصوبا ، فإذا قلت (يا رجلُ - يا ولدُ - يا ريِّسُ) قصدت رجلا بعينه ، وكذا الولد والريِّس - الرئيس - لكن إذا قلت : (يا رجلا خذ بيدى) كان الأمر لأى رجل ، لا رجلا بعينه وبشخصه ، فكيف إن حتم السياق استخدام أداة التعريف؟ وهنا غيرت العربية الجملة إلى شكل آخر ، هو (يا أيها الرجل - أيها الرجل).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن العربية سمحت باستخدام النداء مع أداة التعريف فى حالتين :

١- **لفظ الجلالة** : فنقول : (يا ألله) بالقطع هكذا ، أو بالوصل (يا الله) حيث لا سبيل إلى اقتطاع أداة التعريف من لفظة الجلالة .

٢- **الأعلام** : مثل (يا المعتصم بالله) بإثبات أداة التعريف ، ومع هذا سمحت العربية - وإن فى العامية - بتجريد المنادى هنا ، فتقول : (يا معتصم بالله) .

وقد طبعت العربية أصحابها بطابعها العبقرى هذا ، فاللغة ليست ساعى البريد ، تنقل الرسالة إلى السامع أو القارئ ، ولكنها تنقل معهـا القيـم والمبـادئ والأخلاق ، يقول العلامة ابن تيمية : (واعلم أن اعتياد اللغـة يؤثـر فـى العقـل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ، ويؤثر أيضا فى مشابهة صـدر هـذه الأمـة مـن الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق[1] ... واللسان تقارنـه أمور أخرى من العلوم والأخلاق ، فإن العادات لها تأثير عظيم فيما يحبـه اللـه وفيما يكرهه ، فلهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عـادات السـابقتين فـى أقوالـهم وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير [2] حاجة) .

وإذا كانت العروبة فى الأصل لمن جمع هذى الأوصاف :

١- عروبة اللسان .

٢- من كان من أولاد العرب نسبا ولحما ودما .

٣- من سكن جزيرة العرب .

برغم هذا كله فإنه بعد ظهور النور المحمـدى وانسياح العـرب بلغتهم وأخلاقهم ، والدين الحنيف تغير مفهوم العروبة إلى الشرط الوحيد المهم ، وهو عروبة اللسان ، ولذا قال ابـن تيميـة : (حكـم اللسـان العربـى وأخـلاق العـرب يثبت لمن كان لسانه عربيا ، وإن كان أصله فارسيا، وينتفى عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشميا ، مصدقا للحديـث الشـريف : (مـن تكلـم بالعربيـة فهـو

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٨٥ .

(٢) السابق ، ص ١٤٧ .

عربى – وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، إنما هى لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى[1]).

ولذا فالعالم العربى الآن ليس له إلا عروبة اللسان فقط ، وهو الأهم أما عروبة النسب فقد تكون أولا تكون ، وكذا الإقامة فى جزيرة العرب ، إلا أن الشىء الثابت المقطوع به هو عروبة اللسان فقط ، هذا اللسان الذى يطبع مستخدمه بطابعه ، عقلا وخلقا ودينا ، كما سبق .

فاللغة العربية تستقطب فى تعلمها ودراستها أطيب العناصر وأفضلها من كل أمة [2] وشعب سواء من المسلمين ، أو من غيرهم ، إذ تجد من المستشرقين من تهديه دراسة العربية إلى الإسلام ، سواء أعلن ، أو أمسك عن ذلك لسبب أو لآخر .

وإن بقى المستشرق على دينه فإنه برغم هذا يتأثر بالعربية ، فى أخلاقه ومواقفه ، فينزع – بعضهم أو الكثير منهم – إلى الموضوعية والنزاهة إلى حد واضح ، حيث يرى هذا فى أدبيات العربية وكتاباتها المختلفة بل فى الأمثلة التى تجدها فى النحو والصرف والمعاجم ، ناهيك عن الشواهد الشعرية والنثرية .

وأمامى الآن وأنا أكتب (شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب) لابن هشام فتحته على إحدى الصفحات [3] فوجدت هذين الشاهدين :

---

(١) السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) قد لاحظت هذا فى زملاء المهنة فى إفريقية والشرق الأقصى وأكرانيا ، وغيرها .

(٣) ص ١٧٥ ، مكتبة صبيح ، القاهرة ١٩٦٦ .

أخاك أخاك، إن مـــن لا أخ لـــه	❖	كســـاعٍ إلى الهيجـــا بغيـــر ســـلاح
أخاك الذي إن تدعـــه لملمـــة	❖	يجبك كما تبغي ويكفيك من يبغي
وإن تَجْفِه يوما فليس مكافئا	❖	فيطمع ذو التزوير والوشي أن يصغي

هذا مثال من الشواهد العربية التـى نطالعها فـى كتـب العربيـة ، وهـى بالتوكيد تختلف كثيرا عن الأمثلة فى اللغات الأخـرى التـى تحمـل قيـم ومبـادئ الشعوب الأُخَر ، فالألمانية والإنجليزية مثلا لا تجد اهتماما بالفرق بين الآنسـة والسيدة ، فهذى مسألة لم يعد لها قيمة فى نظر أصحاب اللغتين ، فى حين تجـد العربية على العكس من هذا كله .

وفى كتاب الحملة الأمريكية [1] حاول المؤلف بكل جهده إثبات خطأ هـذا الفريق من المستعربين فى وزارة الخارجية الأمريكية الذين حاولوا بكل جهدهم إثناء ساسـة بلادهم عـن الانحياز التـام لإسـرائيل ، فهـذا الانحيـاز فـى رأى المستعربين ليس فى صـالح بلدهـم ، ولكـن المؤلـف رأى فـى انتهـاء نفوذ هـذا الفريـق فـى خارجيـة بـلاده زوال العقبـة الكـأداء فـى سـبيل الصلـح العربـى الإسرائيلى ، والذى أثبت أنه من الممكن للولايات المتحدة أن تنحاز تمامـا إلـى إسرائيل ، وأن تكسب العرب فى ذات الوقت ، مـن غير أن تفقد أيـة ذرة مـن مصالحها لدى العرب .

ورأى أن هؤلاء المستعربين الأمريكان كانوا على صواب كبير ، حيث نصحوا ساسة بلدهم بكل أمانة وإخـلاص ، منحـازين لبلدهـم ممحضيـن الـرأى لصالح أمتهم ، وليس انحيازا إلى العرب كما وصفهم الصهاينـة وأحبـاء اليهـود

---

(١) تأليف روبرت كابلان ، ترجمة محمد الخولى ، نشرته دار الهلال بالقاهرة ، ١٩٩٦م .

فى أمريكا ، وما نرى هذه النزاهة والموضوعية فى النصح إلا من آثار العربية على تفكير القوم وأخلاقهم .

سابعاً : عبقرية العرب ؟! أهناك أحد من الناس يتحدث عن عبقرية العرب ، بعد هذى السلاسل والمسلسلات من الهزائم والنكسات التى تنزل على رءوس أمتنا ، خاصة فى العصر الحديث ؟ نعم ، إنى لا أقول بهذا فقط ، بل أوكده ، وأزيد عليه قولى الذى أردده كثيرا ، وأمام طلابى:

إن ما أنجزه العالم فى قرون ، يمكن أن يتجاوزه العرب فى سنوات تنطق بهذا شواهد التاريخ فى القديم والحديث .

وقبل أن نذكر شيئا من شواهد التاريخ فى القديم والحديث ، نعود لذات السؤال عن العربية ، من الذى اختارها لغة لآخر كتاب سماوى ؟ إنه رب العزة ، العناية الإلهية هى التى اختارت العرب لحمل هذى الرسالة ، لقد اصطفت منهم محمدا ﷺ مسك ختام النبوات والرسالات كما اختارت منهم مائة ألف - أو يزيدون من أصحابه - فى حين اختارت من الأمم الأخريات ثلاث شخصيات تمثلها فى صحابة خاتم المرسلين :

- سلمان الفارسى عن قارة آسيا .
- بلال الحبشى عن إفريقية السوداء .
- صهيب الرومى عن أوربة .

إذن فالله -سبحانه وتعالى - هو الذى اصطفى العرب ليكون منهم محمدا ﷺ وهذى الألوف المؤلفة من أصحابة ، فسيد الخلق هو القائل : (إن الله خلق السماوات سبعا ، فاختار العليا منها ، وأسكنها من شاء من خلقه ثم

خلق الخلق ، فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ... فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب ، فببغضى أبغضهم [1]) .

فإذا كان سيد الخلق الذى (لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى) يصرح بأن الله قد اختار من بنى آدم العرب ، أى اصطفاهم وفضلهم فهل نجد من يقدم بين يدى الله ورسوله ؟ أو هل نقول إن اختيار العرب لهذه الرسالة الخاتمة جاء من قبيل المجاملة أو المصادفة ، أو لم يكن فى موقفه ومحله ؟؟ اللهم لا .

لقد كان على عهد بعثة محمد ﷺ أمم كثيرة ذات حضارة عريقة أسست دولا عظمى، لا تحدها حدود ، فى مصر القديمة وبلاد الرافدين ، كان هناك الفرس والروم ، كان هناك اليهود[2] أهل العلم - آنذاك - والثقافة فى الدين ، وكان العرب ساعتها أمة مستضعفة ، كثيرا ما يستهين الأقوياء بهم انظر إلى كسرى عندما علم ببعثة محمد ﷺ لقد كتب إلى باذان عامله فى اليمن (أنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نبى) فما هو المطلوب وماذا يريد كسرى؟ لقد أمر عامله بما يلى : (فَسِرْ إليه ، فاستتبه) وإلا ماذا يا كسرى ؟ (وإلا فابعث إلى برأسه [3]).

---

(١) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٤٠ .

(٢) ولقد كان اليهود قبل البعثة على يقين بنزول النبى الخاتم وأن يثرب سوف تكون مهاجره ، ولذا تركوا بلادهم وجاءوا إلى يثرب يرنون أن يكون منهم النبى الخاتم ولكنه جاء من العرب ، فكان ما كان من العداء المستميت .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٦٩ ، القسم الأول .

والآن نستطيع أن نعطى بعض أمثلة من شواهد التاريخ على عبقرية العرب :

١- فى غزوة بدر أسر عقبة بن أبى معيط ، فأمر الرسول ﷺ بضرب عنقه ولكن الرجل يستغيث متوسلا : (يا ويلتى !! علام أقتل ؟ يا معشر قريش أأقتل من بين هؤلاء ؟) يقصد الأسرى الآخرين ، ويرد محمد ﷺ : (لعداوتك لله ولرسوله) فقال : يا محمد ، منك أفضل فاجعلنى كرجل من هؤلاء ، من قومى وقومك ، يا محمد : من للصبية ؟ قال : (النار) وضرب عنقه .

وقد عجبت لتوسلات الرجل وعدم استجابته ﷺ برغم لينه ورفقه وشدة رحمته ، ولكنى أترك سيد الخلق ﷺ يفسر هذا الحزم مع عدو الله ، لقد تقابل مع عقبة بن معيط يوم بدر فقال له: (والله لأقتلنك) فقيل له : أتقتله من بين قريش ؟ قال : نعم ، إنه وطئ على عنقى وأنا ساجد فما رفعت حتى ظننت أن عينى قد سقطت ، وجاء يوما وأنا ساجد بسَلَى شاة [1] ، فألقاه على رأسى فأنا قاتله .

هكذا فعل عدو الله برسول الله ﷺ وهكذا كان جزاؤه ، والذى نستشهد به هنا ، أن هذى الأفعال الشائنة التى قام بها عدو الله ، قد عوقب عليها بعد سنوات قليلة ، أى فى خلال هذى الأعوام القليلات تغيرت المعادلات، واستطاع سيد الخلق ﷺ أن يظفر بعدوه ، وما تغيرت هذى المعادلات إلا بسبب من رجحان عقلية محمد ﷺ على عقليات أعدائه الذين ناصبوه العداء ثلاث عشرة

---

(١) سَلَى الشاة : غشاء رقيق يحيط بالجنين ، ويخرج معه من بطن أمه .

سنة فى مكة ، وبعدما تركهم إلى المدينة تابعوا العداوة والشنآن ، فهو كما قال عن نفسه (خيار من خيار من خيار) ومن هذا الخيار أن عقله ﷺ كان أرجح من عقولهم جميعا .

٢- ولما أعيت قريشا الحيل مع محمد ﷺ اقترح عتبة بن ربيعة – وكان سيدا في قومه – مايلى[1]: (يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد ، فأكلمه وأعرض عليه أمورا ، لعله يقبل بعضها ، فنعطه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه) فماذا قال له ؟ قال : (يا ابن أخى ، إنك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة ، والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسَفَّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

وقبل أن نعرف ماذا عرض الوليد نمعن النظر قليلا فى مفتتح كلامه إنه يبدأ (يا ابن أخى) ثم يبين موقعه ونسبه من قريش حتى يقبل مُفاوضه ما يعرضه عليه ، وهو يرى أنه فى موقع قوة ، وعزة من أهله ومَنَعَه ، وليس من موقع ضعف ، فهو يعرف مكانه فى النسب وبسطته فى العشيرة .

وانظر إليه كيف يعرض قضيته – وإن كانت باطلة – إذ يتهم محمد ﷺ بأنه أتى قومه بأمر عظيم ، بل قل بأمور جسام : فرق جماعتهم ، سفه أحلامهم ، أى عقولهم ، عاب آلهتهم ودينهم ، كفَّر من مضى من آبائهم ، لوائح اتهام خطيرة ، محبوكة ومسبوكة ، لا يقدر على توجيهها بهذه الصياغة القوية

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ٢٩٣ .

غير عربى مثـل هذا ، وكل هذا مقدمـة لمـا سيعرض علـى مفاوضـه فمـاذا يعرض عليه ؟ إنه يعرض أكبر رشوة فـى التـاريخ ، كيـف ؟ يقـول بادئـا مـرة أخرى بنفس البداية :

(يا ابن أخى ، إن كنت إنمـا تريـد بمـا جئت بـه من هـذا الأمـر مـالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سـودناك علينا ، حتى لا تقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكـا ملكنـاك علينـا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تـراه ، لا تستطيع رده عـن نفسـك طلبنـا لـك الطـب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك ، فإنه ربما غلب التابع على الرجـل حتـى يـداوى منه) .

وهنا انتهى عرض أكبر رشوة فى التاريخ ، فـالمرء يخـوض المعـارك ويلقى بنفسه إلى المهالك إما بسبب المال ، وهنا لا يعرض عليه مبلغـا محـدودا وإنما يقول له (جمعنا لـك من أموالنـا حتـى تكـون أكثرنـا مـالا) وإمـا رغبـة الشرف والجاه ، يقول (سودناك علينا ؛ حتى لا نقطـع أمـرا دونـك) أو الملـك فهذا ما يبتغيه طلاب الدنيا فى هذه الحياة :

المال ، الجاه ، الملك

وإلا فهو المرض ، أو مس الجن ، وهنا سيبذلون له الطـب حتـى يـبرأ أو يعذروا فيه.

ولا يمكـن لعقليـة أن تفكـر بهـذه الطريقـة غـير العقليــة العربيــة التــى اختـيرت لهذى الرسـالة الخاتمـة ، لأن اللـه قـد اصطفـى مـن بنـى آدم العـرب ليحملوا إلى العالم كله آخر الكتب من الخالق إلى مخاليقه .

٣- مشهد آخر نسوقه على رجاحة العقل العربى ، فلما اشتد على المسلمين البلاء فى غزوة الأحزاب بعث محمد ﷺ إلى قائدى غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ... ويبعث الرسول إلى زعيمى الأنصار ، سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة يستشيرهما ، فماذا قالا ؟ انظر إلى رجاحة العقل ، ودقة القول ، ودقيق الفهم ، يقول الزعيمان : (يا رسول الله ، أمرا نُحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لابد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟) هكذا تحلل العقلية العربية العرض الذى عرضه الرسول ﷺ فهو لا يخرج عن احتمال من هذى الثلاثة :

هم يحبون أن يفعلوا هذا

أمر من الله واجب النفاذ

شيء يصنعه الرسول لهم

قبل مناقشة العرض ، قبولا أو رفضا ، حلل الزعيمان احتمالات الموقف بعدها سألوا الرسول ﷺ عن أى الاحتمالات هو الصح ، قال : (بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما) وهنا فقط أعلن الزعيمان رأيهما فى العرض ، وبشكل منطقى وعقلانى: (يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منه تمرة ، إلا

قرى أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له ، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا) ... ثم رفض العرض ، وقال سعد بن معاذ : (فليجهدوا علينا [1]).

٤- مشهد أخير نسوقه على رجاحة العقل العربى ، ففى غزوة بنى المصطلق ازدحم الأنصار والمهاجرون على سقى الماء ، وهنا غضب ابن سلول فكان مما قال : (والله ما أجدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ...) وعندما نقل الحديث إلى سيد الخلق ﷺ أمر الجيش بالمسير ، فمشى بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم حتى آذنتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما ، فقد ساروا أربعا وعشرين ساعة تقريبا ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان من ابن سلول.

ويلاحظ أحد الأذكياء أن الوضع غير طبيعى ، يقول أسيد بن حضير رضى الله عنه : (يا بنى الله ، والله لقد رحت بنا فى ساعة منكرة ، ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : (أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟) وهنا لا يندفع الرجل أو يتهور ، أو يداهن الرسول ﷺ أو يرائيه بشىء من القول ، بل تراه يسأل : (وأى صاحب يا رسول الله ؟) قال : (عبد الله بن أبى) ومرة أخرى يستفسر الرجل : (وما قال ؟) يجيب الرسول : (زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) وهنا يبدأ أسيد بن حضير فى إعلان رأيه فيما حدث ، بعد أن استمع إلى القصة كلها من فى[2] رسول الله ﷺ

---

(١) السابق ، القسم الثانى ، ص ٢٢٣ .

(٢) فَم .

يبدأ أولا فى الانحياز التام إلى جانب الرسول الأكرم معلنـا: (فـأنت يـا رسـول الله - والله - تخرجه منها ، إن شئت ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز) وبعد أن طمأن رسول الله ﷺ منحازا إلى جانبه يفسر هذا السلوك من ابن سلول قائلا: (يا رسول الله ارفق به) لماذا ؟ (فو الله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا) .

هكذا يتبين الرجل القضية برمتها قبل أن يقول رأيه ، متجها نحو رسول الله ﷺ منحازا عن عدوه وعدو الله ، رأس النفاق ، وفى ذات الوقت يفسر بالعقل المتزن والمنطق الواعى والواقع المقنع سلوك ابن سلول تجاه محمد ﷺ .

هذى نماذج من العقليات العربية التى التفت حول سيد الخلق ﷺ وهى كما ترى المصداق المصدق لما صرح به سيد الخلق من اصطفاء العرب من بنى آدم .

٥- ومالنا نذهب بعيدا أو قريبا ، لقد استطاع العرب هزيمة كل القوى التى واجهتهم ، وخاصة القوتين العظميين آنذاك ، الفرس والروم ، وخرجوا من جزيرتهم إلى الشام والعراق ، ثم بلاد ما وراء النهر ... إلخ .

وفتحوا مصرنا والشمال الإفريقى ، حتى وصلوا إلى الأندلس ، كل هذا فى عشرات معدودة من السنوات ، هى قليلة فى عمر الدول والأمم والشعوب والحضارات ، وقد تم كل هذا برغم ، نقول برغم الفتن والمصائب التى نزلت على رءوس العرب ، خاصة بعد وفاة الرسول ﷺ منها على سبيل المثال، على سبيل المثال فقط :

أ - مقتل الخليفة الثانى - رضى الله عنه فى المحراب - وهو ليس حادث اغتيال عادى ، بل هو - فى رأينا - نتيجة مؤامرة واسعة ، من أطرافها أبو لؤلؤة ، غلام المغيرة بن شعبة وجفينة النصرانى والهرمزان ، قضية مهمة بحاجة إلى بحث وتمحيص من كل الجوانب .

ب- مقتل عثمان - رضى الله عنه - والأحداث التى سبقت قتله فى داره وأمام نسائه وأهله وهى مؤامرة أخرى بحاجة بحث مقبل .

جـ- خروج معاوية على أمير المؤمنين ، على بن أبى طالب والحرب التى استعرت خمس سنين أتت على اليابس قبل الأخضر ، وكان من نتائجها المرعبة مقتل عدد هائل من جلة الصحابة والتابعين ، منهم عمار بن ياسر وطلحة والزبير ، مائة ألف نفس زهقت فى هذى الحروب المريرة ، وفى النهاية مقتل أمير المؤمنين على يد عدو الله ابن ملجم .

د - مقتل الحسن ، ثم الحسين ، وما فعل يزيد بأهل المدينة فى وقعة الحرة سنة ٦٣هـ التى قتل فيها أكثر من عشرة آلاف من أبناء المهاجرين والأنصار ، قتل فيها من أصحاب النبى ﷺ ثمانون رجلا ، ولم يبق بدرى بعد ذلك ، ومن قريش والأنصار سبعمائة ، ومن سائر الناس عشرة آلاف رجل ، عدا النساء والصبيان ، وقد أبيحت مدينة رسول الله ﷺ لجند يزيد ثلاثة أيام .

كل هذا دون تفصيل ، فقد كان فى كل حادثة ما يندى له الجبين ، وما يقصم الأمم إلى الأبد ، وإلى غير رجعة ، ولكن الأمة بقيت ، خرجت من أحزانها ، وبدأت حركة الفتوحات التى أشرنا إليه ، ولو توجهت الأمة ، على

سواء ، دون أن تعرقل مسيرتها هذه المصائب والبلايا لكان لها شأن آخر، وأى شان .

إذن فهى أمة تختلف عن كل الأمم ، أمة اصطفاها خالقها من بنى آدم فكانت جديرة بهذه الرسالة الخاتمة .

٦- وأخيرا وليس آخرا يقول العرب الآن : نعم كنا وكنا ، ولكنا الآن لم يعد لنا شان ولا خطر على الأقل ، كما كنا فى السابق ؟ نعم إن هذا قد يكون صحيحا ولكن أيريد العرب البقاء على مسرح التأثير والقيادة طوال الوقت ، أليس من حق الشعوب الأخرى أن تسهم هى الأخرى فى المشاركة والجلوس فى مكان القيادة ؟

ومن ناحية أخرى فهل يعيش الإنسان عمره كله فى حالة صحة وسعادة وحيوية ؟ كلا كلا ، إنه حتى على مدى الأربع والعشرين ساعة يختلف من حال إلى أخرى ، ولا يكون على حال واحدة مطلقا ، مرة يسعد وأخرى يحس بغير ذلك ، صحة ساعة ، وعكسها ساعة أخرى وهكذا ، فإن كان هذا شأن الفرد فى يومه ، أو فى يوم له ، فالأمم والشعوب بالأحرى أن تكون كذلك أو أكثر ، ما بين صحة ومرض ، سعادة وتعاسة ، حيوية وضعف ، صح وخطأ ، نصر وهزيمة .... إلخ .

ومع هذا فإن العرب برغم ذلك ثابتون صامدون أمام أخطر مشكلة تواجهم فى العصر الحديث ، مشكلة فلسطين ، وهى مسألة لم تزد كثيرا عن نصف قرن فقط ، لا حساب له فى عمر الأمم والشعوب ، ومع هذا وبرغم هذا نقدمه لمن ييأس من بنى العرب ، أنقله من أهرامنا القاهرية بعنوان تحقيقات إسرائيلية فى تغلب ٣ عناصر من المقاومة اللبنانية على ٧٥ جنديا إسرائيليا

وتحت العنوان : شكلت القيادة العسكرية الإسرائيلية فى المنطقة الحدودية المحتلة بجنوب لبنان لجنة تحقيق تخضع للإشراف المباشر لقائد المنطقة الشمالية للنظر فى الكيفية التى تمكنت بها قوة صغيرة من المقاومة اللبنانية من التغلب على قوة عسكرية إسرائيلية كبيرة مدعومة برا وجوا فى جنوب لبنان أخيرا .

وكشفت المعلومات الواردة من داخل المنطقة المحتلة أن قيادة الاحتلال قدرت عدد رجال المقاومة بثلاثة عناصر ، فى حين كانت القوة الإسرائيلية مؤلفة من ١٥ عنصرا فى بداية الاشتباكات ، وصل عددها فى مرحلة لاحقة إلى ٧٥ عنصرا مدعومين بدبابات وطائرات ووسائل قتال متطورة ، خاضوا معركتهم فى وضح النهار .

وقد أسفرت العملية التى وقعت فى وادى السلوقى بجنوب لبنان عن مصرع ثلاثة جنود إسرائيليين ، وإصابة سبعة آخرين ، بينهم ضابط كبير يرجح أنه قائد لواء جولانى العامل فى جنوب لبنان .

هكذا انتهى الخبر الذى تناقلته وسائل الإعلام على مدى يومين أو ثلاثة ولولا أن العقلية أرجح ما استطاع هؤلاء الثلاثة العرب التغلب على الخمسة والسبعين المدججين بأحدث الأسلحة والمعلومات ، والمسنودين جوا أيضا ، مع إمكانيات من جميع النواحى ، لا حدود لها شتان بين إمكانيات هؤلاء المتطوعين من الشباب وإمكانيات أعدائهم التى لا حدود لها .

والآن ننهى الكلام آملين بسطة وتفصيله فى مقام آخر ، وسياق مُواتٍ مناسب ، وعلى الله قصد السبيل .

د. أحمد مصطفى أبو الخير

٣- عـبقـريـة العـربيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الكتب المهمة التى قرأتها ، لا أنساه ، ولا أنسى أثره أو تأثيره ، إذ رأيت بعد قراءته أن الذكاء قد نما وزاد كثيرا ، توسعت آفاقه ، وبان ثراؤه واتضح ووضح ، إنه كتاب " التفكير الواضح [1] " الذى يفتتح بهذى الكليمات :

يستطيع النمر أن يسبق الإنسان فى العدو ، كما يستطيع الأسد أن يقاتل أفضل من الإنسان الأعزل من السلاح ، ويستطيع الطائر أن يطير بمجرد الخفق بجناحيه ولكن الإنسان يمتاز عن هذه المخلوقات جميعا ، وعن سائر المخلوقات قاطبة بميزة كبرى ، تلك هى رقى مخه.

وهو يستطيع بفضل هذا المخ الراقى أن ينظم الأصوات المركبة مكونا منها كلاما ذا معنى ، يبلغ به أفكاره إلى غيره من الناس ، كما يستطيع أن يسجل هذه الأفكار ، ويعيد تنظيمها بأشكال شتى ليحصل على معلومات جديدة ، أو ليصل إلى نتائج عن أشياء ، لا يستطيع أن يراها، أو يسمعها ، أو يلمسها وبعبارة أخرى إنه **يستطيع أن يعقل** .

وقد تمكن الإنسان بفضل قدرته على التفكير - فضلا عن قدرته على الكلام - وعلى استخدام يديه بمهارة من اختراع السيارة التى تسبق النمر فى سرعة عدوها ، والطائرات التى تخلف أسرع الطيور وراءها ، والآلات الرافعة والمجارف التى ترفع أضعاف ما يستطيع أى إنسان أن يرفعه .

١- تأليف هاى روتشليس ، ترجمة لطيف دوس ، دار النهضة مصر ١٩٦٨م .

وبفضل قدرته على التفكير استطاع الإنسان أن يتقن صناعة ألوان جديدة من الطعام ... والملابس والجسور الضخمة وناطحات السحاب والمصانع والمنازل واستخراج المعادن من الأرض ... إلخ .

والخلاصة أن القدرة على التفكير هى التى مكنت الإنسان من بناء حضارتنا الراهنة وأن يتغلب على الأمراض ، ويطيل فسحة العمر ، كما مكنته من الانطلاق إلى الفضاء .

انتهى ما قبسناه – بتصرف فى بعض الفِقَر – والآن نكمل ما بدأنا بالتوكيد على أن الإنسان العبقرى الفاهم يختلف عن الآلة والحيوان فى التفكير الذى يجعل الإنسان غير خاضع لنمط معين من الفعل ورد الفعل ، فلكل إنسان وجهة هو موليها ، ونظام يسير عليه ، إلا أنه فى المواقف المختلفة لا ينبغى له أن يتصرف بطريقة آلية حيوانية ، بل عنده لكل مقام مقال ، ولكل حدث حديث وكلما نجح الإنسان فى الموائمة بين التمسك بالقاعدة والمبدأ وبين المرونة التى تتطلبها المواقف المختلفة استطاع التصرف الصحيح والذى يرقى به إلى حد العبقرية .

وهذا مثال لتوضيح المقال ، إن سائق السيارة إذا رغب فى تخطى السيارة التى تسير أمامه فإن عليه أن يتخطى من اليسار ، لا اليمين ، ولابد أن ينظر أولا إلى الطريق ، هل مفسوح أمامه ، أو غير مفسوح ... إلخ ؟ إنه لا يتخطى إلا بعد تفكر وتدبر ، ولو فى وقت قصير أو سريع ، لكن الآلة تنفذ التخطى من اليسار فقط ، دون أن تلوى على شىء .

فإذا كان فى الطائرة – مثلا – جهاز هبوط آلى ، فإن الآلة تنفذ كل خطوات البرنامج بحذافيره ، دون التفات لأى خطر ، أو خطأ ، مهما كان

جسيما في حين تجد الطيار في مقعد القيادة يتابع كل شيء ، ويفكر في أي طارئ وإن رأى خطئا أو خطرا حاول التصرف والمناورة ، وإن تعطل أي جهاز يساعد على الهبوط فكر في حل المشكلة ، أو صرف النظر عن الهبوط وانصرف إلى وجهة أخرى ، حتى يتدبر أمره ، وشأن طائرته ، لكن الآلة لا تفقه شيئا مما سبق ، ولا تعرفه .

من هذى المقدمة إلى شأن لغتنا العربية ، إذ يتوهم الباده للوهلة الأولى أن العربية لا تعرف غير شراذهم ، لا تحصى من القواعد بشواذها وتعقيداتها دون أن تحكمها قوانين محددة تنبثق عنها قواعد ثابتة راجحة ، وإنما هي أمشاج وأخلاط من القواعد المتخالفة ، والآراء المتناقضة ، والشاذ المنبث في كل ركن من أركانها .

ولقد نظرت في بعض ظواهر العربية فاتضح لي فيما لا يدع مجالا للريب أو الشك أن لغتنا على العكس مما سبق كله ، لا تبنى قواعدها إلا على أسس راسخة ، وقوانين متينة ثابتة قد رأينا هذا في موضوعات عديدة ، يظن أنها عصية على التنظيم والتقعيد ، فبانت لنا غير هذا منها دراساتنا حول الإسناد والهمزة والألفاظ التي جمعت مصححة ومكسرة في القرآن [٢] الكريم .

إن في العربية مجموعتين من القوانين ، قوانين عامة تجدها في جميع الظواهر ، وأخر تخص ظاهرة بعينها ، لا تتجاوزها إلى غيرها من الظواهر فمن النوع الأول نجد المقطع الطويل المغلق ، المكون من صامت + حركة

٢- نشرت البحوث الثلاثة على الترتيب : ١٩٩٠ ، ١٩٩٧ ، ١٩٩٨ .

طويلة + صامت ، هذا المقطع لا يبقى كما هو فى الكلمة العربيـة ، بل تقصر حركته أو تطول إلى ثلاثة أضعافها :

١- فتقصر الحركة بين الصامتين فى المضارع المجزوم والأمر مـن الأجـوف مثلا ، كما فى : (قُل ولا تقُل) وهما فى الأصل (قولْ – ولا تقـولْ) هـذه قاعدة نجدها فى العديد من الظواهر الصرفية العربية ، أو قل مالا يحصى من الظواهر فى لغتنا ، وما ذكرنا هنا إلا المثال ، بلا حصر .

٢- أما تطويل الحركة فى المقطع المغلق فنجده فى قراءة القرآن الكريـم فيمـا يسمى – فى علم التجويد – المد الكلمى المثقل والمخفف ، والمـد الحرفـى المثقل والمخفف ، ثم المد للسكون العارض بسبب الوقف أو الإدغام الكبير مثالها علـى التوالـى : (أتحـاجونى – آلآنَ – ألـم – ص – نسـتعينْ – الرحيم مّلك) .

وفى دراستنا لأية ظاهرة ، صوتية ، أو صرفية ، أو نحوية ، أو دلالية فإننا نجد الظاهرة تخضع لقانونها الخاص بها ، وبطبيعة الحال مع عـدم التنكر للقانون العام الذى نراه لا يتخلف فى أية ظاهرة من الظواهر .

ففـى دراسـتنا لكتابـة همـزة القطـع وجدنـا أنهـا تخضـع لقـانون أقـوى الحركتين ، وذلـك فـى ٨٠٪ [٣] مـن الأمثلـة الألـف التـى طبقتـا عليهـا ، مـع أن القـاصى والدانـى لا يـرى فـى قواعـد كتابـة الهمـزة غـير أمشـاج وأخـلاط مـن القواعد والاستثناءات والمحترزات ، وهو ما رأينا عكسه تماما تماما .

٣- القول الفصل فى رسم همزتى القطع والوصل ، ص ٢٥ .

وقد يتساءل القارئ فما بال العشرين فى المائة الباقية ؟ أليست شذوذا مستثنى من القاعدة ؟ كلا ، كلا ، إن العربية هنا تظهر نوعا من العبقرية تتمثل فى التصرف فى كل موقف وسياق ، بعيدا عن الآلية الجامدة التى تتصرف فى كل المواقف بشكل واحد ووحيد ، لا تعرف غيره .

وبدون الدخول فى تفاصيل المسألة هنا نعطى مثالا [4] واحدا فقط هنا ففى كلمة (ضوءا) المنونة المنصوبة تكتب الهمزة على السطر ، فى حين تجد كلمة (شيئا) وهى على نفس الوزن الهمزة على الياء – النبرة – فما السر فى هذا الاختلاف ؟ لقد كان مقتضى القياس أن تكتب الهمزة عل السطر هكذا (شىءا) مثل (جزءا – ردءا) ولكن العربية تأخذ بقانون مهم هو وصل الحروف ما أمكن ، فإن حروف العربية جميعا ، الثمانية والعشرين توصل بما بعدها اللهم إلا هذه الستة (ا و د ذ ر ز) فلا توصل بما بعدها وعليه فإن الهمزة فى (دفئا – ملئا – فيئا) على نبرة ؛ لأن ما قبلها يوصل بما بعده ، الفاء واللام والياء ، فى حين تجد الهمزة فى مثل (ضوءا) على السطر ، لأن الواو قبلها من الأحرف الستة الذى ذكرنا أنها لا توصل بما بعدها .

نعود إلى موضوع الإسناد ، والعود أحمد ، وخاصة إن كان عودا على بدء ، فقد كتبت فى هذا الموضوع من عشر سنوات ، وإن شغلت قبلها بهذه القضية سنين عددا قبلها ، وقد رأيت فى بحثى السابق أن السالم والمهموز والمضاعف الرباعى والمثال لا تتغير عند الإسناد إلى ضمائر الرفع ، اللهم إلا

٤– السابق ، انظر ص ٣٧ .

فى التخلص من حركة الفعل الدالة على الإعراب أو البناء ، مثل : (وَعَدَ ⇦ وعَدْتُ) .

أما الأجوف والمضاعف الثلاثى ومزيداته فلا يتغيران عند الإسناد إلى ضمائر الرفع الساكنة (واو الجماعة – ياء المخاطبة – ألف الاثنين) فى حين يفك التضعيف فى المضاعف ويحذف حرف العلة من الأجوف عند الإسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة (تاء الفاعل – نا الدالة على الفاعلين – نون النسوة) قارن :

قال ⇦ قالوا – قُلْت .

يشدُّ ⇦ يشدان – يشدُدْن .

والسبب فى هذا أن الضمير المتحرك يفرض إغلاق المقطع قبله ، أو بمعنى آخر سكون ما قبله ، مما يترتب عليه مقطع طويل مغلق ، فتقصر الحركة امتثالا لقانون تقصير حركة المقطع التى سلف ذكرها .

وكذا الشان فى المضاعف حين يسند إلى الضمائر المتحركة لا يمكن إغلاق المقطع الأخير إلا بفك التضعيف ، وهكذا .

وفى المعتل الآخر – اسما كان أو فعلا – نجد قانونا مهما من قوانين العربية ألا وهو أن لام الكلمة إذا كانت صوتا لينا – واوا أو ياء – فإنها قد تتحول 'لى حركة طويلة ، فتحة طويلة أو ضمة طويلة ، أو كسرة طويلة، ففى (عصا – الداعى) الحركة فى كليهما أصلها واو فى الأولى ، وياء فى الثانية أى لينة ، ولذا نقول فى المثنى (عصوان – الداعيان) بواو فى الأولى ، وياء فى الثانية .

تماما كما نجد فى الفعلين (دعا – يرمى) عندما يسندان إلى ألف الاثنين (دعوا –يرميان) بواو فى الأول ، وياء فى الثانى وما ذاك فى الاسم أو الفعل إلا أن الحركة الطويلة هى فى الأصل صوت لين ، واوا كان أو ياء .

على أية حال فإن الناقص تعود إليه لامه اللينة عند الإسناد إن كانت تحولت إلى حركة طويلة ، وهو ما يتضح فيما يلى :

١- المعتل الآخر بألف المد : هذى الألف تعود إلى أصلها ، الواو أو الياء وهو ما يتضح عند الإسناد إلى الضمائر المتحركة وإلى ألف الاثنين :

- دعا ⇦ دعَوَ ⇦ دعَوْت ، دعَوْنا ، دعَوْنَ ، دعَوَا .
- رمى ⇦ رمىَ ⇦ رمَيْت ، رمَيْنا ، رمَيْن ، رمَيا .
- ينهى ⇦ ينهىُ ⇦ يَنْهَوْنَ ، ينهيان .
- ارقَ ⇦ ارقىْ ⇦ ارقَيْن ، ارقيا .

ونتساءل أين واو الجماعة وياء المخاطبة ؟ هل انطبق عليهما الحكم السابق ؟ كلا ، إذن فأين ثبات القاعدة ورسوخها ؟ نقول : إن العربية لم تعد بالحركة الطويلة إلى أصلها هنا ، بل حذفتها تماما ؟ لماذا ؟ كان سيترتب على عودته إلى الياء أو الواو تلاقى صوتين لينين ، وهو أمر غير مرغوب فيه :

- دعا ⇦ دعَوْا بدل دعَوَوْا .
- رمى ⇦ رمَوْا بدل رميَوْا .
- انه ⇦ انهَوْا ، انهَىْ ، بدل انهَيُوا ، انهَيِى .
- يرقى ⇦ يرقَوْن ، ترقَيْن بدل يرقَيُون ، ترقَيِيْن .

نوع من الاختصار إذن ، ومحاولة لتجنب توالى لينين ، فلم يك من المنطقى التخلص من الضمير ، وهو وحدة صرفية كاملة ، بل جنحت لغتنا إلى

حذف لام الكلمة ، وهو جزء من الوحدة الصرفية - أى الفعل - وحذف الجزء أهون من حذف وحدة بكاملها .

وما سبق لا يعد خلطا ولا اضطرابا ، أو جنوحا إلى الاستثناء والشذوذ والاحتراز ، وإنما هذه صورة من صور عبقرية العربية ، حيث لا تسير سير الآلة الصماء ، لا تعقل ولا تفهم ، ولا تصنع إلا ما عليه تعودت ، بل تغير من وجهة سيرها إلى طريق آخر ، إن رأت حاجة أو مبررا للتغيير ، تماما كما يفعل الإنسان المجرب المحنك الذى عركته الحياة بخبراتها ومواقفها فيتصرف فى كل موقف بما يناسبه ، حتى لو تطلب الأمر أن يغير شيئا من ثوابته ، وما تعود عليه.

٣- المعتل الآخر بالواو أو الياء: وقد يكون الصوتان لينين ، كما فى (سروَ - رضىَ) وقد يكونان حركة طويلة كما فى (يدعو - يهدى) فعند الإسناد إلى ألف الاثنين يظهر الأصل اللين :

- سروَ ⇦ سروا .
- رضىَ ⇦ رضيا .
- يدعُو ⇦ يدعُوُ ⇦ يدعَوان .
- يهدى ⇦ يهدىُ ⇦ يهديان .

ولكن عند الإسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة لا تكون لام الكلمة لينة بل حركة طويلة ، وذلك مع تاء الفاعل ونا الفاعلين ونون النسوة :

- سروَ ⇦ سرُوْت ، سرُونا ، سرُونَ
- رضىَ ⇦ رضيت، رضينا ، رضينَ
- يدعو ⇦ يدعونَ

- يهدى ⇦ يهدين

- ادعُ ⇦ ادعون

- أنهِ ⇦ أنهينَ

فلماذا لم ترجع لام الفعل إلى أصلها اللين ؟ حتى يفرق بين المعتل الآخِر بالألف والمعتل الآخر بغيره ، لاحظ الفرق :

- أرْضى ⇦ أرضَيْت ، أُرضى ⇦ أُرضيت

- يَرْضى ⇦ يرضَوْن ، يُرْضى ⇦ يُرضَون

ولكى تفرق العربية بين المعتل بالواو أو بالياء تركت هذين الصوتين وإن لم يكونا لينين ، بل حركتين محضتين ، فأبان هذا عن أصل لام الفعل، هل هو واو أو ياء ؟ هل رأيت لغة فى العالم تتصرف بهذا النحو العبقرى ، تهندس فى الصغيرة والكبيرة من القواعد ؟!.

بقى إسناد الفعل المعتل بالواو والياء إلى واو الجماعة وياء المخاطبة وهنا ترى العربية راغبة عن توالى الواوين أو الياءين ، أو أحدهما إلى جوار الأخرى ، وكما فعلت عند إسناد الفعل المعتل بألف المد ، فعلت الشىء نفسه وهو التخلص من هذا التوالى ، بحذف أحد المتواليين ، الواو أو الياء ، وهنا يحيد المنطق السوى عن الاستغناء عن الضمير ، إذ هو وحدة صرفية مستقلة ويتجه نحو لام الفعل ، فهى جزء من كل ، وهو أهون وأيسر من حذف كلٍ مستقل بنفسه ، فتضيع الفائدة من الإتيان به ، فى حين لا تضيع الفائدة من الفعل إذا نقص شىء منه فى نهايته .

ولكن العربية راعت شيئا مهما هنا ، تفرق فيه بين المعتل الآخر بألف المد والمعتل بغيره ، هو أن الضمير واوا كان أو ياء هو حركة طويلة ، ولم

يك صوتا لينا ساكنا ، مفتوحا ما قبله ، فهذا إشارة إلى أن الفعل لا ينتهى بـألف مد ، قارن :

- يُرضى ⇦ يُرْضُون ، يَرْضَى ⇦ يَرْضَوْن

- يسمو ⇦ يَسْمون ، يُسَمَّى ⇦ يسمَّوْن

- الْقِ ⇦ أَلْقُوا ، اسْعَ ⇦ اسعَوْا

والشيء نفسه مع الماضى ، ليس مع المضارع والأمر فقط :

- دُعِيَ ⇦ دعُوا ، دعا ⇦ دعَوْا .

- نَهوَ ⇦ نَهُوا ، نَهَى ⇦ نَهَوْا .

بقى أن نذكر أمثلة المسند إلى ياء المخاطبة قارنين المعتل بالألف المدية بغيره لنوكد مرة أخرى أن العربية فرقت بين المعتل حسب نهايته :

- يرمى ⇦ تَرْمِينَ ، يُرمَى ⇦ تُرَمْيْنَ

- يرنو ⇦ تَرْنِينَ ، يُرْنَى ⇦ تُرْنَيْن

- أَبْقِ ⇦ أَبْقِى ، ابقَ ⇦ ابقَىْ

- ادعُ ⇦ ادعِى ، اسعَ ⇦ اسعَىْ

وهكذا نجد فى كل يمنة ويسرة لفتة من لفتات العبقرية الفذة ، والهندسة المبدعة ، ترصع قواعد لغتنا ، وتنأى بها عن السبهللا ، وأن تكون قواعدها فُرُطا ، لا رابط بينها ، ولا ضابط لها .

فإذا كان الأساس فى إسناد الناقص إلى ضمائر الرفع العود إلى أصل الفعل ، وهو الصوت اللين ، واوا أو ياء ، فإن العربية قد راعت لكل حالة حالها ، فلم تخرج عن الخط العام لقاعدة إسناد الناقص هنا إلا لهدف رأته ووعته ، فكان لابد أن تراعيه وترعاه ، تماما كالإنسان العاقل الذى يميز فى

كل موقف بين ثوابته التى يتكئ عليها فى أموره كلها ، وبين ما يطرأ من مواقف تجعل العقل العبقرى يعى المسلك الصحيح ، ويهندس فى كل سياق ما يناسبه ، وهو ما تفعله دائما لغتنا العربية التى تتسم فى كل قواعدها بهندسة بديعة ، وعبقرية واضحة ، لعلنا لا نجدها فى غير العربية .

فالحمد لله أولا وآخرا ، والسلام عليكم ورحمة الله

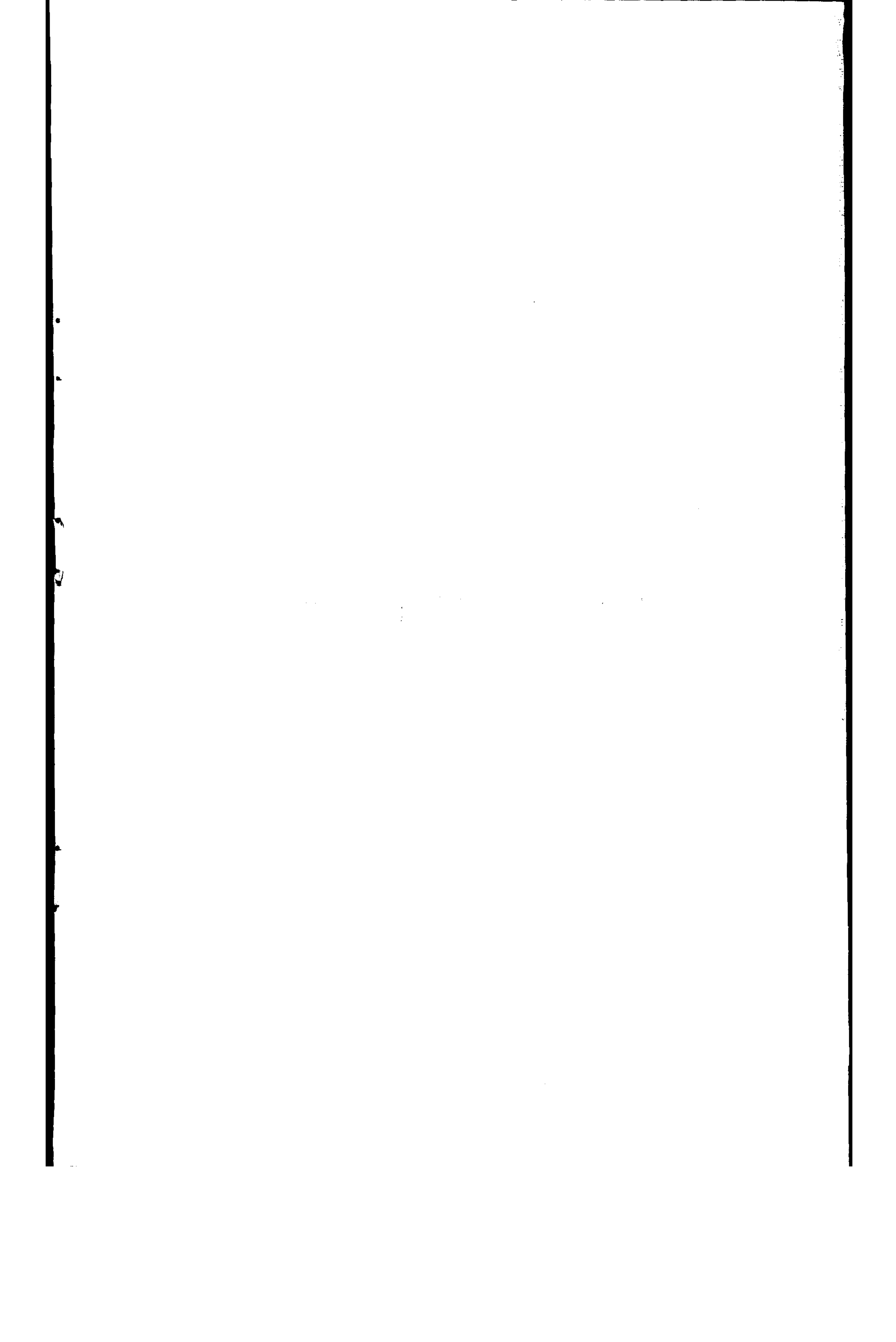
أحمد مصطفى أبوالخير

كيف

هى السالوت

٢٨ / ٢ / ١٩٩٩

٤- عناصر اللغة العالمية المنشودة



عندما وطئت قدمى هذى المدينة – كييف – أو الكويابة [1]– كما سماها أجدادى العرب كنت أحس بثقة لا حدود لها بالنفس ، ففى الجعبة تجارب لا تحصى فى السفر ، خاصة خارج العالم العربى ، وفى الكنانة أيضا ما يقرب من $\frac{1}{2}$ دَسْتَة من اللغات الأجنبية – معرفة أو إلماما– سيما الإنجليزية والفرنسية .

وبعد خروجى من المطار الصغير – قياسا إلى غيره من المطارات الدولية – اتفقت على سيارة من المطار إلى حيث أتوجه فى العاصمة الكويابة التى أدخلها لأول مرة فى حياتى، وبعد أخذ ورد مع الموظفين والسائق طمأننى القوم بأنهم قد أفهموا الأخير العنوان ، وإنه ليعرف كل شيء .

وانطلقت السيارة وبعد نصف ساعة تقريبا ظهرت تباشير المدينة ، ثم بدأ السائق يسألنى عن وجهتى والعنوان ... إلخ ، كل هذا بالروسية فقط، وعبثا حاولت التفاهم معه بأية لغة من لغات البشر التى أعرفها ، دون جدوى ، وبقينا ساعة نلف وندور فى المدينة نحاول سؤال أحد عله يعرف لغة غير الروسية فلم نعثر إلا على سراب فى سراب .

ولم ينقذنا من هذا الموقف إلا لطف الله الذى هيأ لنا بعض العرب دلُّونا على العنوان فقد كانوا يعرفون الروسية والعربية ، ولكنى طوال هذى الساعة العصيبة تعرفت من السائق على بعض الألفاظ ، أو قل على لفظتين

١– هناك مدينة أخرى فى البرازيل لها نفس التسمية ، انظر – محمود شاكر : العالم الإسلامى ، ص ٣٥٤ .

ثنتين ، هما address - bazaar [1] وعرفت أنه يعنى السوق من إشارته إلى حيث يجتمع بعض الباعة ، كما أننى أعرف الكلمة فى اللغة الأندونيسية ، ففى الحاضرة جاكرتا (بازار سنينى) سوق الاثنين ، والكلمة الأخرى التى رددها السائق المسكين تعنى العنوان ، فقد كنت أعرفها فى الإنجليزية .

وعرفت فيما بعد أن الكلمتين فى اللغة الروسية ، وهى اللغة الوحيدة التى يمكن التعامل بها هنا ، أو الأكرانية فى أحوال قليلة ، فإن عثورك على من يعرف لغة غيرهما حلم جميل ، من النادر أن تجود به الأحوال ، إلا إذا عثرت على بعض العرب ، فإن الفرج يأتى من أوسع الأبواب.

على أية حال فإن هذه الساعة العصيبة قد أيقظت هذا الحلم الجميل الذى يراود بعض العلماء بإيجاد لغة عالمية ، بها يتفاهم البشر جميعا ، عندما تختلف الألسنة ، وتطيش سهام اللغات الأجنبية التى تعلمناها على كثرتها وزَهْونا بها .

إذن فكرة اللغة العالمية وإنْ حُلْما وخيالا فإنها تبدو الآن فكرة جادة مائة فى المائة وبدأت بالفعل أضع الفكرة فى مكانها اللائق ، مع الاحترام والتوقير والإجلال ، ولكن قبل أن ندخل فى تفاصيل الموضوع نتساءل : أيمكن

١- كتبنا الكلمتين كما يهجيان فى الإنجليزية ، وليس بالحرف الروسى الذى ربما لا يُعْرف كثيرا بين قراء العربية ، ومن الجدير ذكره هنا أن كلمة bazaar معروفة فى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية ، بل قد تستخدم الكلمة بمعنى الفوضى أو عدم النظام أى كما نقول فى العربية : سوق ، أو سويقة ، ففى الفرنسية souk بمعنى (فوضى – سويقة) وهى كلمة (سوق) العربية ، على أية حال فإن (البزار) فى العربية بائع البزور ، كما فى المعجم الوسيط ، أما bazaar بمعنى سوق فيقال إنها من أصل فارسى.

أن نرى ذات يوم – ذى شمس دفيئة مشرقة – لغة واحدة وحيدة تسود العالم كله ، فى الشرق والغرب ، فى الشمال والجنوب ؟ هذا أمر بعيد ، على الأقل فى المستقبل المنظور ، وإن كان من المنطقى أن نجد عدد اللغات فى العالم يتجه نحو قلة العدد ، بموت بعضها ، وفى نفس الوقت تسود لغات تعد على أصابع اليد الواحدة هذه المعمورة مع بقاء لغات أُخر بجانبها ، إلا أن عدد المتكلمين بها أقل .

ولكن هذه اللغة العالمية – أو قل اللغة الحلم – قد بدت عناصرها التى قد تفضى فى وقت ما – الله يعلمه – إلى هذا الحلم الجميل ، وإلى أن نصل إلى ما يبدو خيالا الآن – بالياء لا بالباء- فإن هذى العناصر يمكن أن يفاد منها فى إيجاد قدر ما من التفاهم بين مختلِفِى الألسنة من الخَلْق، عندما لا يسعفنا ما تعلمناه من لغات أجنبية .

وأهم هذى العناصر فى رأينا هى :

١- بعض الألفاظ التى أصبحت عالمية – أو قل كونية – لعلها لا تغيب فى لغة من اللغات المنتشرة المشهورة، مثل : تليفون ، راديو ، فيلم ، سينما .

٢- الأرقام ، أى العربية ، سواء الرموز المشرقية أو المغربية .

٣- لغة الإشارة .

٤- الألوان .

٥- لغة العلماء .

وهاك تفصيل ما أجمل ، وبيان كيف يمكن استخدام ما سبق فى الاتجاهين معا ، وفى ذات الوقت ، أى استخدام العناصر الأربعة فى تلمس لغة عالمية ، ومن ناحية أخرى الإفادة منها فى تعليم اللغات الأجنبية :

أولاً – الألفاظ العالمية : عندما يلتقى الناس ، وتحتد المواقف تصبح الكلمة المفهومة أو الجملة المفيدة كنزا ثمينا ، وأحيانا كأنها سفينة نوح ، تحمل المرء إلى حيث النجاة من سوء الفهم أو الوقوع فى غياهب المجهول .

ووسط هذا الظلام الداجى يتلمس المرء خيطا ولو دقيقا من الضوء وإن على هيئة نقاط متباعدة ، متناثرة ، كأنها النقط ، كما يفعل السارى فى ليل ظَلِم [1] موحِش الحَنادِس [2] حين يتعلق ببصيص من نجوم بعيدة بعيدة ، عله بها يهتدى .

وأرى هذى النجوم الغائرة البعيدة – وإن كانت مفيدة غاية الفائدة عندما لا نجد غيرها –أراها تلك الألفاظ التى أصبحت عالمية ، أو على الأقل شبه عالمية ، منتشرة معروفة فى العديد من اللغات فى عالمنا المعاصر ، وأستطيع هنا أن أعطى أمثلة ، ليس إلا ، إذ الأمر بحاجة إلى إحصاء دقيق وأمين، منها:

- Internet .
- Fax .
- Telex .
- Computer .
- Disk .
- Telegraph .
- Television .
- Program .

١- مُسْوَد .

٢- مفرده (حِندِس) شديد السواد .

- Passport .
- Kilogram .
- Kilohertz .
- Kilometer .
- Yard .
- Algebra .
- Alphabet .
- Hello .
- Zero .
- Mesque .
- Course .
- Magazine .

ونكتفى بما سردنا [1] من التمثيل ، لا الحصر أو الإحصاء ، مع الأخذ في الاعتبار أن بعض اللغات ربما تنطقها بشكل مختلف ، قليلا كان الاختلاف

١- عرضنا هذه العينة على أبناء اللغات المختلفة فوجدناها في اللغات الآتية :(الروسية والأكرانية والألمانية والفرنسية والتركية والأسبانية والإيطالية) بعض هذى اللغات ترك كلمة أو ثنتين من العينة واختار بديلا من لسانه ، عدا الألمانية التى زادت إلى خمس كلمات محلية ، ونسجل هنا بكل الفخار أن العربية بَزّت لغات العينة كلها، حيث عزبت الألفاظ ، عدا خمسٍ بقين دون تغيير ، فى حين تغير نطق ثنتين ، هما البرنامج والتلفاز ، معلومة نهديها إلى كل مخلص غيور على لغة بنى يعرب ، خاصة فرسان التعريب فى مصرنا ، ومشيخة الجمعية المصرية لتعريب العلوم فى قاهرة المعز.

أو كثيرا ، ففى الروسية مثلا تنطق كلمة مسجد العربية met et لأنها مأخوذة - فيما نرى - من masdʒid بجيم مركبة / dʒ / وليس / g / ، إذ نرى mosque التى أخذتها الفرنسية عن العربية ، ثم من الفرنسية إلى غيرها من اللغات كالإنجليزية ، لعلها أخذت من اللهجة القاهرية التى تنطق الجيم انفجارية وليس مركبة ، أى / g / وليس / dʒ / وهكذا .

وفى العربية عدلنا Program إلى برنامج ، أو عربناها ، كما فعلنا فيما لا يحصى من الألفاظ الأجنبية ، وكذا اخترنا النطق الفرنسى للكلمة الإنجليزية Television فكانت عندنا فى مصر - مثلا - تلفزيون، وبعضهم عربها إلى تلفاز ، وأحيانا يقال : الشاشة الصغيرة .

ومن ناحية أخرى فإن بعض اللغات ذات الحمية والنخوة فى أبنائها ربما لا توافق على اللفظ الأجنبى، والكلم الغريب ، ومن ثم تسعى جاهدة لاختيار مقابل يكون ندا للأجنبى حتى تسود كلماتهم ، وتطرد العملة الغريبة ففى عالم العرب جنح الغيورون على لسانهم ، الغيارى على أمتهم إلى تعريب الأجنبى ، أو إيجاد البديل العربى القادر على منازلة اللفظ الأجنبى ، ولذا جنح بنو يعرب إلى : (الناسخ - الحاسب - القرص - البرق- الجواز - المجيب[1])

إن هذا ليذكر بقول هيوم حورانى المستشرق الأمريكى : (العربية نظام محكم الإغلاق ، تقاوم استعارة الكلمات ، مثل جهاز يروعك منه المنطق ، ثم تبهرك سلاسته) كابلان : الحملة الأمريكية ، ترجمة محمد الخولى ، القاهرة ١٩٩٦م .

١- وأنا أسميه (اللقن) أو (الكاتب اللقن) مستعيرا إياه من تعبير أبى الأسود الدؤلى عندما أراد أن يشكل القرآن : (ابغوا كاتبا ، وليكن لَقِنًا) يقال : التمسوه فلم يجدوه إلا فى عبد القيس ، وأحيانا أسمى الناسخ بهذا الاسم الأخير ، وقد ينزعج القارى لهذه

بدل :

answering machine – passport - telegraph - disk - computer - fax

كل هذا صحيح لا غبار عليه ، وحق لا مرية فيه ، ولكن يبقى الأجنبى معروفا أيضا إلى جانب العربى ، سواء بالنسبة للعامة أو الخاصة ، من المتعلمة والمثقفة ، ولا سيما من كان على إلمام ببعض اللغات الأجنبية، فالكثير فى مصر ، وفى العالم العربى أيضا ربما لا يجهل (الفاكس – الكمبيوتر – التلغراف ... إلخ) على الأقل فى لغة الخطاب اليومية ، أو ربما فى لغة الكتابة.

وبرغم هذا لا ننسى أن بعض الألفاظ بقى كما هو لم نحاول فى العربية – وربما فى غيرها – إيجاد بديل لها ، مثل yard - kilometer - kilogram وهلم جرا .

وفى هذا المقام لا يفوت أن نُذَكر قراء العربية أن بعض هذى الألفاظ التى شاعت وذاعت هى من أصل عربى ، مثل : (الجبر – الصفر – المسجد)

وليست هذى الكلمة الوحيدة التى لا يوافق عليها بعض المستخدمين ، إذ رأينا من اعترض على (مجيب– الشبكة الأم) بدل الشكل القمىء الذى تتأباه العربية : (الأنسرنج ماشين – الإنترنت) وعلى الرغم من هذا فلا مانع من اقتراح أية كلمة – شرط أن تكون عربية – حتى لو كانت من اللهجات العامية . أما مقترح كلمة (المجيب) فقد اقتدى بالكلمة الفرنسية repondeur ، فهو متخصص فى الأدب الفرنسى ، فلسنا أقل غيرة على لغتنا من الفرنسيين ، ومن وجد سبيلا إلى اقتراح كلمة غيرها فعلى الرحب والسعة ، فالبقاء للأصلح وما يراه مستخدمو اللغة .

وكذا Alphabet [1] فهى من الترتيب العربى لحروفنا (أ ب ت) وكلمة course تذكر بالكلمة العربية كرسى [2] ، فقد كان الأستاذ الذى يدرس مقررا معينا أو مجموعة من المقررات أو المواد يجلس على كرسى ، ومن هنا جاء اللقب (أستاذ كرسى) وجاء أيضا (كرسى اللغات الشرقية - كرسى لغات الشرق الأقصى) كما هو عندنا فى جامعة اللغات التى كنت أعمل بها ١٩٩٨ - ١٩٩٩ والكرسى هنا مجموعة من الأقسام المرتبطة ببعضها .

وتذكر كلمة أخيرة فى هذا السياق magazine بمعنى متجر كبير، إذ هى فى الأصل مخزن ، حيث تخزن السلع لبيعها بعد ذلك .

نخلص من كل هذا إلى أن المرء عندما يواجه بلغة لا يعرفها ، أو لا يعرف شيئا منها فإن عليه أن يفتش فى هذا المعجم الكونى الذى يشترك فيه مع إخوته من بنى أبيه آدم - عليه السلام - وحواء ، فلعله يجد ولو بصيصا أو وميضا ، خيطا دقيقا رفيعا من ضوء يهديه ويعصمه من سوء فهم ، أو موقف صعب عصيب ، ربما لا مخرج منه إلا بالتشبث ببعض هذى الألفاظ الكونية .

١- أما الكلمة العربية (أبجدية) فهى مقبوسة من (أبجد) بداية الترتيب القديم للحروف العربية أبجد هوز حطى كلمن ... إلخ أما الترتيب الحديث المسمى (الألفبائى) أو (الأبتثى) فقد قبست منه الكلمة الأجنبية Alphabet لأن الحضارة العربية لم تطرق أسماع العالم إلا بعد أن استقر الترتيب الجديد : أ ب ت ث ... إلخ .

٢- جاء فى المعجم الوسيط : (كرس الرجل كرسا ، ازدحم العلم فى صدره ، انكرس عليه انكب ... الكراسة الجزء من الكتاب ... والإضمامة من الورق تهيأ للكتابة فيها ، الجمع كراس ، وكراريس وكراسات) انظر مادة : (ك ر س) هذا ويرى بعض الباحثين الأوربيين أن كلمة course من أصل لاتينى بمعنى الطريق .

وعلى الجانب الآخر فإن هذى الألفاظ يمكن أن تشكل أساسا مهما لاختيار الألفاظ التى تقدم إلى متعلم اللغة الأجنبية - أية لغة أجنبية - فعندما يحس المتعلم أنه ينتقل من لغته إلى اللغة الهدف خطوة خطوة ، ودرجة درجة دون فجوات ، أو انتقال فجائى ، لا ينفر ، ولا يجفل ، بل يقبل على اللغة التى يتعلمها .

وهذا ما يقودنا إلى الخطوة التالية التى انبثقت عما سبق ، ألا إنها الكلمات المقترضة من اللغة الهدف ، وعندنا مثال مهم هنا ، إنه الكلمات الماليزية المقترضة من العربية ، لقد تناولتها دراسات عديدة قدمت إحصاء مفصلا بها ، وقدمت مقترحات محددة للإفادة من هذى الثروة اللفظية ذات الأصل العربى ، وكان أحدث هذى الدراسات (معايير التحكم فى الألفاظ فى تعليم العربية للمجتمعات الإسلامية فى جنوب شرق آسيا [1]) للدكتور عبد الرحمن [2] شيك .

وفى الحقيقة فإن تعليم العربية فى المجتمعات الإسلامية أسهل بكثير من غيرها ، ليس فى معرفة الطالب بالعديد من الألفاظ العربية والتعبيرات التى دخلت لغته ، وتأثير العربية الواضح على لغته ، لا سيما إن كانت تكتب بالحرف العربى ، ولكن أيضا فى المعنى والدلالة وهذا ما لمسته مع طلابى الأكراد ، مقارنة بطلابى فى نيجيريا وماليزيا ، أو حتى طلاب الجامعة الإسلامية بكييف .

١- رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ١٩٩٤ .

٢- أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا .

فإذا ذكرنا للطالب الأكراني مثلا : (صلاة الصبح ركعتان) فإن الكلمات الثلاث غير مفهومات ، هن بحاجة إلى شروحات وإيضاحات ، أما نظيره المسلم فتكفيه الإشارة ، أو حتى مجرد المقالة .

صحيح أن الكلمات العربية تجاوزت لغات الشعوب المسلمة إلى غير المسلمة [1] كما هو باين واضح ، إلا أن التأثير على اللغات الإسلامية أكبر وأوضح ، وهذا مجرد مثال لتقريب المقال ، لا حصر فيه ، ولا استقصاء، ففى الماليزية مثلا جميع أيام الأسبوع مقبوسة من العربية، من السبت إلى الجمعة فى حين نجد فى الإيطالية وكذا الأكرانية والروسية يوما واحدا فقط ، هو السبت sabbatu فى الأولى ، وفى الأُخْريين subɔta [2] .

والأمر لا يقتصر على ما سبق من الكلمات المقترضة ، بل فى بعض الأحيان تجد ثَمّ تشابها بين كلمتين من لغتين مختلفتين ، على غير قرابة بينهما هذا التشابه ربما لا ينهض على إثبات أن إحدى الكلمتين جاءت من الأخرى ولكنه على أية حال يفيد فى تعلم اللغة الأجنبية مما يدعو إلى الاهتمام بهذا التشابه ، بل أيضا لفت نظر المتعلم إلى درجة تلمس هذا التشابه تلمسا بين الكلمات فى اللغة الهدف ولغة الدارس ، أو لغة

١- اعترف بهذه الحقيقة باحثون أوربيون وأمريكان ، وقد نقلنا هذا فى بحثنا (لغتنا العربية وعناصر العالمية) الذى نشر فى مجلة آفاق تربوية يناير ١٩٩٩ م .

٢- الكلمة فى الأحرسية والروسية بنفس النطق والهجاء ، ولكنها فى كلتا اللغتين تكتب بالحرف الإكليريكى (الروسى) فتكتب هكذا Cyboma ولأن هذا الحرف غير معروف لدى بعض القراء ، فقد كتبنا الكلمة بالكتابة الصوتية ، وهكذا سنفعل مع باقى الكلمات الروسية أو الأكرانية فى هذا البحث ، على أن يكون لنا وقفة مع الحرف الروسى فى بحث آخر .

الأم ، إن هذا أمر بالغ الأهمية والفائدة وكدته بحوث أجريت على الإفادة بين الكلمات المتشابهة بين الفرنسية والإنجليزية [1] .

وقد استطعت بهذه الطريقة فى محاولة تلمس الشبه بين بعض الألفاظ الروسية والعربية معرفة كثير من الكلمات الروسية ، مثل mɔʒnɔ وتنطق بشكل شبيه بالعربية (موچنه) لقد شبهتها بكلمة (ممكن) وهى بنفس المعنى، وكذا tʃut - tʃut (تشوت - تشوت) هكذا تنطق وأقرب كلمتين هنا بالعامية (شوية - شوية [2]) وفى الروسية أيضا ʃtɔ (شتو) وهى فى الأكرانية ʃɔ (شو) بدون تاء ، وهى تشبه الكلمة العامية (شو) فى اللهجة الشامية والفلسطينية.

فإذا استطردنا فى هذا الطريق وجدنا أنفسنا لا نفيد من تشبيه ألفاظ اللغة الهدف بلغة الأم أو اللغة الثانية [3] فقط ، بل من الممكن الإفادة من معرفتنا بلغات أجنبية تعلمناها قبلا .

مرة أخرى نعود إلى اللغة الروسية ، فيها كلمات عديدة من الفرنسية والإنجليزية ، مثال fabrika - nɔrmɔlna - prɔblema وهى على التوالى

١- أشار إلى هذه الحقيقة د. عبد الرحمن شيك فى بحثه (آفاق تعليم اللغة العربية ومعوقاته فى جنوب شرق آسيا) إسلامية المعرفة ، ص ١٦٣ ، العدد ١٢ ، ١٩٩٨ م .

٢- انظر كيف يكرر الروس ، كما نفعل فى العربية ، وكلمة (شوى) تصغير (شى) ثم تطورت فى العامية إلى (شويه) .

٣- لغة الأم هى الأولى ، ولكنها فى بعض الأحيان لا تكون لغة رسمية ، بل لغة أخرى غيرها ، مثل الملايو فى تايلاند ، هى اللغة الأم ، أى الأولى ، ولكن اللغة الرسمية فى المملكة هى التايلاندية ، ومن ثم فهى اللغة الثانية بعد لغة الملايو ، هذا مثال أردنا منه توضيح المقصود بمصطلح اللغة الثانية هنا .

فى الإنجليزية – وكذا الفرنسية وإن بنطق مختلف قليلا وهجاء: fabric
problem normal وهذه الثلاث فى المعنى أيضا لصيقة بما نجده فى الروسية والأكرانية أيضا ، بل إن الأخيرة منها معروفة فى العامية المصرية (الفابريكة) ثم أخذت عاميتنا منها الفعل (فبرك) والمصدر (فبركة) وهكذا .

وعليه فإننا نجد سلما نصّعد بواسطته نحو هدفين مهمين ، مُحاولة التفاهم مع من لا علم لنا بشىء من لغتهم ، باعتبار هذا عنصرا أولا من عناصر اللغة الكونية المنشودة ، التى بدت تباشيرها ، وإن فى خيط رفيع رفيع أو نقاط صغيرة متناثرة ، لكنها يمكن أن تهدى السارى فى دياجى الظلم وحنادسها .

أما الهدف الثانى فيتمثل فى محاولات تعلم اللغة الأجنبية ، حيث يفيدنا هذا السلم فى التعرف شيئا فشيئا على معجم اللغة الهدف الذى يظهر فى جزء منه كبير على أنه غريب أجنبى عنا ، بل مضحك أحيانا ومثير للدهشة .

ففى الروسية أحلى كلمتين وأكثرهما استخداما ، بحيث تسمعهما فى كل ركن ورجا وجملة في الكلام وهما :xɔrɔʃi - xɔrɔʃɔ وفى العامية المصرية والعربية بشكل عام نعرف مادة (خ ر ش [1]) وماذا تعنى ، وما ظلالاتها ودلالاتها ؟ ولكنهما فى الروسية على العكس تماما ، تماما .

أما السلم الذى شرحناه وفصلناه قبلا فيلخص ويعنون فيما يلى :

الألفاظ المتشابهة مع معجمنا من اللغات الأجنبية

الألفاظ المتشابهة مع لغة الأم أو الثانية

الألفاظ المقترضة من لغة الأم

الألفاظ الكونية

١– فى المعجم الوسيط (الخَرْش) سِقط المتاع فى البيت ، الجمع (خُرُوش) .

ثانياً – الأرقام: وعندما نقول الأرقام لسنا بحاجة إلى وسمها بالعربية ، وكذا لا نحتاج ألبته إلى نعتها بالعالمية ، فهي وحدها تفيد أنها عربية، وهي الآن أصبحت من قرون – لا أرقام غيرها – عالمية ، وقد فصلنا في بحوثنا هذه الفكرة تفصيلا [1] .

فإذا ادلهمت المواقف فقد لا يكون المخرج غير الأرقام ، ففي البيع والشراء عندما تختلف الألسن يلجأ البيّعَان إلى آلة حاسبة أو الكتابة لبيان السعر المطلوب ، ويستطيع الشاري أن يكتب رقما آخر ، وهكذا تسير المساومة الرقمية ، وجُرِّب كثيرا هذا الحل الرقمي ، فكان نعم المعين .

وعندما كنت أسير في شوارع الكويابة – كييف – ولم أك أعرف الحرف الروسي وماذا تعني الكلمات – على الحافلات مثلا – كنت أجد الأرقام الوسيلة الوحيدة لمعرفة أية حافلة نريد وأيها لا نريد . أما الكتابة الأخرى فإنها لا تعني شيئا بالنسبة لي ؛ لأنني لم أكُ أستطيع فك طلاسمها.

وعندما يمسك أحد بقطعة نقدية أو بورقة مالية عليها كتابات أجنبية، لا يعرف لها من معنى ، ولا مقصد ، فإن الأرقام هنا هي اللغة الوحيدة التي يمكن أن يفهمها كل من أمسك بهذه العملة الأجنبية .

وفي الفنادق والجامعات والمؤسسات العامة والمباني والعمارات السكنية تجد الأرقام وسيلة مهمة وعالمية لمعرفة المكان ، الحجرة ، أو الشقة المطلوبة ، فعندما يذكر الرقم ٥٢٢ فأول رقم على اليسار يعني الطابق ، وهو الخامس هنا ، والباقي على اليمين رقم الحجرة ، فإذا أردت أن تترجم هذه

١- انظر مثلا : الأرقام العربية أساس الحضارة وأهم عناصر اللغة العالمية ، الآفاق التربوية ، يناير ١٩٩٩م.

العبارة : (الطابق الخامس ، الحجرة الثانية والعشرين) مثلا إلى كل امرئ بلغته فإن هذى مشقة عظيمة ، لكن يستعاض عن هذا كله بثلاثة رموز بسيطة وصغيرة ، سواء بالرموز المشرقية ٥٢٢ أو الرموز المغربية [١] 522 .

وإذا نظرنا إلى جهاز من الأجهزة الحديثة ، مثل الهاتف أو الناسخ وجدنا أرقامنا – وإن برمز مغربى – مفهومة فى أى مكان فى العالم ، ولو لم تكن كذلك لاحتجنا إلى كتابة أرقام كل لغة ، وكل قوم ، وهذا مالا سبيل إليه .

فالأرقام إذن عنصر مهم من عناصر اللغة العالمية المنشودة ، سواء استخدمنا الرموز المشرقية ، أو المغربية ، التى أخذها الغرب عن طريق الأندلس .

فكيف يفاد من هذا العنصر فى تعليم اللغات الأجنبية ؟ مثلا فى لغتنا العربية أنواع من الشهور الهجرية ، والميلادية ، والأخيرة نوعان ، أحدهما شبيه بما فى اللغات الأوربية ، يناير فبراير ... ديسمبر ، والأخرى كانون الثانى ، شباط ... [٢] كانون الأول ، فالطالب المسلم يعرف الشهور الهجرية ولذا يكون من السهل أن نبدأ بها ، أما الطالب الأوربى فإن النوع الأخير قد يكون عليه صعبا ، ولذا فإن الأسهل أن نركن إلى النوع الثانى هنا ، المعروف فى لغته ، أو فيما تعلّم من لغات أُخَر .

١- نرى أن نعدل عن التسميتين (.الأرقام المشرقية – الأرقام المغربية) فإن هذا الانقسام يوحى بوجود نوعين من الأرقام ، وهو مخالف للواقع والحال ، وإنما الاختلاف فى الرمز فقط ، ولذا فإن الأصوب أن نقول (الرمز المشرقى والمغربى) كما نقول الخط المغربى ، ولا نقول الحرف المغربى .

٢- وهى سريانية الأصل .

والأسهل والأفضل من هذا كله أن نركن إلى الأرقام ، من ١ إلى ١٢ سواء فى الشهور الهجرية أو الميلادية ، بنوعيها ، كما تفعل الحواسب .

مثال آخر ، فى الصرف العربى كثير من المسائل التى يمكن أن تعاوننا الأرقام معونة عظيمة ، فأوزان الثلاثى مثلا يمكن أن نستخدم فيها الأرقام فالمزيد بحرف يكون بزيادة الهمزة أوله ، أو ألف المد بعد الفاء ، أو تضعيف العين ، نعطى للأول (أفعل) رقم ١ (فاعل) ٢ (فعّل) ٣ ، والمزيد بحرفين (انفعل) ١ (افتعل) ٢ (افعلّ) ٣ (تفعّل) ٤ (تفاعل) ٥ والمزيد بثلاثة : (استفعل) ١ (افعوعل) ٢ (افعالّ) ٣ (افعوّل) ٤ ، فهذا مثال ليس إلا ، ومن الممكن أن نجد العديد من الأمثلة ، المهم أن نبدأ دون تردد ، ولا وجل، فإن تعليم اللغات الأجنبية ، ومنها العربية بحاجة دائما إلى أفكار شجاعة ، وغير تقليدية .

ثالثاً – لغة الإشارة : وعندما تعيينا الحيل فى التفاهم مع أجنبى اللسان عنا نلجأ إلى الإشارة بوصفها الحل الوحيد فى بعض المواقف ، ففى سيارة الأجرة ولا يعرف السائق لغتنا نستخدم معه الإشارة ، إلى اليمن ، إلى الشمال ، الموافقة ، عدم الموافقة ، الوقوف الاستمرار فى السير ..إلخ.

وفى فصول الدراسة ، لا سيما فى غياب لغة وسيطة – قد تطغى على اللغة الهدف بالمبالغة فى استخدامها – نستطيع الإفادة من لغة الإشارة بواسطتها يمكن أن تترجم للطالب – المبتدئ خاصة – كلمات مثل : أمام – خلف – أعلى – أسفل – يمين – شمال ... وكثير غيرها.

وفى رأيى ، هذا أفضل من الركون إلى اللغة الوسيطة التى قد تحيل الدرس إلى محاضرة بالروسية – مثلا – حول موضوع من موضوعات العربية ، مع ترصيع الكلام بجمل وكليمات عربية قليلة ، كالملح فى الطعام .

ولذا فإن الاستعانة بمعلمين يجيدون اللغة الوسيطة – أو لغة الطالب على وجه الخصوص – قد تودى بعملية التعلم ، لنحصل – فى النهاية – على طالب لديه معلومات كثيرة لا تحصى ولا تُعد ، لكنه عاجز تماما عن ممارسة اللغة التى تعلمها ، ولو لسنوات طوال ، ولا يستطيع تجاوز عجمته ألبتة ، فإن تجاوزها قليلا فالأعجمية [1] هى الغالبة المسيطرة عليه .

إننى دائما أشبه لطلابى ومستمعىّ عملية تعلم اللغة الأجنبية – ومنها العربية – بقيادة السيارة ، أو أية رياضة ، المهم فى كلٍ التدريب والممارسة وإلا فإننا نستطيع أن نعرف كل شيء عن القيادة – أو السباحة – لكننا لا نجرؤ على الاقتراب منها – فضلا عن إجادتها – دون ممارسة حقيقية ، فهى الأساس هنا ، وكلما مارسنا وطبقنا تقدمنا فى تعلم اللغة ، مهما كان محصولنا منها شديد التواضع ، وعلى العكس تماما تماما مهما كانت معلوماتنا وفيرة غزيرة بدون ممارسة سوف يتبخر كل شيء ، ولن يجدى نفعا .

رابعاً – الألوان : لا شك أن استخدام بعض الألوان أصبح عالميا فى دلالته ومعناه ، ففى الدائرة الجمركية فى أى مطار هناك خط أخضر لمن ليس معه شيء ، عليه جمارك ، وآخر أحمر ، لما يجمرك من البضائع المجلوبة من خارج البلد .

وفى أية مدينة فى العالم تجد إشارات المرور تستخدم الألوان الثلاثية الأخضر والأحمر والأصفر فى نفس المعنى ، سواء بالنسبة للمشاة أو السيارات .

١– " الأعجم والأعجمى " من لا يفصح ، ولا يبين ، ولو كان عربيا ، الجمع : (أعاجم – أعجمون) فى حين (عجمى) مفرد (عجم) وهم خلاف العرب .

فالألوان هنا عنصر مهم من عناصر اللغة العالمية ، يفهمها من يراها أيا كانت لغته سواء أكان يعرف لغة البلد ، أو لا يعرف ، وهناك أمثلة أخرى يمكن الرجوع إليها فى بحثنا عن الأرقام والألوان ، كما فى المقاومة الكهربية وقراءة الخرائط ... إلخ .

وفى تعليم اللغة الأجنبية نستطيع استخدام الألوان ، بل إن القاصى والدانى لا ينسى القلم الأحمر الذى يستخدمه المعلم للتصويب والتقويم وتقدير الدرجات ، سواء فى لغتنا العربية أو غيرها .

على أية حال فإن الألوان يمكن أن تلعب دورا مهما فى عملية تعلم اللغات الأجنبية سواء على السبورة ، أو البطاقات ، أو الكتاب المقرر ، أو وسائل الإيضاح ، أو المواد التعليمية المختلفة .

فعند إسناد الأفعال إلى ضمائر الرفع مثلا نستطيع أن نكتب الأفعال بلون ، والضمائر بلون آخر ، الضمائر المتحركة بلون ، والساكنة بآخر الأفعال الصحيحة بلون ، والمعتلة بلون آخر ، المضارع بلون ، والماضى بآخر ، والأمر بلون ثالث ، وهكذا يربط الطالب بين اللون وما يكتب به ، دون الحاجة إلى تكرار المعلومة ، مرة بعد مرة ، أو فى كل مرة .

خامساً – لغة العلماء: وقد أصبح فى كل علم لغة خاصة تتمثل فى مجموعة من الرموز التى أصبحت عالمية ، مفهومة لدى أصحاب الاختصاص والدارسين ، ونذكر هنا مثالين :

١- **الأصوات** : وفى هذا العلم نجد رموز الأبجدية الصوتية الدولية ، سواء للصوامت أو الحركات أو أصوات اللين – أنصاف الحركات – لغة بين العلماء فى هذا المجال ، فإذا كتبت Fahima بهذى الأبجدية الدولية تمكن أى باحث من قراءة ما كتبت ، عرف لسان العرب أو لم يعرفه ، وكذا

الأمر فى أية لغة أخرى لا يعرفها العربى ، ولاسيما إذا كان لا يعرف حرفها ، كالروسية أو الصينية أو التايلاندية ، حتى لو كانت الكلمة عربية أو من أصل عربى ، فكلمة السبت الموجودة فى الروسية لا يستطيع العربى معرفتها إذا كتبت بالحرف الروسى ، فى حين تستطيع الأبجدية الدولية أن تعبر برموزها ، وبدقة شديدة عن النطق الروسى للكلمة العربية الأصل ، هكذا sub ta وهكذا .

وفى علم الأصوات نستطيع التعبير عن الوحدة الصوتية – الفونيم – بوضعها هكذا بين شرطتين مائلتين / d / أى وحدة الدال ، فى حين نعبر عن عضو الوحدة بوضعه بين قوسين [d] فهذا الأخير عضو فى وحدة ، ففى العربية [g] عضو فى وحدة الجيم وكذا [ʒ] فى حين نجد الصوتين المذكورين فى الروسية وحدات مستقلة / g - ʒ / ولا توجد فى الروسية الجيم المركبة أو المعطشة dʒ لا كوحدة ، ولا كعضو ، كما فى لسان العرب .

وأصبح من الشائع أن نرى هذا الجدول للصوامت فى كتب الأصوات بأية لغة ، وعن أية لغة تتحدث ، ويفهمها المختصون بهذا العلم ، حتى فى غياب معرفة بلغة الكتاب .

وهذا مثال على الصوامت فى اللغة الإيطالية ، وبرغم أنه مقتبس من كتاب باللغة الإيطالية [1] إلا أنه من الممكن فهمه بسهولة بسبب استخدام الرموز الدولية ، وبسبب شيوع هذا النوع من الجداول فى كتب الأصوات :

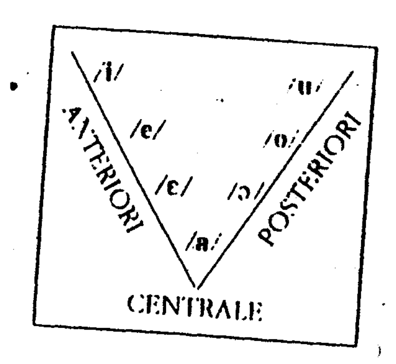
1- Dardrano e Trihone : Grammatica Italiana .

Schema riassuntivo di tutti i fonemi consonantici dell'italiano

modo di articolazione		luogo di articolazione →	BILABIALI		LABIODENTALI		DENTALI		ALVEOLARI		PREPALATALI		PALATALI		VELARI	
			SORDE	SONORE	SORDE	SONORE	SORDE	SONORE	SORDE	SONORE	SORDE	SONORE	SORDE	SONORE	SORDE	SONORE
OCCLUSIVE		ORALI	p	b			t	d							k	g
		NASALI		m				n						ɲ		
AFFRICATE		ORALI							ts	dz	tʃ	dʒ				
COSTRITTIVE	FRICATIVE	ORALI			f	v			s	z	ʃ					
	VIBRANTI	ORALI								r						
	LATERALI	ORALI								l				ʎ		

الشكل الأول

وكذا الحركات يمكن أن توضع بهذى الصورة ، كما وجدناها فـى الكتاب السابق .



الشكل الثانى

ونستطيع أيضا أن نعبر عن الحركات المركبة – كما فى لغة الملايو مثلا – بهذا الشكل[1]:

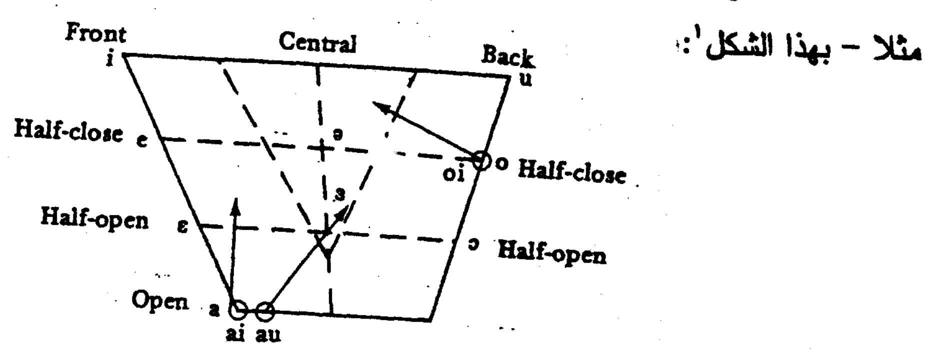


Fig. 7. Diagram of Diphthongs

الشكل الثالث

ولا يقتصر الأمر على ماسبق ، بل نستطيع التعبير عن الوحدات الهامشية ، وليس الأساسية فقط – الصوامت والحركات واللين – حيث نجد رموزا للنبر والمفصل وأشكال التنغيم فالشرطة الصغيرة قبل المقطع تشير إلى

1- Maris : The Malay sound system , p. 43.

النبر ، مثل الفعل (يكتب) حيث يقع النبر على المقطع قبل الأخير ، هكذا yaktubu .

وعلامة المفصل + ففى لغة الملايو belikantin يختلف المعنى باختلاف موضع المفصل ، هكذا :

- Beli + Kantin

- Belikan + tin [1]

المعنى فى الأول (يشترى مطعما) وفى الثانى (يشترى علبة قصدير) .

ويمكن أيضا التعبير عن الاختلافات النغمية بواسطة اتجاه الأسهم إلى أعلى ↑ للتعبير عن النغمة الصاعدة ، وإلى أسفل ↓ للنغمة الهابطة، وللمستوية ← [٢].

٢- **الرياضيات** : إذ نجد فى هذا العلم رموزاً كثيرة عالمية الاستخدام ، أو مفهومة على الأقل بين العلماء ، مثل علامات الجمع والطرح والقسمة والضرب والعلامات العشرية وعلامات الجذر وعلامتى أكبر من أو أصغر من (+ ، – ، ÷ ، × ، . ، ، < ، >) ... إلخ فضلا عن الأرقام العربية ، مشرقية أو مغربية ، مع الإشارة إلى أن العلامة العشرية فى الرمز المشرقى هى و وفى المغربية نقطة فقط ، مثل ٣,٧ ، وفى المغربية 3.7 لأن النقطة لا تستخدم علامة للصفر ، كما فى

١- أبو الخير : المفصل فى اللغة العربية ، مع أمثلة من الإنجليزية والملايو ، ص ٥ .

٢- مالمنبرج : علم الأصوات ، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ، ص ١٩٤ .

الرمز المشرقى ، مع التوكيد على أن ما ذكر هنا هو مثال فقط ، دون حصر ، أو إحصاء .

وكل ما سبق يمكن أن يعاون فى تعليم اللغة الأجنبية ، ولاسيما فى المراحل المتقدمة فنستخدم رموز الكتابة الصوتية لبيان النطق للطالب وبيان ما حدث له من تغير فى الصيغ المختلفة ، مثل m / b ⟵ n ومعناه : النون تصبح ميما قبل الباء ، كما فى (أنباء) التى تنطق ?amba:? ليس ?anba:? بالنون قبل الباء .

وكذا يمكن بيان موقع النبر والمفصل ونغمة الكلمة أو الجملة برموزها السابقات ، وبيان أصوات اللغة الهدف ، سواء الصوامت والحركات ، فضلا عن باقى الرموز فى علمى الأصوات والرياضيات أو غيرهما ، مثل استخدام علامتى ناقص وزائد للدلالة على وجود صفة ما لصوت ما ، أو فقدها ، فإن لم يكن للصوت صلة بالصفة لا سلبا ، ولا إيجابا وضعت دائرة صغيرة، كما فى:

	p	b	m	t	d	n	k	g	ŋ	f	v	θ	ð	s	z	ʃ	ʒ	h
nasal/non-nasal	−	−	+	−	−	+	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−
fortis/non-fortis	+	−	o	+	−	o	+	−	o	+	−	+	−	+	−	+	−	o
coronal/non-coronal	−	−	−	+	+	+	−	−	−	−	−	+	+	+	+	+	+	−
anterior/non-anterior	+	+	+	+	+	+	−	−	−	+	+	+	+	+	+	−	−	−
continuant/non-continuant	−	−	+	−	−	+	−	−	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+
strident/non-strident	o	o	o	o	o	o	o	o	o	−	−	−	−	+	+	+	+	−

الشكل الرابع [1]

1- O'Conner : Phonetics , p. 206.

❖ والآن وقد أتينا على ملامح اللغة العالمية المنشودة وكيف يفاد منها فى تعليم اللغات الأجنبية نختم بذكر بعض المقترحات :

١- إننا بحاجة ماسة إلى إحصاء دقيق للكلمات التى أصبحت عالمية ، معروفة فى اللغات المعاصرة ، كلها أو جلها .

٢- عند تعليم اللغة الأجنبية - أية لغة - لابد من معرفة الكلمات المتشابهة بين اللغة الهدف ولغة الدارس ، ولفت نظره إلى هذا التشابه ، بل محاولة تلمس التشابه ما أمكن .

٣- وفيما يتعلق بلغتنا العربية فإن تأثيرها على كثير من لغات الشعوب - خاصة المسلمة - لهو أمر يجب رصده ، والإفادة منه ، فى كل لغة من اللغات .

٤- إن العربية قد أعارت ما لا يحصى من ألفاظها إلى غيرها من اللغات سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، فعلى سبيل المثال التركية أخذت من العربية نصف معجمها [1] ، وذلك عن طريق مباشر ، باتصال العرب بالأتراك .

١- هذا ما ذكره لى الدكتور جمال باشا الخبير التركى بجامعة كييف الحكومية للغات وفى حديث معه - ٢٣ / ٣ / ١٩٩٩م - حول أشهر خمسين كلمة فى اللغة التركية ، مثل: كيف حالك ؟ بخير ، خطأ ...إلخ اتضح أن أربعة أخماسها من أصل عربى ، وكان هذا موضع اندهاشة وانبهارة ، مثال الكلمات العربية عند الأتراك : أهلا وسهلا تَشكُّر ، كافى ، ممكن ، تماما ... وهى بنفس المعنى فى العربية ، وإن اختلفت قليلا - بطبيعة الحال - عن النطق العربى .

وفى اللغتين الروسية والأكرانية كثير من الألفاظ العربية التى تسربت إليها من طريق اللغات الأوربية ، ومن طريق التركية ، وربما الفارسية .

٥- الدراسات التقابلية بين العربية ولغات كثيرة - مثل الروسية والأكرانية - حقل بكر تماما ينتظر همم العرب للإفادة منه فى تعليم العربية لغيرنا من الأقوام ، وفى نفس الوقت تعلم العرب للغات غيرنا .

د . أحمد مصطفى أبو الخير

الخبير المصرى بجمهورية أكرانيا سابقاً

١ / ٤ / ١٩٩٩م

بعض المراجع

أبو الخير ، د. أحمد :

- الأرقام العربية أساس الحضارة ، مجلة آفاق تربوية ، قطر أغسطس ١٩٩٨م .
- لغتنا العربية وعناصر العالمية ، آفاق تربوية ، يناير ١٩٩٩م .
- المفصل فى اللغة العربية مع أمثلة من الإنجليزية والملايو ، مؤتمر أعلام دمياط ١٩٩٥م.

شاكر ، محمود : العالم الإسلامى ، ط ٢ ، بيروت ١٤٠٣هـ .

شيك ، د. عبد الرحمن :

- آفاق تعليم اللغة العربية ومعوقاتها فى جنوب شرق آسيا ، مجلة إسلامية المعرفة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، العدد ١٢ سنة ١٩٩٨م .
- معايير التحكم فى الألفاظ فى تعليم العربية للمجتمعات الإسلامية فى جنوب شرق آسيا رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم اللغة العربية كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ١٩٩٤م .

مالمبرج : علم الأصوات ، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ، القاهرة ١٩٨٦م .

Maris , Yunus : The Malay sound system , kuala lumpur , 1980 .

O'Conner : Phonetics , Penguin Books , 1973 .

Dardanoe Trifone : Grammatica Italiano con nozioni di linguistica , terza edizione , Rome 1983 .

المحتويات

رقم الإيـداع بـدار الكتـب

٢٠٠٠/٢٩٨٧

طبع بمطبـعة نانسى بدميـاط

ت / ٣٢٣٣٦٩